المـاويّـة : نظريّـة و ممارسة

عدد 22 / ديسمبر 2015

شادي الشماوي

المساهمات الخالدة لماو تسى تونغ

تأليف بوب أفاكيان

مقدّمة المترجم :

لقد مثّل هذا الكتاب علامة مضيئة و فارقة فى تاريخ الماويّين ليس فى الولايات المتّحدة الأمريكية فحسب بل فى العالم بأسره إذ خوّل لقرّائه أن يستوعبوا جيّدا الماركسية – اللينينية – فكر ماو تسى تونغ (الماوية لاحقا) و مساهمات ماو تسى تونغ العظيمة و الخالدة فى علم الشيوعية ما سلّحهم على أحسن وجه لمواجهة التحريفيّة الصينيّة و هجماتها ضد ماو تسى تونغ فى تلك السنوات و قبلها و بعدها و الردّ بسرعة وشموليّة و عمق على الدغمائيّة التحريفيّة الخوجيّة التى ستطلّ برأسها منذ أواخر 1978 و ستدحضهما الماوية و منذ 1979 .

و بطبيعة الحال ، الأفكار الواردة فى هذا الكتاب على أهمّيتها و صحّة غالبيّتها الساحقة فقد عاد إلى بعضها بوب أفاكيان وهو ينقّب فى التراث البروليتاري الثوري قصد إستخلاص الدروس الإيجابيّة منها و السلبيّة و إنجاز ما أفضل مستقبلا فعمّقها أو إستبعدها أو شدّد عليها ... و مثلا فى هذا الكتاب مع تسجيله لإختلافات حزبه مع ماو و الماويّين الصينيّين بشأن الوضع العالمي و طبيعة النضال الثوري فى البلدان الإمبريالية و علاقته بالدفاع عن الصين و مع دعوته فى الفصل الأخير لإنجاز بحث و تقييم شاملين لتجارب البروليتاريا العالميّة و تراثها ، لا يتعرّض أفاكيان للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى بالنقد لتشخيص بعض الأخطاء الثانوية و لكن الجدّية و كشفها . هذا ما سيشرع فى القيام به فى السنوات التالية – إلى جانب قيادة خوض الصراع الطبقي محلّيا و عالميا على كافة الجبهات - ومنذ 1981 ضمن **" كسب العالم ..." ،** طفق يضع الأسس الأولى لعمليّة تقييم و فحص شاملين و عميقين للتجارب الإشتراكية و النضالات المتراكمة سيتواصلان لعقود و سيكونان من جملة أعمال و مؤلفات ستفرز تحوّلا نظريّا نوعيّا جزئيّا تجسّد فى " الخلاصة الجديدة للشيوعية " ، حسب أنصارها .

و تجدر الملاحظة أنّ آجيث الشهير بمعاداة الخلاصة الجديدة للشيوعية التى أطلق عليها " الأفاكيانيّة " فى مقاله **" ضد الأفاكيانية "** ، قد أقرّ بأهمّية الكتاب و دوره و نوّه فى ذات المقال بأنّ : " هذا الكتاب يقدّم عرضا شاملا حقّا لمساهمات ماو فى شتّى الحقول " . أمّا ليني وولف ، القيادي فى الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية و صاحب كتاب **" مدخل إلى علم الثورة "** و الذى قدّم تعريفا مركزّا للخلاصة الجديدة للشيوعية (فى **" ما هي الخلاصة الجديدة لبوب أفاكيان ؟ "** ؛ كتاب شادي الشماوي **" المعرفة الأساسية لخطّ الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية "** بمكتبة الحوار المتمدّن) فقد أعرب فى مقال آخر عنوانه **" على الطريق الثوري مع رئيس الحزب بوب أفاكيان "** صدر فى 28 ديسمبر 2003 بجريدة الحزب الأمريكي **" العامل الثوري "** عدد 1224 :
www.rwor.org

" أرى فعلا أنّ رئيس الحزب قد عمّق أكثر المساهمات الفلسفيّة لماو تسى تونغ خاصة فى شيء من الخلاصة الأرقى . و يعود ذلك إلى كون الكثير من أفكار ماو الفلسفيّة الأخيرة و الأكثر إستفزازا – كما سجّلتها مجموعات نصوص و خطب و تعليقات غير رسميّة متنوّعة بعد 1949 – و كذلك الإنعكاسات الفلسفيّة لبعض تحاليل ماو السياسيّة الرائدة و بعض ما نجم عن القفزة الكبرى إلى الأمام و الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى (مثل الصراع الطبقي فى ظلّ الإشتراكيّة ، و مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا و دور الوعي و البنية الفوقيّة ، و تجاوز الحقّ البرجوازي ، و دور الحزب فى ظلّ الإشتراكية إلخ) - لم يقع تلخيصها أبدا فى كلّ منسجم إلى أن كتب بوب أفاكيان **" المساهمات الخالدة لماو تسى تونغ "** . "

وعندما وجدنا بين أيدينا هذا الكتاب الذى صار متوفّرا على الأنترنت فى موقع الفكر الممنوع و رابطه :

http://www.bannedthought.net/USA/RCP/Avakian/MaoTsetungImmortal-Avakian.pdf

كان لزاما علينا أن نطّلع علي مضامينه عن كثب و ندرسها بتمعّن و حين خلصنا من هذه المهمّة الأوّلية تنازعتنا حقيقة مشاعر متباينة فمن ناحية نظرا لقيمته و تلخيصه الجيّد لعلم الثورة البروليتارية العالمية ، و لكونه أرقى ما ألّف فى تلك السنوات ، نهاية السبعينات ، لشرح الماركسية – اللينينية – الماوية والتشديد على مساهمات ماوتسى تونغ العظيمة و الخالدة ، و لمواجهته وفضحه الجريئين و الصريحين للإنقلاب التحريفي فى الصين على أيدى دنك سياو بينغ و إعادة تركيز الرأسمالية هناك منذ 1976؛ إرتفعت داخلنا أصوات و شحنة حماس تحثّنا على الإشتغال عليه وترجمته برمّته ؛ و من ناحية ثانية ، وجدنا العقل و المشاريع الكثيرة الموضوعة أمامنا وهي تنتظر الإنجاز منذ مدّة طويلة أو قصيرة مقابل الوقت الضيق تدعونا جميعها إلى الهدوء و التفكير مليّا و برويّة . و دام الصراع أيّاما بل أسابيعا و حسم على النحو التالي : الإشتغال كلّما كانت هناك فسحة من الزمن على بعض الفصول المفيدة حاليّا للماويّات و الماويّين و المناضلات و المناضلين الثوريّين فى البلدان العربية و إرجاء العمل على الفصول الأخرى لوقت لاحق حسب متطلّبات الرفيقات و الرفاق و مجريات الأحداث موضوعيّا ، دون أي إلتزام بالإنجاز فى غضون مدّة معيّنة .

و إنكببنا على الإشتغال بكلّ ما أوتينا من جهد لكن على فترات متقطّعة لتعريب ثلاث فصول من أصل سبعة ، هي الفصول المتّصلة بالفلسفة و الإقتصاد السياسي و دكتاتورية البروليتاريا بإعتبارها تتطرّق لمصادر الماركسية الثلاثة و أقسامها المكوّنة الثلاثة و تبرز مساهمات ماوتسي تونغ فيها جميعا و بالطبع لا تخرج الفصول الأخرى عن هذا النطاق و لكنّها وفق تقييمنا ثانوية راهنا فى فهم غالبية الماويّين و الماويّات و المناضلين والمناضلات الثوريّين و تكوين أجيال من الشيوعيّين الثوريّين . و نعلم جيّدا أنّ الثانوي ماويّا لا يعنى عدم الأهمّية و إنّما يعنى أنّه لا يحتلّ الموقع الرئيسي فى الوقت الراهن و قد يصبح فى المستقبل القريب أو البعيد رئيسيّا أي قد تفرض علينا ضرورة ذاتيّة أو موضوعيّة التركيز عليه لاحقا . و الفصول المؤجّلة هي الفصل الأوّل – الثورة فى البلدان المستعمَرة ، و الفصل الثاني – الحرب الثوريّة و الخطّ العسكري ، و الفصل الخامس – الثقافة و البناء الفوقي ، و الفصل السابع – ماو تسى تونغ أعظم ثوري فى زمننا .

و مع ذلك ، لا ينبغى لجهدنا الذى إنصبّ بالأساس على الثلاثة فصول المذكورة أعلاه و إمكانية تعريب الباقي جزئيّا أو كلّيا ، أن يقفا حاجزا دون قيام رفاق و رفيقات آخرين بترجمة أيّ فصل يرون ضرورته ملحّة أو دون إبلاغنا مقترحاتهم المعلّلة فى الغرض .

و من نافل القول أن للرفيقات و الرفاق و المناضلات و المناضلين الثوريّين و الباحثين عن الحقيقة من المثقّفين و الجماهير الشعبيّة أن يستغلّوا أعمالنا بلا حدود و قيود – و لا نطالبهم بأكثر من ذكر المرجع – فى التكوين و الدراسة و البحث و النقد و الجدال و الصراع النظري و لهم كذلك أن ينقدوا أعمالنا و مضامينها و خياراتنا – دون شتائم رجاء فهذا لا يليق بالأخلاق الشيوعية - و يقترحوا ما يرونه صالحا لقطع أشواط أخرى و ترسيخ السابقة فى نشر النظرية الثورية ، فى إرتباط بمعارك الصراع الطبقي على كافة الجبهات بلا إستثناء قصد إنجاز المهمّة المركزيّة المرحليّة ألا وهي تأسيس فبناء الحزب الشيوعي الماوي الثوري كمحور للحركة الثوريّة و طليعتها و هدف برنامجه الأدني إنجاز الثورة الديمقراطية

الجديدة و المضي بها إلى المرحلة التالية الإشتراكية كتيّار من تيّاري الثورة البروليتارية العالمية ، و هدفه الأقصي و الأسمى الشيوعية عالميّا .

و بغية أن نزيد فى تأكيد البعد الراهن لهذا الكتاب بالنسبة للماويّين وصراع الخطّين فى صفوفهم خاصة و الخوض فى مسائل الجدلية و جوهر الماويّة و الثورة الثقافيّة و مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا و حرب الشعب و الحزب و الوعي الشيوعي و الجبهة المتّحدة إلخ ، راينا من الضروري أن نضيف ملحقا هو وثيقة للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكية صدرت سنة 1986 [و يترتّب علينا طبعا أن نتفطّن إلى أنّ بعض المحتويات تطوّرت أو تعمّقت أو تمّ تجاوزها لاحقا] ضمن العدد السابع من مجلّة الحركة الأممية الثوريّة **" عالم نربحه "** تحت عنوان له دلالته ألا وهو **" الثورة فى البلدان الإمبريالية تتطلّب الماركسية-اللينينيّة – فكر ماو تسى تونغ [الماوية] "**. و للتعريف ببوب أفاكيان أرفقنا الملحق الأوّل بملحق ثاني يقدّم الكاتب و مؤلّفاته . وفى الملحق الثالث عرض لمضامين كتب المترجم شادي الشماوي المتوفّرة بمكتبة الحوار المتمدّن .

و كيما نعطي فكرة عامة أوّلية فى هذه المقدّمة عن مضامين كتاب أفاكيان برمّته **" المساهمات الخالدة لماو تسى تونغ "** ، نورد بشيء من التفصيل محتويات الفصول بكلّيتها .

" المساهمات الخالدة لماوتسى تونغ " كتاب لبوب أفاكيان ، صدر فى ماي 1979 عن منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية ، و قد نشرت فصوله تباعا كمقالات فى مجلّة الحزب حينذاك **" الثورة "** بين أفريل 1978 و جانفي 1979 و مضامينه حسب الفهرس هي :

فهرس الكتاب :

==========

<u>تفاصيل الفصول السبعة (إضافة من المترجم) :</u>

<u>الفصل الأوّل : الثورة فى البلدان المستعمرة :</u>

- مقدّمة
- ماركس و إنجلز
- حروب التحرّر الوطني فى أوروبا فى فترة صعود الرأسمالية
- الإمبريالية تغير الثورة فى المستعمرات
- روسيا : جسر بين الشرق و الغرب
- لينين و ستالين يحلّلان التطوّرات
- ماو حول الثورة الصينية
- الإرتكاز بصلابة على التحليل الطبقي
- تشكّل الجبهة المتحدة
- النضال ضد الإستسلام
- الإستقلال و المبادرة فى الجبهة المتحدة
- الثورة الديمقراطية الجديدة
- القيادة البروليتارية
- الحرب الأهلية ضد الكيومنتانغ
- النضال من أجل الإنتصار الثوري
- المساهمات الفلسفية
- تطوّر السيرورة
- رفع راية الأممية البروليتارية
- الموقف تجاه الحركات الثورية
- الحاجة المستمرّة إلى القيادة البروليتارية
- أممي عظيم

---

(1)

الإقتصاد السياسى و السياسة الإقتصادية و البناء الإشتراكى .

الفصل الثالث : من كتاب " مساهمات ماوتسى تونغ الخالدة " لبوب أفاكيان .

نشرت الفصول بداية كمقالات فى مجلة " الثورة " بين أفريل 1978 و جانفى 1979 .

مقدّمة :

مثلما جرت الإشارة إلى ذلك فى الفصلين السابقين (المتصلين بخطّ ماو بشأن الثورة فى البلدان المستعمرة و أشباه المستعمرات و بالحرب الثورية و الخطّ العسكري تباعا) ، فإنّ إحدى المظاهر الخاصّة – و المميّزات الخاصة – للثورة الصينية كان أنّه منذ البداية الأولى كانت القوى الثورية ، بقيادة الحزب الشيوعي قد ركّزت مناطقا محرّرة إستخدمت كقاعدة لخوض الحرب الثورية بغاية إطلاق نشاط الجماهير فى هذه المناطق – و فى النهاية فى كافة البلاد – فى النضال الثوري وكعامود فقري للنضال ، و بغاية توحيد جميع الأصدقاء الحقيقيين ضد العدوّ فى كلّ لحظة ، كان من الضروري ليس فحسب إمتلاك خطّ عسكري صحيح خاصة ؛ كان كذلك من الضروري صياغة خطّ صحيح حول مسائل الإقتصاد السياسي و السياسة الإقتصادية و البناء ، و تطبيقها .

و مثلما أشرنا إلى ذلك فى الفصل الأوّل ، فى نقطة بداية مبكّرة للثورة الصينية (1926) أجرى ماو تحليلا أساسيّا لطبقات المجتمع الصيني ، بالضبط لأجل تحديد الأصدقاء و الأعداء فى الثورة فى تلك المرحلة . و مثّل هذا التحليل الطبقي جزءا هامّا من الماركسية و الإقتصاد السياسي الماركسي بوجه خاص و كذلك مهمّة ملحّة فى كلّ مرحلة حيويّة من مراحل تطوّر الثورة . و خلال مختلف مراحل (والمراحل الفرعية) للثورة الصينية ، أعار ماو إنتباها جدّيا لهذا المشكل .

و إضافة إلى ذلك ، منذ زمن تركيز أوّل منطقة إرتكاز (1927) فى قيادة النضال الثوري ، كان على ماو و فعلا أعار إنتباها خاصا للسياسة الإقتصادية و للخطوط العريضة المتعلّقة بالبناء الإقتصادي . و عبر سيرورة أكثر من 20 سنة ، إنطلاقا من زمن تركيز أوّل منطقة قواعد إلى الظفر بالسلطة السياسية عبر البلاد بأسرها سنة 1949 ، راكم ماو و الحزب الشيوعي الصيني تجربة غنية فى إنجاز الثورة على الجبهة الإقتصادية و على ذلك الأساس فى تطوير الإنتاج . و كان هذا جزءا هاما من تطوير ماو للخطّ الثوري بشأن هذه المسائل الحيوية خلال المرحلة الإشتراكية التى تلت إفتكاك السلطة . و علاوة على ذلك ، عديد المبادئ الجوهرية للخطّ العسكري و الإستراتيجيا التى طوّرها ماو فى قيادة الشعب الصيني أثناء السنوات الطويلة من الحرب الثورية ، وصولا إلى إفتكاك السلطة عبر البلاد بأسرها قد طبّقها لمعالجة مشاكل السياسة الإقتصادية و البناء فى المناطق المحرّرة أثناء مرحلة الثورة الديمقراطية الجديد و فى البلاد ككلّ أثناء المرحلة الإشتراكية التالية .

وكلّ هذا مظهر آخر من ظاهرة أنّ الثورة الديمقراطية الجديدة مثّلت إعدادا ومقدّمة للإشتراكية فى الصين . لكن ، بالطبع، عند دخول المرحلة الإشتراكية الجديدة ، ظهرت مهام جديدة و مشاكل جديدة تعيّنت معالجتها لمواصلة التقدّم و كالعادة ، عند معالجته بنفسه و تقديمه حلولا لهذه المشاكل ، لم يطبّق ماو فقط الدروس الغنية للثورة الصينية بل إستوعب أيضا و طبّق دروس التجربة الإيجابية و السلبية للثورات الأخرى و خاصّة الثورة فى الإتحاد السوفياتي ، أوّل دولة إشتراكية فى العالم . و فى هذه السيرورة لم يقم بتطبيق المبادئ الجوهرية للماركسية – اللينينة و الدفاع عنها فحسب بل طوّرها و أثراها . و هذا بالتأكيد صحيح بالنظر إلى مسائل الإقتصاد السياسي و السياسة الإقتصادية و البناء الإشتراكي .

تمثّل هذه المسائل و المساهمات الكبرى لماو فى هذه المجالات موضوعا واسعا بطبيعة الحال . و التوغّل فيه خارج نطاق هذا الكتاب . و المسألة المتّصلة وثيق الإتصال بهذا أي نظرية ماو العظيمة ل " مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية

البروليتاريا " ستعالج فى الفصل التالي . و هنا سنركّز على تلخيص أهمّ النقاط المتعلّقة بخطّ ماو حول الإقتصاد السياسي و السياسة الإقتصادية و البناء الإشتراكي .

الإقتصاد السياسي الماركسي :

قال ماو ذاته : " يهدف الإقتصاد السياسي إلى دراسة علاقات الإنتاج " (1) . و قد طوّر أوّل من طوّر الإقتصاد السياسي الإشتراكي كارل ماركس بالتعاون مع فريديريك إنجلز فى تأسيس علم الثورة البروليتاريّة ، كمكوّن مفتاح فى هذا العلم . فقد تعمّق ماركس إلى ما تحت آلاف المظاهر السطحية للرأسمالية و حلّل العلاقات الأساسية التى تميّز هذا الصنف من المجتمع . و على حدّ إشارة ماو " إنطلق ماركس من السلعة ومضى ليكشف العلاقات بين الناس المخفية وراء السلعة ..." (2)

إنطلاقا من هذا ، فى عمله الشهير رأس المال و فى أعمال أخرى ، كشف ماركس التناقض الأساسي للرأسمالية بين الإنتاج الممشرك و الملكية الخاصة و سرّ الإستغلال الرأسمالي – إستغلال العمّال المأجورين فى سيرورة الإنتاج من قبل الملاكين الرأسماليين لوسائل الإنتاج لإنتاج فائض قيمة يتملّكه بصورة فردية هؤلاء الرأسماليون .

لقد بيّن ماركس أنّ نمط الإنتاج الرأسمالي هذا لم يكن كما يدعي مدّاحوه ، الأرقى و الأفضل و المرحلة النهائية للمجتمع ، بل هو ببساطة يمثّل آخر مرحلة من المراحل التاريخية الخاصة فى تطوّر الإنتاج " (3) و هناك نزعة إلى تجاوزه من قبل نمط إنتاج جديد و أرقي – الشيوعية – الذى سيعدّ قفزة نوعية بالنسبة للإنسانية ، متميّزة بإلغاء كافة الإختلافات الطبقية و تقدّم هائل و مستمرّ لقوى الإنتاج الإجتماعية.

و تنزع الشيوعية إلى تعويض الرأسمالية . و قد بيّن ماركس أنّ ذلك لا يعزى إلى كون الشيوعية تمثّل شكلا إجتماعيّا " أعدل " أو " مثاليّا " ، وإنّما إلى أنّ تقدّم البشرية خلال كافة المراحل التاريخية السابقة فى تطوّر الإنتاج ، إلى الرأسمالية، قد أعدّ القاعدة للشيوعية ، و لأنّ التناقض الجوهري للرأسمالية سيدفع بإستمرار بالمجتمع إلى فوضى و أزمة أكبر دائما ، مع تطوّر قوى الإنتاج الإجتماعية الساعية بقوّة إلى كسر حدود علاقات الإنتاج – خاصة الملكية الرأسمالية الخاصة – إلى أن يتمّ حلّ هذا التناقض بالطريقة الوحيدة التى يمكن حلّه بها : عبر القضاء على النظام الرأسمالي من الملكية الخاصة و تحويل كافة وسائل الإنتاج إلى ملكية مشتركة للمجتمع .

و بيّن أكثر ماركس أنّ إنجاز ذلك يتطلّب ثورة سياسية فيها تطيح البروليتاريا المستغَلّة بالطبقة الرأسمالية و تسحق آلة الدولة الرأسمالية و تركّز دولتها الخاصة – دكتاتورية البروليتاريا الثورية – و التقدّم نحو " <u>إلغاء كلّ الإختلافات الطبقية</u> ، و إلغاء كلّ علاقات الإنتاج التى تقوم عليها هذه الإختلافات الطبقية ، و إلغاء كلّ العلاقات الإجتماعية التى تتناسب مع علاقات الإنتاج هذه ، و تثوير كلّ الأفكار الناجمة عنهذه العلاقات الإجتماعية " (4) .

و للأسف ، مع ذلك ، لم يظلّ لا ماركس ولا إنجلز على قيد الحياة لمشاهدة الفترة التى إفتكّت فيها البروليتاريا السلطة و شرعت فى سيرورة إنجاز هذا التحويل غير المسبوق للمجتمع . بإستثناء كمونة باريس فى 1871 ، لم تتركّز أية دولة بروليتارية أثناء سنوات حياتهما و الكمونة عينها لم تدم سوى بضعة أشهر قبل أن تسحقها قوى الثورة المضادة .

مساهمة لينين فى الإقتصاد السياسي :

لكن فى ذات الوقت كانت الرأسمالية فى عدد من البلدان آخذة فى التطوّر نحو مرحلتها الأعلى و النهائية – الإمبريالية . و لينين هو الذى حلّل تحليلا شاملا هذا التطوّر و بيّن فى تعارض مع إنتهازيين متنوّعين – بمن فيهم كارل كاوتسكي ، الذى كان مساعدا قريبا من إنجلز لكنّه تحوّل إلى مناهض للثورة فى الشطر الأخير من حياته – أنّ الإمبريالية لم تلغ أو نوعا ما تخفّف من التناقض الجوهري للرأسمالية لكنّها رفعته إلى مستوى أعلى . و الإمبريالية ، مثلما دلّل لينين ، لم تكن أعلي مرحلة من مراحل الرأسمالية فحسب بل هي أيضا عشيّة الثورة البروليتارية . و قاد لينين البروليتاريا فى روسيا فى عملية إنجاز أوّل ثورة بروليتارية مظفّرة ، و فى تركيز أوّل دولة إشتراكية شرعت فى سيرورة الإنتقال إلى الشيوعية .

لقد طوّر لينين الماركسية – اللينينية – و كمكوّن مفتاح من مكوناتها الإقتصاد السياسي الماركسي – إلى مرحلة جديدة و أرقى . فصارت الماركسية ماركسية – لينينية .

و علاوة على ذلك ، لفترة قصيرة بين إفتكاك السلطة فى روسيا فى 1917 و وفاته فى 1924 ، طبّق لينين هذه المبادئ العلمية على المشاكل الملموسة التى واجهت الدولة الإشتراكية الجديدة ، بما فى ذلك فى المجال الحيوي للسياسة والبناء الإقتصاديين . فقد أرسى لينين التوجّه و المسار الأساسيين الذين سيقودان بروليتاريا الإتحاد السوفياتي فى إنجاز تحويل الملكية الرأسمالية إلى الإشتراكية فى المدن و الأرياف ما يقود إلى التطوّر العالي السرعة للإقتصاد الإشتراكي .

أثناء الحرب الأهلية والتدخّل الإمبريالي التى تلت ثورة أكتوبر ، طوّر لينين سياسة شيوعية الحرب . و مباشرة ركّز الملكية و شريان حياة الإقتصاد بأيدى الدولة البروليتارية و سمح للبروليتاريا المظفّرة بالحفاظ بقاعدة مادية كافية لإلحاق الهزيمة بالرجعيين المحلّيين و الأجانب الذين تجمّعوا ضدّها و بإرساء قاعدة تطوير الإقتصاد عقب الحرب . و فى نفس الوقت ، تطلّب الأمر تضحية هائلة من قبل العمّال و الفلاحين الروس و فى علاقة بالآخرين بوجه خاص ، وضعت ضغوطا شديدة عليهم فى شكل تملّك الدولة لفائض إنتاجهم من الحبوب .

و إثر الحرب الأهلية ، إعترف لينين بأنّ سياسة شيوعية الحرب بينما ساهمت فى الإنتصار فى الحرب ، فإنّها كذلك قد تجاوزت الظروف المادية و كذلك السياسية والإيديولوجية و التنظيمية . و نادى بتراجع لإعداد الظروف لتقدّم مستقبلي . و قد تجسّد هذا التراجع فى السياسة الإقتصادية الجديدة (الناب) التى تخلّت عن تملك فائض إنتاج الحبوب وعوّضته بأداءات (أداءات عينية) كوسيلة لتضمن الدولة الحبوب.

وجسّدت السياسة الإقتصادية الجديدة تنازلات معتبرة للرأسمالية – المحلّية منها و الأجنبية ، فى كلّ من المدن و الأرياف. و سمحت للرأسماليين الأجانب بالنشاط فى البلاد و حتى بجلبهم بأفق أرباح عالية . وسمحت للرأسماليين المحلّيين ببعض النشاط التجاري . و حتى ضمن المؤسسات التى كانت تمتلكها الدولة ،عنت السياسة الإقتصادية الجديدة ممارسات إدارة الرجل الواحد ، و التعويل على الأخصّائيين و المنفذين البرجوازيين ، والإستعمال الواسع لمثل هذه الأشياء كجزء من العمل بالتقطيع وعامة القواعد والضوابط المشابهة لتلك الموجودة فى المصانع الرأسمالية (العديد من هذه السياسات الإدارية كانت عمليّا جزء من شيوعية الحرب أيضا) .

وكان كلّ هذا ضروريّا لأجل بلوغ فى أقرب وقت ممكن إعادة تأهيل الإقتصاد الذى قد تفكّك و فى عديد الأماكن قرب من الركود خلال الحرب الأهلية ، مع نقل عديد العمّال من الإنتاج وتحويلهم إفتراضيّا إلى أناس غيّروا طبقتهم . و كان من الضروري تعزيز البروليتاريا ودولة البروليتاريا سياسيّا و كذلك إقتصاديّا . وفى نفس الوقت ، مع ذلك ، حافظت البروليتاريا من خلال سلطة دولتها ، على التحكّم فى التمويل و التجارة و وضعت حدودا لنشاط الرأسمال الخاص فى المدن و الأرياف . و شدّد لينين فى هذه الفترة على أهمّية تركيز و تطوير تعاونيّات المنتجين والمستهلكين لإرساء قاعدة المشركة فى الريف و التقدّم العام للعلاقات الإشتراكية فى المستقبل المنظور . و هكذا ، تقدّم الإتحاد السوفياتي إقتصاديّا عبر رأسمالية الدولة للسياسة الإقتصادية الجديدة نحو الإشتراكية .

لقد كان لينين منفتحا جدّا بشأن كون السياسة الإقتصادية الجديدة مثّلت تراجعا و تنازلا على المدى القصير أمام الرأسمالية و حاجج بأنّها كانت مبرّرة وضرورية بسبب الظروف الخاصة فى البلاد حينها . لم تكن مخطّطا كبيرا لتطوير البلاد إلى دولة إشتراكية عصرية القوّة و لم تكن سياساته الأساسية تعنى تطبيق البناء الإشتراكي ، مثلما صار يدّعى كما هو معلوم التحريفيون منذ زمن خروتشاف . كان المقصود من تلك السياسة إيجاد ظروف فترة وجيزة للتقدّم نحو الإقتصاد الإشتراكي ، نحو هجوم على المواقع الإقتصادية الإستراتيجية للرأسمالية .

<u>البناء الإشتراكي فى ظلّ ستالين :</u>

خلال الشطر الأخير من حياته ذاتها ، أضحى لينين مريضا بجدّية و لم يعد قادرا على توفير قيادة الشؤون اليومية للحزب و الدولة . ستالين هو الذى تولّى الدفّة و مضى قدما فى تطبيق السياسة الإقتصادية الجديدة و قاد التقدّم فى التصنيع الإشتراكي و تطوّر الفلاحة . و فى إنجاز هذا، قاد ستالين الصراع الشرس و المتواصل داخل الحزب ضد أمثال تروتسكي و كاميناف و زينوفياف وبوخارين من الإنتهازيين الذين عارضوا بين الفترة و الأخرى الطريق الصحيح إلى الأمام .

فقد روّج تروتسكي بالتنسيق مع كاميناف وزينوفياف ل" نظرية قوى الإنتاج " ، محاججا بـأنّه كان من غير الممكن بناء الإشتراكية فى الجمهورية السوفياتية لأنّها كانت إقتصاديّا و تقنيّا متخلّفة للغاية . فى جزء منه لهذا الخطّ غطاء " يساريّ " كثيف يشدّد على أنّ الثورة المباشرة فى أوروبا لازمة لتبقى الإشتراكية على قيد الحياة فى روسيا . و مع ذلك بالكاد كان الجوهر اليميني لهذا الخطّ تحت السطح . هذا من جهة و من جهة أخرى ، عارض تروتسكي السياسة الإقتصادية الجديدة و دعا إلى سياسات إستغلال الفلاحين لتحقيق التصنيع و ظروف التنظيم المشابه للتنظيم العسكري فى المصانع لإجبار العمّال على الرفع فى الإنتاج و قد نادا حتى بتوسيع التنازلات المقدّمة للمصانع الأجنبية و الفروع الإستراتيجية للصناعة ؛ و هكذا مثلما وضع ذلك ستالين ، حاول تروتسكي " تركنا بقبضة الرأسماليين الأجانب " (5)

و فى ما بعد ، عندما صاغ الحزب سياسة التصنيع الإشتراكي للبلاد و إنطلق فى تطبيقها على قاعدة فلاحة يعاد بعث الحياة فيها ، قام تروتسكي بالتنسيق مع زينوفياف وآخرين ، بحملة قائلا إنّ التصنيع لا ينجز بالسرعة الكافية . لكن فى الواقع كانوا معارضين تماما للتصنيع الإشتراكي و حاولوا تقويضه بدفع جماهير الفلاحين ضد الطبقة العاملة ، منادين بالفعل بالتعويل على الفلاحين الأغنياء والقوى الرأسمالية فى الريف .

من كلّ هذا يمكن رؤية أنّ المظهر المميّز لتروتسكي و ما يخوّل للمرء التعرّف على أتباع تروتسكي الحقيقيين هو الغياب المتّسق للمبادئ عدا البروز و غياب الثقة فى الجماهير و الوحدة الجوهرية مع اليمين .

و قد تبيّن هذا فى كون خطّ تروتسكي فى التعويل على القوى الرأسمالية فى ما يتصل بالصناعة والفلاحة كان مماثلا للغاية لخطّ بوخارين الذى دافع خلال السياسة الإقتصادية الجديدة و بعدها عن خطّ بناء البرجوازية وفق مفهوم "النموّ السلمي للبرجوازية صلب الإشتراكية " ، موسّعا إيّاه بشعار" جديد " – " أثروا ! " " (6) و كان بوخارين بطل هذه الإنتهازية اليمينية فى ما يتعلّق بالريف ، محاججا مباشرة من أجل سياسة كانت تعنى ، مثل جوهر الخطّ التروتسكي ، تشجيع العناصر الرأسمالية ، الكولاك ، و التعويل عليهم .

و قاد ستالين الحزب السوفياتي فى إلحاق الهزيمة بمختلف هذه الأنواع من الخطوط البرجوازية و فى إنجاز التصنيع الإشتراكي و خطوة خطوة فى مشركة الفلاحة . و بالطبع ، لا شيء من هذا قد تحقّق قبلا فى التاريخ ؛ و بصورة خاصة المشركة الناجحة للفلاحة ، بما فى ذلك أنّ الصراع الطبقي فى منتهى الحدّة داخل الحزب و خارجه كان مهمّة جبّارة و ذات أهميّة حيويّة لبناء الإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي . ذلك أنّ روسيا زمن ثورة أكتوبر كانت إلى حدّ كبير بلدا فلاحيّا له ريف متخلّف ، و منه بقايا علاقات إقطاعية على نطاق واسع ، حتى وإن كان بلدا إمبرياليّا .

تحقيق المشركة الإشتراكية إلى جانب التصنيع الإشتراكي و تحويل الإتحاد السوفياتي من بلد متخلّف نسبيّا إلى بلد متقدّم إقتصاديّا – و كلّ هذا تحقّق فى عقدين بين نهاية الحرب الأهلية فى روسيا والحرب العالمية الثانية – مثّلا مكسبا عظيما للطبقة العاملة و الشعب السوفياتيين فى ظلّ قيادة ستالين ؛ و لهذا علاقة وطيدة بقدرة الإتحاد السوفياتي على إلحاق الهزيمة بالغزاة النازيين فى الحرب العالمية الثانية ، و هذا أيضا مكسب عظيم للشعب السوفياتي فى ظلّ قيادة ستالين .

و فى نفس الوقت ، وهو يقدّم القيادة لمهمّة غير مسبوقة بمثل هذه الأبعاد الهائلة – المشركة و التغيير و التطوير الإقتصاديين السريعين لمثل هذا البلد الشاسع و المعقّد ، الإتحاد السوفياتي ، فى ظروف كانت فيها الدولة الإشتراكية الوحيدة موجودة فى عالم لا تزال تسيطر عليه الإمبريالية – قام ستالين ببعض الأخطاء . و إلى درجة معتّرة يمكن تفسير ذلك بواقع أنّه لم يكن يوجد مثال سابق تاريخي لهذه المهمّة ، لا تجربة سابقة (و أخطاء سابقة) للتعلّم منها . هذا من جهة و من جهة أخرى ، كما لخّص ماو ، بعض أخطاء ستالين و منها أخطاء فى مجال الإقتصاد السياسي و السياسة الإقتصادية والبناء الإشتراكي ، كانت إفرازا وتعود بدرجة كبيرة إلى إخفاق ستالين فى التطبيق الشامل للمادية الجدلية لمعالجة المشاكل ومنها عديد المشاكل الجديدة حقّا .

إلى درجة كبيرة جراء هذا ، لا سيما فى فترة ثلاثينات القرن العشرين – إثر إتمام التجميع فى الفلاحة والتغيير الإشتراكي للملكية فى الصناعة فى الأساس - تبنّى ستالين ذاته مظاهرا من " نظرية قوى الإنتاج " و طوّر أوّلا شعار " التقنية تحدّد كلّ شيء " ثم المفهوم المرتبط بذلك بأنّه ضمن التقنة المعاصرة ، الكوادر القادرة على التحكّم فى هذه التقنية هي التى تحدّد كلّ شيء .

و هذا يستهين جدّيا بمسألة السياسة و بالفعل يذهب ضد خطّ وضع السياسة فى مصاف القيادة و كذلك يستهين بدور الجماهير و بصورة خاصة بالحاجة إلى التعويل على النشاط الواعي للجماهير فى الإنتاج الإشتراكي كما فى كلّ شيء آخر . و إلى جانب هذا ، بينما قاد إنجاز المشركة فى الريف فى أواخر عشرينات القرن العشرين ، نحا ستالين إلى تطوير الصناعة على حساب الفلاحة ، تاركا للفلاحين مواردا ضئيلة للمراكمة بجهودهم الخاصّة .

وكذلك واصل ستالين عديد السياسات التى أدخلتها السياسة الإقتصادية الجديدة (أو سياسات ما قبل أو أثناء شيوعية الحرب) ، على غرار الإستعمال الكثيف للعمل بالتقطيع و المكافآت و إدارة الرجل الواحد و وضع الأخصّائيين فى القيادة و هلمّ جرّا . جوهريّا وضع ستالين تشديدا وحيد الجانب على مسألة الملكية وهو الأكثر حيوية لكنه ليس المظهر الوحيد لعلاقات الإنتاج . لقد أخفق فى إعارة الإنتباه المستمرّ لتثوير المظاهر الأخرى لعلاقات الإنتاج (العلاقات بين الناس فى الإنتاج و التوزيع) و البناء الفوقي .

إلى درجة كبيرة ، إنطلق ستالين من إعتبار أنّه عندما يقع التركيز الواسع للملكية – أي عندما تكون الملكية العامة قدعوّضت فى الأساس الملكية الخاصة – عندئذ كلّ ما هو ضروري هو الحصول على التقنية المتقدّمة والإدارة الفعّالة و التحكّم فيهما و بهذه الطريقة ستواصل الإشتراكية تحقيق قاعدة مادية و إجتماعية أقوى للتقدّم صوب الشيوعية . و ذهبت هذه النظرة الخاطئة اليد فى اليد مع تحليل ستالين الخاطئ بأنّه مع أواسط ثلاثينات القرن العشرين وقع إلغاء العداء الطبقي فى الإتحاد السوفياتي . و أخفق فى الإقرار بأنّ البرجوازية تولد بإستمرار بفعل تناقضات المجتمع الإشتراكي ذاته – من مثل تلك بين العمل الفكري و العمل اليدوي ، و بين المدينة و الريف ، و بين العمّال و الفلاحين ، و كذلك الإختلافات فى الدخل الناجمة عن تطبيق مبدأ " لكلّ حسب عمله " – و أنّه طالما أنّ هذه اللامساواة الموروثة عن الرأسمالية تتواصل فإنّه ستظلّ هناك طبقات و يظلّ هناك صراع طبقي ، بما فى ذلك الصراع العدائي بين البروليتاريا والبرجوازية الذى يمثّل التناقض الرئيسي فى ظلّ الإشتراكية .

و ناضل ستالين ذاته بصفة متكرّرة و بصرامة ضد محاولات إعادة تركيز الرأسمالية فى الإتحاد السوفياتي . غير أنّ الأخطاء مثل تلك التى لخّصت بإقتضاب أعلاه قد أوقعت خسائرا فادحة . وتضخّمت تبعات هذه الأخطاء بصورة كبيرة خلال الحرب الوطنية الكبرى ضد ألمانيا ، حينما كان قدر من المساومة ضروريّا مع القوى البرجوازية داخل الإتحاد السوفياتي و خارجه التى كانت معارضة للمحور الفاشي . و سمح كلّ هذا بتوفير مزيد من الأرضية للقوى البرجوازية لا سيما البرجوازية صلب الحزب والدولة السوفياتيين(وأشباههما فى الصين سمّاهم لاحقا ماو " أتباع الطريق الرأسمالي ") لإعداد الأرضية لإعادة تركيز الرأسمالية بينما كان ستالين لا يزال على قيد الحياة و ثمّ لإحداث هذا التراجع ليس بعد فترة طويلة من وفاته .

فى هذه السنوات القليلة الأخيرة قام ستالين بالفعل بالتطرّق لبعض المسائل الجوهرية الناشئة عن بقايا الرأسمالية و التى لا تزال على قيد الحياة فى ظلّ الإشتراكية . بصورة خاصّة ، فى **" القضايا الإقتصادية للإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي "**، أشار ستالين إلى أن قانون القيمة و إن لم يكن يلعب دورا تعديليّا فى الإقتصاد ، فقد واصل العمل ضمن مجال محدّد . و قال ستالين إنّ هذا مردّه إلى كون شكل الملكية الإشتراكية فى الريف لم يكن ملكية دولة بل جماعية ، وهو مظهر هام من إستمرار الفروقات بين المدينة و الريف ، و إلى التبادل السلعي لم يقع تعويضه تعويضا تاما بشكل أرقى من التبادل .

وعلاوة على ذلك ، بحث ستالين بعض التناقضات الكبرى التى تجب معالجتها من أجل التقدّم نحو الشيوعية . و إضافة إلى الفروقات بين المدينة و الريف ، أعار إنتباها خاصا إلى تناقض العمل الفكري / العمل اليدوي . و شدّد ستالين على أنّه من أجل التقدّم نحو الشيوعية ، سيكون من الضروري معالجتها و التناقضات الأخرى الموروثة عن الرأسمالية – لإلغاء الفرق الجوهري بين المدينة و الريف و العمل الفكري و العمل اليدوي و ما إلى ذلك .

لكن فى نفس الوقت ، نزع ستالين نحو التعاطي مع مسألة إلغاء هذه الفروقات تقريبا تماما من وجهة نظر تطوير الإنتاج و رفع مستوى الجماهير المادي و التقني و ليس كثيرا من وجهة نظر السياسة والإيديولوجيا . بكلمات أخرى ، لم يضع ستالين تشديدا كبيرا على تحديد هذه الإختلافات إلى الدرجة الممكنة فى كلّ لحظة و كيف أنّ هذا متّصل جدليّا بمهام تطوير الإنتاج و رفع مستوى الجماهير المادي و التقني إلخ و لا على مسألة خوض الصراع فى المجال الإيديولوجي للنضال ضد الإيديولوجيا البرجوازية التى تشجّع عليها هذه الإختلافات .

و من أقوى نقاط مؤلّف ستالين ذاك هو دحضه للإنحرافات التحريفية لل. د . ياروشنكو إذ كتب ستالين : " إنّ خطأ الرفيق ياروشنكو الرئيسي هو أنّه يبتعد عن الماركسية فيما يتعلّق بدور القوى المنتجة و علاقات الإنتاج فى تطوّر المجتمع ، إنّه يبالغ إلى أقصى حدّ ، فى تقدير دور القوى المنتجة و يقلّل إلى أقصى حدّ ، من تقدير دور علاقات الإنتاج ، حتى ينتهي إلى القول بأنّ علاقات الإنتاج فى ظلّ الإشتراكية هي جزء من القوى المنتجة " .(7)

و مضى ستالين ليشير إلى أنّ التناقض بين علاقات الإنتاج والقوى المنتجة يوجد فى ظلّ الإشتراكية لأنّ " تطوّر علاقات الإنتاج يتأخّر و سيتأخّر عن تطوّر القوى المنتجة " (8)

بخطّ صحيح فى القيادة ، شدّد ستالين ، لن يصبح هذا التناقض تناقضا عدائيّا لكن العكس سيحصل لو أنّه تمّ تطبيق خطّ خاطئ .

لكن نقيصة تحليل ستالين لهذه المسألة هي أنّه لم يعترف بعدُ بوجود التناقض الطبقي العدائي بين البروليتاريا والبرجوازية و أن المعالجة الصحيحة للتناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج مرتبطة رئيسيا بالمعالجة الصحيحة للتناقض بين البروليتاريا و البرجوازية ، و بخوض الصراع الطبقي ضدالبرجوازية . و علاوة على ذلك ، مثلما شدّد على ذلك ماو ، بينما أكّد ستالين على تواصل وجود التناقض بين قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج ، لم يقم بالشيء نفسه فى ما يتصل بالتناقض بين القاعدة الإقتصادية والبنية الفوقية : " يتحدّث ستالين عن علاقات الإنتاج فقط و لا يتحدّث عن البنية الفوقية ، ولا عن العلاقة بين البنية الفوقية و القاعدة الإقتصادية..يذكر ستالين الإقتصاد فقط و لا يذكر السياسة ". و " كتاب ستالين من بدايته إلى نهايته لا يتكلّم عن البنية الفوقية . إنّه لا يعتنى بالناس ؛ يعتنى بالأشياء و لا يعتنى بالناس ". (9)

فى هذا النقد المكتوب فى أواخر خمسينات القرن العشرين ، لم يكن ماو يعكس بعض الإختلافات الهامة مع الخطّ السوفياتي فى ظلّ ستالين ، التى طوّرها وحسب لكنّه كان أيضا قد بدأ فى صياغة مزيد التقدّم فى النظرية و الممارسة الماركسية – اللينينية فى مسألة الإقتصاد الساسي ، و على وجه الخصوص بين الثورة و الإنتاج . و مع ذلك ، لم يصغ هذا إلاّ عبر صراع خطين حاد صلب الحزب الشيوعي الصيني حول هذه المسائل عينها وهو صراع سيتواصل و يتعمّق طوال بقية سنوات حياة ماو .

و بالفعل ، منذ زمن كسب السلطة السياسية تطوّر صراع صلب الحزب الشيوعي الصيني حول الطريق الذى يجب سلوكه – الطريق الإشتراكي أم الطريق الرأسمالي . و جاءت معارضة الطريق الإشتراكي من إتجاهين . أوّلا ، هناك أولئك الذين حاججوا من أجل ضرورة الحصول على " المساعدة " من الولايات المتحدة ، حتى و لو أنّ الإمبريالية الأمريكية كانت أعتى قوّة داعمة لتشان كاي تشاك و لا تزال طبعا تحاول إخضاع الصين . مثل هذا الخطّ الذى ينظر إلى الولايات المتحدة من أجل " المساعدة " يعنى فعلا التشجيع على التبعية و الإستسلام للإمبريالية الأمريكية و كان سيعنى ليس فقط عدم إمكانية بناء الإشتراكية فى الصين لكن أيضا أنّ إنتصارات الثورة الديمقراطية الجديدة ستمسح مسحا .

و فى ذات الوقت ، هناك أولئك الذين أرادوا أن يطبّقوا بصرامة المقاربة السوفياتية فى الصين فى ما يتصل بالبناء الإقتصادي ، و كذلك وجد أولئك الذين قد أرادوا أن يتبعوا عن عمى النموذج السوفياتي فى الصراع الذى أدّى إلى إفتكاك السلطة السياسية عبر البلاد بأسرها . و إحتدّ النضال ضد هذا الإنحراف و صار عدائيّا إثر الإنقلاب التحريفي لخروتشاف وزمرته أواسط خمسينات القرن العشرين ، عندما أضحى النموذج السوفياتي نموذجا لإعادة تركيز الرأسمالية.

السياسة الإقتصادية فى المناطق المحرّرة :

فى تعارض مع كلا الخطّين الإنتهازيين ، طوّر ماو بصفة متصاعدة خطّا ثوريّا لبناء الإشتراكية كان متجذّرا فى كلّ من التجربة المديدة و دروس الثورة الصينية أثناء النضال ضد السلطة و تعميق تلخيص التجربة السوفياتية و دروسها الإيجابية و السلبية ، فى ظلّ قيادة ستالين ثمّ مع إنتصار التحريفية . بعض الذين إلتحقوا بماو خلال فترة الثورة الديمقراطية الجديدة ، أمسوا ينظرون إلى خطّه و مبادئه الجوهرية القائدة على أنّه " عفا عليهما الزمن " إثر إفتكاك السلطة السياسية و بات هذا ظاهرة أبرز مع تقدّم الصين فى المرحلة الإشتراكية . بيد أنّ ماو واصل النضال من أجل فهم أنّ المبادئ الجوهرية التى قادت النضال المظفّر و إن كان طويل الأمد و معقّدا من أجل السلطة يجب كذلك أن يرشد الثورة و البناء فى المرحلة الإشتراكية . وضع السياسة فى المصاف الأوّل و التعويل على الجماهير و الإقرار بالدور

الحيوي للفلاحين و أهمّية الريف ، و قتال الفئوية و النزعات البيروقراطية – هذه النقاط و غيرها التى تعكس و تنبع من الخطّ الإيديولوجي و السياسي الممثّل لنظرة البروليتاريا و مصالحها ، ظلّ يشكّل أساس خطّ ماو .

منذ المراحل الأولى للثورة الصينية ، شدّد ماو على أنّه بالنظر إلى السياسة الإقتصادية و كذلك إلى حقول أخرى ، بينما يتمّ إنجاز الثورة الديمقراطية البرجوازية كمرحلة أولى و تتم مقاومة الخطوط " اليسارية المتطرّفة " التى ستصادر القوى الوسطية ذات الأملاك الصغيرة و تدفع بها نحو معسكر العدوّ، كان من الضروري أثناء تلك المرحلة إرساء أسس المستقبل الإشتراكي إقتصاديا و ذلك بطرق أخرى . وفى مقال كُتب فى جانفي 1934 ، متطرّقا لمسألة السياسة الإقتصادية فى المناطق المحرّر ، صاغ ماو الموقف التالي :

" إنّ المبادئ التى توجه سياستنا الإقتصادية هي القيام بكلّ ما هو ممكن و ضروري فى مجال البناء الإقتصادي ، و تركيز قوانا الإقتصادية على تموين الجبهة ، و بذل قصاري جهودنا فى الوقت نفسه فى سبيل تحسين معيشة الشعب ، و تقوية الإتحاد الإقتصادي بين العمّال و الفلاحين ، و تأمين قيادة البروليتاريا للفلاحين ، و العمل على تحقيق الدور القيادي لقطاع الدولة بالنسبة إلى القطاع الخاص ، حتى نستطيع خلق شروط لازمة للإنتقال إلى الإشتراكية فى المستقبل . " (10)

و لاحقا فى مؤلّفه العظيم " **حول الديمقراطية الجديدة** " المكتوب فى جانفي 1940 فى خضمّ الحرب المناهضة لليابان ، أكّد ماو على أنّه لا يجب أبدا إرساء مجتمع رأسمالي من النمط الأوروبي– الأمريكي أو السماح ببقاء المجتمع القديم شبه الإقطاعي على قيد الحياة وأشار إلى أنّه طالما أنّ إقتصاد مرحلة الديمقراطية الجديدة معنيّ ، " فى هذه المرحلة لن نسعى على العموم إلى إقامة الزراعة الإشتراكية ، بيد أنّ أنواعا مختلفة من الإقتصاديات التعاونية التى تكون قد تطوّرت على أساس " الأرض لمن يفلحها " سوف تحتوى على عناصر إشتراكية . " (11)

ومثلما شرحنا فى الفصل الأوّل من هذا الكتاب ، بغية توحيد كلّ القوى الممكن توحيدها ضد الغزاة اليابانيين ، طوال الحرب المناهضة لليابان ، عدّل الحزب الشيوعي الصيني سياسته بشأن العلاقات الإقتصادية الفلاحية ، متراجعا عن سياسة مصادرة أملاك الملاكين العقاريين الكبار فى غالب الأحيان و معوّضا إيّاها بحملة التخفيض فى الإيجار و الأداءات إلخ . لكن هذا لم يعن أنّ مثل هذا التخفيض يمكن بلوغه ولا بالتأكيد الحفاظ عليه دون صراع .

و شدّد ماو على أنّ :

" تخفيض إيجارات الأراضي لهو صراع جماهيري يخوض غماره الفلاحون " و بالتالي : " توجيهات الحزب و مراسيم الحكومة تهدف إلى قيادة و مساعدة هذا الصراع الجماهيري لا إلى إسداء الإحسان للجماهير . إنّ أي شكل من أشكال تخفيض إيجارات الأراضي كإحسان دون إثارة مبادرة الجماهير ليس صحيحا ، و نتائج ذلك لن تكون وطيدة ." (12)

و كان حشد الجماهير المفتاح فى تكريس التخفيض فى الإيجار (و الأداءات) ما خدم بدوره كأساس لتنظيم جماهير الفلاحين للإنتاج قصد مساندة الحكومة الثورية و القوات المسلحة . و كان كذلك حشد الجماهير فى الإنتاج حيويّا . و بينما كان يشدّد على أنّ " أي مسئول لا يعير الإهتمام لدراسة الإنتاج لا يمكن إعتباره مسئولا صالحا " ، نقد ماو بشدّة تلك الكوادر التى تحمل وجهات نظر خاطئة " إنّها لخاطئة وجهة النظر المالية المحافظة و المحضة التى تركز فقط و بصورة وحيدة الجانب على مسألة المصروفات دون الإهتمام بتنمية الإقتصاد . و إنّها لخاطئة وجهة النظر التى تعتنى فقط و بصورة وحيدة الجانب بإشغال الموظفين الحكوميين القلائل فى جمع الحبوب والضرائب و تدبير الأموال والمؤن الغذائية دون الإهتمام بتنظيم الأيدى العاملة الواسعة وسط جمهور العاملين فى الحزب والحكومة و الجيش و جماهير الشعب من أجل شنّ حملة إنتاج جماهيرية . " (13).

هنا كانت معيّنة مسألة حيوية : كيف نخفّف الوزر الذى إضطرّ الفلاحون إلى تحمله فى ظلّ الحكم القديم فى حين فى نفس الوقت يتم توفير القاعدة المادية اللازمة لصيانة النظام الجديد ودعم القوى المسلّحة الثورية فى حرب المقاومة ضد اليابان. و شدّد ماو على أنّ الحلّ يكمن فى تعبئة صفوف الحزب و موظّفي الحزب و الدولة (الكوادر) و كذلك عناصر الجيش إلى أقصى حدّ ممكن ، إلى جانب الجماهير الشعبية فى حملات إنتاج جماهيرية . و بالتوازي مع ذلك ، كان من الحيوي تعبئة الجماهير فى سبيل تغيير علاقات الإنتاج إلى أبعد درجة ممكنة – تركيز فرق تبادل العمل و أشكال أولية أخرى من

التعاون – و أيضا تحقيق إختراقات فى تطوير تقنيات جديدة فى الإنتاج ، حتى مع بقاء وسائل الإنتاج المملوكة بدائية . دون هذا كان سيكون من غير الممكن إطلاق العنان لنشاط الجماهير و إبداعها كعامود فقري لحرب المقاومة ضد اليابان .

و كانت مشاركة الفرق العسكرية فى الإنتاج رابطا مهمّا فى كلّ هذا : ساعدت على التمكين من تخفيف وزر أداءات الحكومة الثورية على الفلاحين . و كما أشار ماو ، لو أمضى الجنود ثلاثة أشهر سنويّا فى الإنتاج و خصّصوا تسعة أشهر للقتال و التدريب ، عندئذ يمكن الحفاظ على وضع أين " جيشنا لا يعتمد فى الحصول على أجوره على حكومة الكومنتنغ و لا على حكومة منطقة الحدود و لا على الشعب ، بل يحصل عليها بالإعتماد الكلّي على النفس " (14).

و ظلّ هذا جزءا هاما من خطّ ماو حول السياسة الإقتصادية . و بصورة خاصة العلاقة بين البناء الإقتصادي و الحرب و مقاومة العدوان فى المرحلة الإشتراكية أيضا .

فى خطابه المعروف جدّا أمام أبطال الشغل فى المناطق المحرّرة (" تنظّموا ! ") ، شدّد ماو مجددا على أنّه هناك منهجان متعارضان فى التعاطي مع مشاكل الإنتاج :

" إن تنظيم قوى الجماهير لهو سياسة محدّدة . هل هناك سياسة مناقضة لها ؟ أجل ، هناك سياسة تفتقر إلى وجهة النظر الجماهيرية ، لا تعتمد على الجماهير ولا تنظمها و لا تعير إهتماما لأمر تنظيم الجماهير الغفيرة فى الريف و الوحدات العسكرية و الدوائر و المدارس و المصانع ، و إنما تحصر الإهتمام فى تنظيم عدد ضئيل من الناس ممن يعملون فى الدوائر المالية و التموينية و التجارية ؛ ولا تنظر إلى العمل الإقتصادي بوصفه حركة عريضة أو بوصفه جبهة واسعة ، بل تنظر إليه بوصفه مجرد وسيلة مؤقتة من أجل سدّ العجز المالي . هذه سياسة أخرى ، وهي سياسة خاطئة ." (15)

و مضى ليثبت من جديد العلاقات بين السياسة الإقتصادية الحالية و التقدّم المستقبلي نحو الإشتراكية . فألمح إلى أنّ " التعاونيّات " هي الآن أهمّ شكل للتنظيم الجماهيري فى المجال الإقتصادي " وقد مثلت حجر زاوية الجسر القائم بين الإقتصاد الفردي للفلاحين الذى وجد لآلاف السنوات فى ظلّ الإقطاعية من جهة والإقتصاد الجماعي للإشتراكية من جهة أخرى . و لاحظ ماو :

" إنّ هذا الإنتاج الفردي المبعثر هو الأساس الإقتصادي للحكم الإقطاعي وهو الذى يبقى الفلاحين على فقر دائم . إنّ الطريقة الوحيدة لتغيير هذه الحالة هي تحقيق الجماعية تدريجيّا ؛ والسبيل الوحيد المؤدّى إلى الجماعية – حسب رأي لينين – هو عبر الجمعيّات التعاونية . لقد نظّمنا حتى الآن عددا كبيرا من الجمعيات التعاونية للفلاحين فى منطقة الحدود ، و لكنها ، فى الوقت الحاضر ، ليست إلا جمعيات تعاونية من نمط بدئي ، و لا بد لها أن تجتاز فى تطورها مراحل عدة قبل أن تصبح فى المستقبل جمعيات تعاونية من ذلك النمط السوفياتي المعروف بالمزارع الجماعية . إن إقتصادنا هو إقتصاد الديمقراطية الجديدة ، وجمعياتنا التعاونية لا تزال فى الوقت الراهن، منظمات العمل الجماعي القائمة على أساس الإقتصاد الفردي (على أساس الممتلكات الخاصة)." (16)

هنا خطّ ماو المسار الأساسي لكون التعاونيّات فى الريف الصيني ستشهد تقدّما فى الإقتصاد الفلاحي إلى العلاقات الإشتراكية ، بخطوة أولى مناسبة للمرحلة الديمقراطية الجديدة ألا وهي فرق تبادل العمل . و على غرار ما فعل مع كلّ شيء آخر ، وضع ماو تشديدا على أنّ نجاح هذه الفرق يرتهن بتعبئة الجماهير ونشاطها الواعي . و بالفعل لاحظ أنّ :" أساليب التعاون المتبادل الجماعي هذه قد إبتكرتها الجماهير نفسها ..." و مهمّة الحزب كانت تلخيصها و نشرها جماهيريا. (17)

و عقب ذلك بسنوات ، مع إقتراب الإنتصار فى الحرب المناهضة لليابان ، أكّد ماو مجدّدا على أهمية المعالجة الصحيحة للسياسة الإقتصادية . و على وجه الخصوص ، نقد أولئك الرفاق الذين لم يركّزوا السياسة الإقتصادية على الظروف الملموسة للنضال الثوري فى الصين ، و خاصة على كون هذا النضال كان حينها مرتكزا فى الريف و يجب القيام بذلك بالتقدّم من الريف إلى المدن :

" إنّنا نريد أن نوجه الضربات إلى الغزاة اليابانيين و أن نستعد للإستيلاء على المدن و إسترداد الأراضي المفقودة . لكن كيف يمكننا تحقيق ذلك و نحن نعيش فى المحيط الريفي القائم على الإقتصاد الفردي ، المعزول من قبل العدو ، والذى تدور فيه رحى حرب العصابات ؟ إنه لا يجوز لنا أن نقتدي بالكومنتنغ الذى لا يعمل بسواعده ، بل يعتمد كليا على

الأجانب حتى فى الضرورات اليومية مثل الأقمشة القطنية . إننا ندعو إلى الإعتماد على النفس . ونأمل فى العون الخارجي ، و لكن لا يجوز لنا أن نعتمد عليه ،و إنّما نعتمد على جهودنا الخاصة ، على القوة الخلاقة فى الجيش كلّه و الشعب قاطبة . إذن ما هي الطريقة فى سبيل ذلك؟ إنّنا نتّخذ طريقة حملة الإنتاج الواسعة النطاق التى يشنّها الجيش و الشعب فى وقت واحد . " (18)

و كان هذا مرتبطا بمبدأ طبّقه ماو فى الحرب - تركيز القوى من أجل معركة سحق - مبدأ واصل تطبيقه لبناء الإقتصاد ، لا سيما بالنظر إلى العلاقات المفاتيح و المشاريع المفاتيح فى الإقتصاد ، فى كلّ من المرحلتين الديمقراطية الجديدة و الإشتراكية .

وهو يتعاطى بشكل خاص مع الوضع الذى كان حينها يواجه الثورة ، ما أكّد عليه ماو فى المقتطف أعلاه – حول أهمّية الريف و تعبئة الجماهير و مشاركة الجيش فى الإنتاج إلى جانب القتال و التدريب و التعويل على الذات عموما – و كلّ هذا لم يكن ذا أهمية حيوية فقط فى تلك الظروف بل ظلّ مبادئا أساسية حتى بعد كسب السلطة السياسية عبر البلاد بأسرها و دخول المرحلة الإشتراكية .

و الشيء نفسه ، فى ذات المقال ، قال ماو :

" و بما أنّنا نعيش فى الريف ، حيث القوة البشرية و الموارد المادية مبعثرة ، فقد تبنينا سياسة " القيادة الموحدة و الإدارة اللامركزية " فى الإنتاج و التموين ." (19) و كان هذا وثيق الإرتباط بالمبدأ العسكري الذى طوّره ماو للمزج بين الإستراتيجيا المتحدة و القيادة الإستراتيجية مع قيادة غير مركزية و مرونة و مبادرة فى حملات و معارك خاصة . (أنظروا الفصل السابق) . و هذا المبدأ أيضا رفعه و طبّقه ماو فى المرحلة الإشتراكية - و إن كان مجدّدا ليس دون صراع حاد صلب الحزب الشيوعي ذاته .

مباشرة بعد هزيمة الإمبرياليين اليابانيين ذكّر ماو مجدّدا الحزب و الجماهير بأنّ الإنتصارات المكتسبة بفضل جهودهم الخاصة لا يمكن الدفاع عنها و لا يمكن بلوغ إنتصارات جديدة إلاّ بمواصلة تكريس التعويل على الذات .

معدّا لمواجهة محاولة تشان كاي تشاك المضادة للثورة لإفتكاك ثمار هذا الإنتصار و إعادة تركيز الحكم الرجعي عبر الصين ، أكّد ماو أنّه " يتوقف علينا تنظيم الشعب للإطاحة بالرجعيين فى الصين " (20)

و مستعملا مثالا من فترة سابقة فى الثورة الصينية لمّا رفض ملاك عقّاري كبير الإستسلام و ظلّ متمترسا فى قريته إلى أن دخلها الجيش الثوري و مسحه مسحا ، لفت ماو النظر إلى واقع وجود عديد مثل هذه " القرى المتمترسة " الرجعية فى الصين و إستخلص درس أنّ :

" كلّ ما هو رجعي لا يسقط إذا لم تضربه . و هذا يشابه عملية الكنس ، فالغبار لا يزول عن مكانه من تلقاء نفسه إذا لم تزله المكنسة. " (21)

و إذن ما الذى يمكن ويجب التعويل عليه لكنس الصين من الحكم الرجعي ؟ صرّح ماو بأنّ التعويل يجب أن يكون على جماهير الشعب بقيادة الحزب الشيوعي و تساءل " على أي أساس ينبغى أن ترتكز سياستنا ؟ " و أجاب " على قوتنا الخاصة ، هذا ما يسمى الإعتماد على النفس " (22) . ومرّة أخرى ، كان كذلك مبدأ جوهريّا ناضل ماو من أجله و طبقه ليس فقط فى قيادة الثورة الديمقراطية الجديدة الصينية نحو الإنتصار التام عبر الحرب الثورية الناجحة ضد تشان كاي تشاك ، لكن كذلك فى التقدّم فى الثورة الإشتركية و البناء الإشتراكي إثر الإنتصار. و مجدّدا ، لم يقم ماو بهذا إلاّ عبر خوض الصراع الحاد صلب الحزب الشيوعي ذاته ضد الذين عارضوا سياسة التعويل على الذات و الإعتماد على النفس.

ماو يحلّل المهام الجديدة :

و من ناحية أخرى ، لم يكن من الممكن للسياسات المتبنّاة فى الريف أثناء السنوات الطويلة للنضال الثوري الذى تركّز هناك تطبيقها آليّا فى المدن . و حتى فى الريف ، كان يتعيّن رسم تمايز بين الفلاحة و الصناعة ، بين السياسات التى قادت الثورة الفلاحية المناهضة للإقطاع و تلك التى يجب إستعمالها بشأن الإنتاج الرأسمالي و التجارة . و تطلّبت معالجة هذا

معالجة صحيحة مزيد تعميق تسليح الحزب و الجماهير بنظرة بروليتارية بعيدة النظر و تربيتها على إدراك مصالحها العامة و البعيدة المدى .

عالج ماو هذه المسائل فى مقال كتب فى بدايات 1948 عندما كان بعدُ يمكن رؤية النهاية المظفّرة فى الحرب ضد تشان كاي تشاك فى الأفق و مسالة إفتكاك المدن الكبرى وإدارتها كانت بعدُ مسألة راهنة . و حذّر ماو أنّه : " ينبغى الإحتراس مسبّقا من خطإ ان تطبّق فى المدن التدابير المستخدمة فى الريف فى النضال ضد ملاك الأراضي و الفلاحين الأغنياء " .

و أضاف تشديدا على أنّه : " يجب التمييز بدقّة بين القضاء على الإستغلال الإقطاعي الذى يمارسه ملاك الأراضي و الفلاحون الأغنياء و حماية مؤسساتهم الصناعية و التجارية ، كما يجب التمييز بدقة بين السياسة الصحيحة ، سياسة زيادة الإنتاج و تنمية الإزدهار الإقتصادي و مراعاة المصالح العامة و الخاصة معا و منفعة العمل و الرأسمال فى وقت واحد و السياسة الوحيدة الجانب القصيرة النظر ، المسماة بسياسة الإغاثة التى ترمي إلى رفاهية العمال و لكنها فى الواقع تلحق الضرر بالصناعة و التجارة و بقضية الثورة الشعبية . و ينبغى القيام بعمل تثقيفي بين الرفاق النقابيين و جماهير العمال لجعلهم يدركون أن عليهم ألا يروا فقط المصالح المباشرة و الجزئية ناسين مصالح الطبقة العاملة العامة و البعيدة المدي . " (23)

ما كان ماو يرفع رايته هنا هو كلّ من السياسة الصحيحة للمرحلة الديمقراطية الجديدة الراهنة من الثورة و الأساس الصحيح لإنجاز التقدّم المستقبلي من ثمّة إلى المرحلة الإشتراكية . و كان هذا متضاربا مباشرة مع خطّ كان سيجعل من الثورة الديمقراطية نهاية فى حدّ ذاتها و كان سيشجّع على الفكر العسكري و الإقتصادوية ضمن العمّال ، دافع نحو التحسين الفوري على المدى القصير فى ظروفها – " إعانة " – ضد مصالحها الجوهرية فى إيجاد الظروف الماديّة و كذلك السياسية و الإيديولوجية للتقدّم صوب الإشتراكية – بما فى ذلك تحقيق الإنتصار النهائي فى الحرب ضد تشان كاي تشاك .

و كان النضال ضد هذا النوع من الخطّ الخاطئ يتحوّل بإطراد إلى عامل حاسم بالضبط لأنّ إفتكاك السلطة السياسية عبر البلاد بأسرها كان فى الأفق . و مع بلوغ السلطة السياسية ، برزت إلى السطح مسألة ما إذا سيُسلك الطريق الرأسمالي أم الطريق الإشتراكي . و فى مارس 1949 ، فى أهمّ خطاب له أمام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصين ، حلّل ماو الوضع و المهام المباشرة التى تواجه الحزب مع إفتكاك المدن الكبرى و النهاية المظفّرة لحرب التحرير ضد تشان كاي تشاك و داعميه الإمبرياليين الأمريكان .

وصرّح ماو بأنّ المهمّة المركزية مباشرة بعد إفتكاك السلطة ، يجب أن تكون الإنتاج والبناء . لماذا ؟ لأنّه فى حال وقوع العكس لن يمكن تعزيز السلطة السياسية و التقدّم صوب الإشتراكية سيكون بالطبع مستحيلا أيضا . و بصراحة تامة قال :

" إذا بقينا على جهل بشؤون الإنتاج و لم نتعلمها بسرعة ، و إذا لم نستطع إنعاش و تطوير الإنتاج بأقصى سرعة ممكنة وتحقيق نجاحات حقيقية بحيث نحسّن أوّلا معيشة العمّال و كذلك معيشة الشعب عامة ، فإنّنا لن نتمكن من المحافظة على سلطتنا السياسية و لا من تثبيت أقدامنا ، بل سوف نمنى بالفشل ." (24)

هنا كان ماو يتبع سياسة مشابهة لتلك التى تبنّاها لينين خلال السنوات القليلة الأولى من الجمهورية السوفياتية – فترة شيوعية الحرب ثمّ السياسة الإقتصادية الجديدة – عندما كان من الحاسم إعادة تأهيل الإقتصاد الوطني فى ظلّ حكم البروليتاريا لتحديد ما إذا كانت سلطة الدولة البروليتارية الجديدة ستبقى على قيد الحياة أم لا و تستطيع أم لا التقدّم لإنجاز التحويل الإشتراكي و تطوّر الإقتصاد . غير أنّه حتى فى ظلّ هذه الظروف ، مثلما شدّد على ذلك لينين فى معركة شرسة ضد تروتسكي و بوخارين و إنتهازيين آخرين ، فإنّ سلطة الدولة ستضيع لا محالة من أيدي البروليتاريا و ثمّ بالطبع لن تقدر على معالجة مشاكل الإنتاج كذلك.

لذا أيضا ، ناضل ماو ضد الخطوط الخاطئة التى كانت إمّا ستطلق العنان للرأسمالية الخاصة وترفع من موقعها فوق مؤسسات الدولة فى السياسة الإقتصادية وإمّا ستحدّد بصورة مبالغ فيها أو تحاول حتى إلغاء الرأسمالية الخاصة تماما ، غير مستعملة لها فى إعادة تأهيل الإقتصاد و الإنطلاق فى تطويره . و فى تعارض مع كلا الخطئين ، شدّد ماو على أنّه :

" يجب السماح لجميع العناصر الرأسمالية فى المدن و الأرياف و التى ليست ضارة بل نافعة للإقتصاد الوطني ، أن تبقى و تتطوّر . وهذا ليس أمرا حتميا فحسب ، بل هو ضروري إقتصاديّا. و لكن لا يمكن أن نترك الرأسمالية تبقى و تتطوّر فى الصين كما هي الحال فى البلدان الرأسمالية حيث تطغى بدون قيود . فإنّ الرأسمالية فى الصين سوف تقيد من عدّة نواح – من نواحى نطاق نشاطها و السياسة الضريبية و أسعار السوق و ظروف العمل ." (25)

و هذه السياسة ، سياسة السماح بالرأسمالية و تقييدها و تدريجيّا تحويل الملكية الخاصة فى الصناعة إلى ملكية دولة إشتراكية من خلال سلسلة من الخطوات التى كانت أساسية لإنجاز الإنتقال من الديمقراطية الجديدة إلى الإشتراكية . وأثناء هذه السيرورة من الإنتقال و التحويل ، أشار ماو إلى أنّ : " التقييد و مقاومة التقييد سيكونان الشكل الرئيسي للصراع الطبقي فى داخل دولة الديمقراطية الجديدة " (26).

مثل هذه السياسة على صحّتها بالنظر إلى الرأسماليين الوطنيين – البرجوازية الوسطى – لا يمكن مطلقا تطبيقها على الإمبرياليين و لا على البرجوازية الكبرى فى الصين ، الرأسماليين البيروقراطيين الذين يملكون تقريبا 80 بالمائة من الرأسمالية الصينية . هؤلاء يجب على الفور مصادرة أملاكهم بهدف مزدوج هو كسر القاعدة الإقتصادية و السياسية لقوّتهم و لتحرير القوى المنتجة و جعل من الممكن إعادة تأهيل الإقتصاد و تطويره بسرعة . و على حدّ ما قاله ماو :

" إنّ مصادرة هذا القسط [الأكبر و الأهمّ من الرأسمال الممركز فى أيدى الإمبرياليين و كلابهم البرجوازيين البيروقراطيين الصينيين] و تحويله إلى ملكية الجمهورية الشعبية التى تقودها البروليتاريا سوف يمكنان هذه الجمهورية من السيطرة على عصب الإقتصاد فى البلاد ، و يجعلان من إقتصاد الدولة القطاع القيادي فى الإقتصاد الوطني كلّه . إنّ هذا القطاع من الإقتصاد ذو طابع إشتراكي لا رأسمالي ." (27)

<u>من الديمقراطية الجديدة إلى الإشتراكية :</u>

و مجدّدا كان هذا حيويّا فى إجراء الإنتقال من الديمقراطية الجديدة إلى الإشتراكية . و كما لخّص ماو تاليا : " للنضال ضد الرأسمالية البيروقراطية طابع مزدوج ؛ له طابع ديمقراطي ثوري طالما أنه يعارض الرأسمال البيروقراطي ، لكن له طابع إشتراكي طالما أنه يعارض البرجوازية الكبيرة "(28).

و أدّى تركيز أولوية قطاع الدولة و التحكّم فى الإقتصاد عامة من قبل الدولة التى تقودها البروليتاريا و حزبها – كان هذا هو الشرط الجوهري لبلوغ الإنتقال إلى الإشتراكية . كان مفتاح معالجة التناقضات الأساسية كما ظهرت أثناء الفترة بالضبط إثر إفتكاك السلطة السياسية عبر البلاد بأسرها .

عند هذه النقطة ، أجرى ماو تحليلا غاية فى الأهمّية فحواه أنّه مع الإنتصار فى الثورة الديمقراطية الجديدة و عبر البلاد بأسرها ، " سيبقى فى الصين تناقضان أساسيّان . الأوّل داخلي وهو التناقض بين الطبقة العاملة و البرجوازية . والثاني خارجي وهو التناقض بين الصين و الدول الإمبريالية . " (29)

و كان هذا التحليل ليبقى مسألة خطّ حيوية و محور صراع خطين حاد صلب الحزب الشيوعي الصيني طوال بقية حياة ماو . و مطبّقا إيّاه حينها على الوضع الراهن والمهمّة الملحّة ، تحقيق إنتصار الثورة الديمقراطية الجديدة والإنتقال إلى الإشتراكية ، عبّر ماو عن : " سوف يكون تحديد الرأسمال فى الداخل و السيطرة على التجارة الخارجية هما السياستين الأساسيتين لهذه الدولة فى نضالها الإقتصادي . و من يهمل هذه النقطة أو يقلّل من شأنها ، فإنّه سيقترف أخطاء جسيمة للغاية ." (30)

وفى نفس الوقت ، نبّه ماو إلى الأهمية الهائلة لمسألة الفلاحين و لمواصلة الثورة الفلاحية إلى ما بعد الخطوة الديمقراطية البرجوازية للإصلاح الزراعي – وهو ما أنجز على نطاق واسع مع نهاية حرب التحرير . لقد ألغي إعطاء " الأرض لمن يفلحها " قاعدة الإقطاع لكن ليس قاعدة العلاقات الرأسمالية فى الريف . و إثر ملاحظة أنّ " المشكلة الخطيرة هي مشكلة تثقيف الفلاحين " قال ماو :

" و لمّا كان إقتصاد الفلاحين إقتصادا مجزأ ، فإن جعل الزراعة إشتراكية سيستغرق وقتا طويلا و يتطلّب عملا دقيقا على ضوء تجربة الإتحاد السوفياتي . و بدون جعل الزراعة إشتراكية ، لا يمكن تحقيق إشتراكية كاملة موطّدة . و جعل

الزراعة إشتراكية يجب أن يتوافق فى عملية ذلك تطوير صناعة قوية يتألّف قطاعها الرئيسي من مؤسسات الدولة . " (31)

و محلّلا تبعات ذلك على مجال السياسة بما هي التعبير المركّز عن الإقتصاد ، أشار ماو إلى أنّ الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية شكل من أشكال دكتاتورية البروليتاريا مناسب لظروف الصين مع إنتصار الثورة الديمقراطية الجديدة : " يقوم على تحالف الطبقة العاملة و طبقة الفلاحين و طبقة البرجوازية الصغيرة فى المدن ، و بصورة رئيسية يقوم على تحالف العمّال و الفلاحين ، لأن هاتين الطبقتين تؤلفان 80 إلى 90 بالمائة من مجموع سكّان الصين . إنّهما القوّة الرئيسية فى الإطاحة بالإمبريالية و زمرة الكومنتنغ الرجعية ، كما أنّ الإنتقال من الديمقراطية الجديدة إلى الإشتراكية يتوقف أساسا على تحالفهما . " (32)

و فى غضون سنوات سبع من تأسيس الجمهورية الشعبية فى أكتوبر 1949 ، تمّ فى الأساس التحويل الإشتراكي للملكية فى كلّ من الصناعة و الفلاحة . بيد أنّ هذا لم ينجز بطبيعة الحال دون صراع طبقي شرس فى كلّ من المجتمع ككلّ و صلب الحزب الشيوعي ذاته . ففى هذه الفترة ، تمحور الصراع الطبقي – الصراع بين الطريق الإشتراكي و الطريق الرأسمالي – أساسا حول مسألة الملكية و كذلك وجدت صراعات حادة حول مسائل الإدارة و أولوية الإستثمار و قضايا جوهرية أخرى متصلة بالسياسة الإقتصادية .

و تبعا للخطوط العريضة التى أرساها ماو ، حسب ما عرضنا قبلا ، طبّق الحزب الشيوعي فى الصناعة خطّ المصادرة المباشرة لممتلكات الإمبريالية و الرأسمالية البيروقراطية بينما كان يكرّس التحويل خطوة خطوة للرأسمالية الوطنية . و هذا لم يسمح بإستعمال الدور الإيجابي للرأسمال الوطني فى إعادة تأهيل الإقتصاد و تطويره فحسب بل كذلك بإستعمال الرأسماليين الوطنيين فى الإدارة فى المؤسسات المشتركة بين الدولة و الخواص التى أنشأت كحلقة هامة فى هذا التحويل. و تلقّت مؤسسات الدولة ذاتها معظم الإستثمارات وأقيمت بإعتبارها القطاع الأهمّ . و كان هذا حاسما فى تركيز هيمنة قطاع الدولة من الإقتصاد و الحفاظ عليه و فى إجراء التحويل الإشتراكي للصناعة .

<u>طريقان بعد التحرير :</u>

لكن كلّ هذا بطبيعة الحال قد ولّد تناقضات جديدة وصراعات جديدة . فإضافة إلى المشاكل التى ظهرت فى إستعمال الرأسماليين الوطنيين فى الإدارة و حتى فى مواقع تخطيط ، فإنّ الرأسماليين الكبار السابقين وعناصر رجعية أخرى لم تقم بالتخريب و المقاومة المباشرة للتحويل الإشتراكي وحسب ، بل إنّ عددا منهم نجح عمليّا فى التسرّب إلى مواقع مفاتيح فى الإقتصاد ومنها مواقع فى قطاع الدولة . و كما حذّر ماو فى الإجتماع العام الثاني للجنة المركزية السابعة فى مارس 1949 ، يجد عدد من أعضاء الحزب الذين وقفوا ببطولة أمام الرصاص الفعلي للعدوّ طوال سنوات الحرب الثورية ، يجد من العسير مقاومة رصاصات البرجوازية المغلّفة بالسكّر فى الوضع الجديد أين يكون كوادرالحزب هؤلاء فى مواقع سلطة.

و لمواجهة ذلك و كجزء أساسي من المضي قدما فى تطبيق ليس فقط إعادة تأهيل الإقتصاد بل كذلك سياسة التحويل الإشتراكي ، شنّ الحزب نضالا ضد " الشرور الثلاثة " ، الفساد و التبذير والبيروقراطية فى التسيير و الإدارة و " الشرور الخمسة " ، الفساد والتهرّب من الضرائب وسرقة ملكية الدولة و الغشّ فى عقود الحكومة و سرقة المعلومات الإقتصادية للإستعمال الشخصي . و الجدّية التى بها ينبغى خوض هذه الصراعات يعبّر عنها هذا الموقف لماو فى أواخر سنة 1951 : " يجب التشديد على النضال ضد الفساد والتبذير والبيروقراطية بذات قدرالنضال لسحق المعادين للثورة " (33) و دعا ماو إلى ربط النضال ضد هذه الشرور الثلاثة بالنضال ضد " الشرور الخمسة " – مأكّدا أنّ " هذا فى آن معا إجباري و راهن" (34).

ولم يعن هذا على كلّ حال أنّ مثل هذا الصراع يجب أن يجري كصراع بين الشعب و العدوّ و إن كان ذلك فى بعض الحالات ضروريّا . يجب رسم خطوط تمايز فى ما يتصل بجدّية الحالات لكن مع ذلك ينبغى خوض الصراع بحدّة - " هكذا فقط يمكننا التأكّد من مدى خطورة عديد أعضاء الحزب الذين أفسدتهم البرجوازية " ، و نحول دون تفكّك تطوّر الإقتصاد و التحويل بإتجاه الإشتراكية " (35).

ومع ذلك ، ما نجح خوض الصراعات بطريقة " من أعلى " وحسب بل تطلّب تعبئة الجماهير . ومثلما أشار ماو ، جزء هام من النضال ضد " الشرور الخمسة " بصورة خاصة كان " التركيز التدريجي لنظام فى ظلّه يراقب العمّال و المساعدون الإنتاج و الإدارة " .(36)

لكن صراعا أكثر حيوية خلال هذه الفترة حصل صلب الحزب ذاته ضد الذين شجّعوا و قاتلوا من أجل خطّ يعارض تطبيق التحويل الإشتراكي . مثّل هؤلاء التحريفيين ، بمن فيهم ليوتشاوتشي وأصناف مشابهة فى أعلى قيادة الحزب ، حاججوا بأنّه عوض الإنتقال من المرحلة الديمقراطية إلى المرحلة الإشتراكية عقب إفتكاك السلطة السياسية ، المهمّة هي " تعزيز الديمقراطية الجديدة " .

فى المجال الإقتصادي ، ضد سياسة إستعمال مع تقييد وتحويل تلك القطاعات من الرأسمال التى يمكن أن تساهم فى إعادة تأهيل الإقتصاد و تطويره ، ألحّت هذه العناصر الديمقراطية البرجوازية التى تحوّلت إلى أتباع الطريق الرأسمالي ، على أنّه يجب تشجيع الرأسمالية و بلا حدود محاججة حتى بأنّ " الإستغلال ميزة إيجابية " . و عارضت بصفاقة ماو الذى بعدعدّة سنوات من إعادة التأهيل الناجحة للإقتصاد ، فى توافق مع التوجّه الأساسي الذى رسمه قبل ما يناهز الأربع سنوات ، قد صاغ فى نهاية 1952 الخطّ العام للإنتقال إلى الإشتراكية مناديا بالتطوير خطوة خطوة للتصنيع الإشتراكي و التحويل الإشتراكي للفلاحة والصناعات التقليدية و كذلك الصناعة و التجارة الرأسماليين .

لعقلنة معارضتهم ، طبخ هؤلاء التحريفيين الممثّلين فى مجال النظرية و الفلسفة ببعض الجامعيين الرجعيين و أبرزهم يانغ هسيان – تشان ، " ما يسمى بنظرية " القاعدة الإقتصادية المزدوجة " و بالتالي كانوا وراء أوّل صراع كبير على الجبهة الفلسفية " فى الصين الجديدة (37) .

و تحاجج هذه الخدعة ، هذه النظرية البرجوازية ، بأنّه أثناء المرحلة الإنتقالية ، يجب على القاعدة الإقتصادية أن تتكوّن من القطاعين الرأسمالي والإشتراكي المتعايشين بتناغم و بوجوب أن تخدم البنية الفوقية كلا القطاعين وأن تخدم حتى البرجوازية . و جاء هذا صدى لبوخارين الذى كما مرّ بنا ذلك ، حاجج فى الإتحاد السوفياتي فى عشرينات القرن العشرين بأنّ الرأسمالية ستنمو بسلام ضمن الإشتراكية و بالتالي يجب تشجيعها بلا حدود.

و طبعا ، وكما ألمحنا إلى ذلك ، خلال مرحلة الإنتقال إلى الملكية الإشتراكية فى الصين ، سُمح للرأسمال الخاص بلعب دور معيّن ، لكن بهدف التقدّم على الطريق الإشتراكي كان من الضروري تركيز أولوية القطاع الإشتراكي عبر الدولة البروليتارية وخوض الصراع الطبقي لبلوغ إنتصار العلاقات الإشتراكية على العلاقات الرأسمالية و إحداث التحويل الإشتراكي . و المرافعة من أجل نوع من " الإنسجام " بين الرأسمالية والإشتراكية و حتى المحاججة بأنّ البنية الفوقية ، بما فى ذلك سلطة الدولة ، يجب أن تخدم القطاعين و تخدم حتى البرجوازية كان يعنى فعليّا الدفاع عن إنتصار الرأسمالية على الإشتراكية وإرساء سلطة الدولة البرجوازية معزّزة إستغلال البروليتاريا وجماهير الشعب الواسعة.

و بشأن الفلاحة على وجه الخصوص ، عارض ليوتشاوتشى و تحريفيون آخرون و حاولوا بنشاط خنق تحويل التعاونيات و تخريبها . و قد شدّدوا على أنّ أيّ مسعى لإنجاز التعاونيات يرتهن بالتطوّر المسبّق للصناعة الثقيلة ، وهو بدوره لا يمكن أن يتطوّر سوى بالتعويل على التقنية الأجنبية وفق هذه النظرة و أنّه فى إنتظار ذلك ينبغى على الفلاحين أن يمضوا وحدهم فى الفلاحة الخاصة . و كان بإمكان هذا بالطبع أن يؤدّي إلى إستقطاب واسع النطاق وتعزيز القوى الرأسمالية فى الريف .

و قد نقد ماو بحدّة هذا الخطّ وناضل ضدّه بشدّة . و بيّن أنّ حركة التعاونيات فى الصين يجب أن تسبق مكننة الفلاحة وأنّه إذا لم يتمّ إنجاز التحويل التعاوني فإنّ تحالف العمّال و الفلاحين الذى بُني خلال مرحلة الديمقراطية الجديدة على قاعدة برنامج ديمقراطي برجوازي ، لن تمكن صيانته و تطويره إلاّ على قاعدة جديدة ، قاعدة إشتراكية .

و مع 1955 ، بلغ هذا الصراع مفترق طرق . عندها أعرب ماو عن أنّه رغم التقدّم خطوة خطوة من فرق التعاون المتبادل إلى التعاونيات الصغيرة للمنتجين الفلاحين :

" ما يوجد فى الريف اليوم هي الملكية الرأسمالية للفلاحين الأغنياء و بحر واسع من ملكية الفلاحين الفرديين . و مثلما هو واضح للجميع ، فإن القوى العفوية للرأسمالية كانت تنمو بإستمرار فى الريف فى السنوات الأخيرة ، مع الفلاحين الأغنياء

منتشرين فى كلّ مكان و العديد من الفلاحين المتوسطين المترفهين يصارعون ليصبحوا فلاحين أغنياء . من جهة ، عديد الفلاحين الفقراء لا زالوا يعيشون الفقر لنقص وسائل الإنتاج ، و البعض منهم يقعون فى الديون و آخرون يبيعون أو يأجّرون أرضهم . و إذا تواصلت هذه النزعة دون مراقبة ، من الحتمي أنّ الإستقطاب فى الريف سيسوء يوما فيوما . " (38)

و أجاب ماو الذين كانوا يصرخون بالخطّ التحريفي فى هذه المسألة بقلب ججهم ضدّهم . فردّا على هجوم أنّه كان من دعاة التقدّم المتسرّع فى الريف وخاصّة ردّا على موقف " إن لم تنزل عن الحصان بسرعة سيوجد خطر كسر التحالف بين العمّال و الفلاحين " ، أجاب ماو : " هذه على الأرجح " حجة " صاغها قسم العمل الريفي التابع للجنة المركزية . و هذا القسم لا يصنع الإشاعات لكن كذلك يصنع الكثير من " الحجج " . أعتقد أنّ هذا الموقف فى الأساس " صحيح " – و فقط كلمة واحدة تحتاج أن نغيّرها أي أن نعوّض كلمة نزول إلى صعود . أنتم يا رفاق قسم العمل الريفي لا يجب أن تشعروا باليأس، لأنّنى قبلت كل كلماتكم و غيّرت كلمة فقط . و الإختلاف يكمن فى كلمة واحدة ، جدالنا يتعلّق بكلمة واحدة – أنتم تريدون النزول عن ظهر الحصان بينما أريد الصعود على ظهره ". إذا لم تصعدوا على ظهر الحصان بسرعة ، سيوجد خطر كسر تحالف العمّال و الفلاحين " والخطر بالتأكيد سيوجد. " (39)

و أوضح ماو أنّ الطريق الوحيد إلى الأمام كان تعبئة الفلاحين " ليشيدوا المزيد على أساس هذه التعاونيات الصغيرة شبه الإشتراكية وتنظيم تعاونيات كبيرة إشتراكية تماما من المنتجين الفلاحين " لمزيد التوحيد على أساس هذه التعاونيات الصغيرة شبه الإشتراكية و تنظيم " تعاونيات " منتجين فلاحيين واسعة و إشتراكية تماما " . و قال " إنّ قاعدة ذلك متوفّرة و بالفعل الخطّ الخاطئ لبعض السلط الحزبية هو الذى كان يشدّ الأمور إلى الخلف . و صرّح أنّه " يجب علينا الآن أن ندرك أنّه ستوجد قريبا موجة عالية على نطاق البلاد بأسرها من التحويل الإشتراكي فى الريف " (40).

و كان ماو على صواب . و إنتصر خطّه على الخطّ التحريفي ؛ و فى نهوض هائل ، إنتصرت حركة التحويل التعاوني الإشتراكية على الملكية الخاصة فى الريف .

و كان من خلال هذا النوع من الصراع فى المجتمع ككل و بطريقة مركّزة ضمن الحزب الشيوعي ذاته أن تركّزت الملكية الإشتراكية فى الأساس فى المدن و الريف ، فى الصناعة و الفلاحة – و كذلك بالطريقة نفسها فى الصناعات التقليدية و التجارة – سنة 1956 . لكن هذا لم يعن نهاية الصراع الطبقي فى المجتمع أو فى الحزب الشيوعي ؛ ببساطة تقدّم بالثورة الإشتراكية و البناء الإشتراكي و الصراع بين الطريق الإشتراكي و الطريق الرأسمالي إلى مرحلة جديدة .

<u>التعلّم من الجانب السلبي للتجربة السوفياتية :</u>

حينذاك كانت جمهورية الصين الشعبية تطبّق مخطّطها الخماسي الأوّل الذى تم الشروع فيه فى 1953 . و كان هذا المخطّط يتّبع بصورة واسعة الإتحاد السوفياتي و يتضمّن مساعدة كبرى منه . و قد عوّل أكثر من اللازم على تطوير الصناعة الثقيلة على حساب الفلاحة والصناعة الخفيفة ، و على التخطيط العالي المركزة على حساب المبادرة المحلّية . لقد نادا بأشياء مثل إدارة الفرد الواحد و التعويل على الأخصّائيين وإجراءات أخرى مثل القوانين والضوابط التى كانت تقمع أكثر منها تطلق العنان لنشاط العمّال – الذين كان من المفترض أن يتذكّروا و بصرامة يتحملوا دائما مثل هذه القوانين و الضوابط .

كان هذا ما ترغب فيه القوى المحافظة و قد غلّفه بصفة متصاعدة عدّة بيروقراطيين خاصة بالنسبة لأولئك التحريفيين فى الحزب الشيوعي الصيني الذين رفضوا إستخلاص دروس صحيحة منها و أكّدوا عوض ذلك على تكرار التجارب السلبية للإتحاد السوفياتي . و لكنّه لم يكن بصورة متصاعدة يعجب ماو الذى أكّد على تلخيص هذه الأخطاء مع التعلّم من التجربة الإيجابية لأوّل دولة إشتراكية .

وفى تعارض مع النموذج السوفياتي، قد شرع ماو بعدُ فى رسم طريق مغاير للتطوّر الإشتراكي للصين، تطوّر مناسب لظروفها الخاصة و أكثر من ذلك تطوّر سيتجنّب أخطاء ونواقص الإتحاد السوفياتي حتى فى ظلّ قيادة ستالين . وتجدر أنّه فى رسم هذا المسار لم يكن ماو أبدا يلتحق أو يتبع خطى أولئك أشباه التحريفيين اليوغسلافيين الذين سلكوا ما يسمى بالطريق " المستقلّ " فى الإقتصاد والسياسة – أي الذين سلكوا الطريق الرأسمالي تحت يافطة معارضة ستالين و الإتحاد

السوفياتي فى ظلّ قيادته . ما عارضه هؤلاء المرتدّون لدى ستالين لم يكن أخطاءه – مثلا نزعته نحو تبنّى مظاهر من " نظرية قوى الإنتاج " واضعا الأخصّائيين فى موقع القيادة إلخ . ما عارضوه لدي ستالين و الإتحاد السوفياتي فى ظلّ قيادته كان بالضبط ما كان صائبا و عموما الشيء الجوهري لديه – رفعه جوهريّا لراية الماركسية – اللينينية وبناء إشتراكية حقيقية على هذا الأساس .

كانت مقاربة ماو كما رأينا هي تلخيص نواقص الإتحاد السوفياتي فى ظلّ ستالين و الأخطاء فى خطّ ستالين – من وجهة نظر الماركسية - اللينينية ، و ليس التحريفية - وكذلك التعلّم من المكاسب والتقدّم الحقيقيين اللذين مثّلا المظهر الجوهري . و تجسّدت خطوات هامة فى تطبيق هذه المقاربة ، و على هذا الأساس رسم طريقا لتطوّر الإقتصاد الإشتراكي الصيني ، فى خطاب لماو أمام إجتماع موسّع للمكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني فى أفريل 1956 : " **العشر علاقات الكبرى** " .

فى خطابه نقد ماو التشديد الوحيد الجانب على الصناعة الثقيلة الذى كان لا يزال يميّز التخطيط و الإستثمار فى الصين . و أكّد على أنّه فى حين أنّ تطوّر الصناعة الثقيلة يجب عموما أن يحظى بالأولوية ، " فإنّ حصّة الفلاحة و الصناعة الخفيفة يجب أن ترتفع نوعا ما " . (41)

و أشار إلى أنّ الصناعة الخفيفة و الفلاحة توفّران تراكما أسرع من الصناعة الثقيلة ، و بالتالي فإن نموّا فى الإستثمار فى هذه المجالات ، على قاعدة أولوية عامة وعلى مدى طويل للصناعة الثقيلة ، فعلا " سيؤدّى إلى تطوّر أكبر وأسرع للصناعة الثقيلة و بما أنه يضمن معيشة الشعب ، سيرسي قاعدة أصلب لتطوّر الصناعة " .(42)

هنا كان ماو يطبّق على طريقته المادية الجدلية بشكل صريح ودقيق ، إن حظيت الصناعة الثقيلة بالكثير من الأولوية على حساب الفلاحة و الصناعة الخفيفة فبالتالي سيقع تقويض كلّ من المواد الأولية وسوق الصناعة ، و كلفة قوّة العمل فى الصناعة – لا سيما كلفة الغذاء – سترتفع و إطلاق قوّة العمل للصناعة سيعرقله تخلّف الفلاحة . هذا من جهة و من جهة أخرى ، بالطبع ، إذا لم تعطى فى التحليل النهائي الأولوية لتطوير الصناعة الثقيلة و لإنتاج وسائل الإنتاج ، عندئذ سيلحق الأذى بكلّ من الفلاحة و الصناعة الخفيفة و ستركدان و هذا بدوره سيُعرقل تطوّر الصناعة الثقيلة وسينهار الإقتصاد برمّته .

وقد عبّر ماو عن العلاقة الجدلية على النحو الآتي ذكره :

" هنا يطرح سؤال : هل أنّ رغربتنا فى تطوير صناعة ثقيلة رغبة حقيقية أو مموّهة ، قويّة أم ضعيفة ؟ إن كانت رغبتنا مموّهة أو ضعيفة ، عندئذ سنضرب الفلاحة و الصناعة الخفيفة و نقلّل الإستثمار فيها . و إن كانت رغبتنا حقيقية و قويّة ، عندئذ سنولي أهمّية للفلاحة و الصناعة الخفيفة حتى توجد المزيد من الحبوب و المواد الأولية للصناعة الخفيفة و مراكمة أكبر للرأسمال . و ستوجد المزيد من التمويلات فى المستقبل للصناعة الثقيلة ". (43)

كان هذا أساس السياسة التى وقع التعبير عنها فى صيغة أنّ الفلاحة هي قاعدة الإقتصاد الصيني و أنّ الصناعة هي العامل القيادي .

و سيطبّق ماو نفس المقاربة الجدلية فى ما بعد فى تحديد الأولويات بين الصناعة والفلاحة . و طوّر سياسة إتخاذ الفولاذ رابطا مفتاحا فى الصناعة والحبوب رابطا مفتاحا فى الفلاحة ، فى حين يتمّ على هذه القاعدة ضمان تطوّر شامل لكلّ من الصناعة والفلاحة . و كان هذا أيضا مثال عن وضع السياسة فى مصاف القيادة ،عن الإبتعاد عن العفوية والبحث عن الربح فى كلّ من الفولاذ و الحبوب و من ثمّة سيشكو فى النهاية الإقتصاد برمّته جراء البحث عن " المكافآت " الأكثر مباشرة .

و فى " **العشر علاقات الكبرى** " ذاته نقد ماو بوجه خاص السياسة السوفياتية التى إقتطعت أكثر من اللازم من إنتاج الفلاحين و لم تبق لهم سوى موارد قليلة لمزيد المراكمة عبر جهودهم الخاصّة . قال ماو إنّ " هذه الطريقة فى مراكمة رأس المال قد بعثت الفتور جدّيا فى حماس الفلاحين للإنتاج . تريدون أن تعطيكم الدجاجة مزيدا من البيض و مع ذلك لا تطعمونها . تريدون من الحصان أن يعدو أسرع و مع ذلك لا ترعونه . ما هذا النوع من المنطق ! " (44)

و رغم أنّه وجدت أخطاء فى الصين فى توّجه تطوير الصناعة الكبرى على حساب الفلاحة (و الصناعة الخفيفة) ، قال ماو إنّ المقاربة الصينية العامة للفلاحة كانت أصحّ من مقاربة الإتحادالسوفياتي : " سياستنا تجاه الفلاحين تختلف عن سياسات الإتحاد السوفياتي وتأخذ بعين الإعتبار مصالح كلّ من الدولة و الفلاحين " (45) و أشار إلى أنّ الأداء الفلاحي فى الصين كان نسبيّا منخفظا و أنّ بشأن التبادل بين الفلاحة و الصناعة (عبر الدولة) يجب إعارة الإنتباه الواعي لخفض ثمن الآلات المباعة للفلاحين ورفع ثمن منتوجاتهم لأجل الشروع فى قلب هيمنة المدينة على الريف و الصناعة على الفلاحة كإرث من المجتمع القديم . بيد أنّه وهو يقاتل بشدّة النزعات داخل الحزب و الدولة التى مضت ضد هذه السياسة الصحيحة ، حذّر ماو من أنّه " نظرا للأخطاء الخطيرة المقترفة فى الإتحاد السوفياتي بهذا الصدد ، ينبغى أن نولي عناية أكبر للعلاقة بين الدولة و الفلاحين كذلك ونعالجها " (46) .

و بطريقة مماثلة ، نقد ماو سياسة وضع ضغط مبالغ فيه على البناء العسكري و بالتالي تقويض أساس البناء الإقتصادي . و مجدّدا مطبّقا المادية الجدلية فى هذه المسألة ، لاحظ أنّه كان من الضروري إقتطاع قسط من المصاريف من البناء العسكري و التشديد أكثر على البناء الإقتصادي الأساسي وإلاّ لن يشكو الإقتصاد ككل فحسب نتيجة ذلك بل إنّ البناء العسكري كذلك سيعاني فعلا على المدى البعيد أيضا .

و فى ذات الخطاب ، نقد ماو المبالغة فى التشديد على التحكّم المركزي فى الإقتصاد على حساب المبادرة المحلّية . إنّ ما كان يتطوّر فى الصين حينها هو نزعة لدى الوزارات المركزية نحو ممارسة تحكّم صارم فى المستوى المحلّى . و لم يفعل ذلك سوى كبح المبادرة المحلّية وفعلا تقويض القيادة الموحّدة للإقتصاد ككلّ .

وفى تعارض مع هذا ، حاجج ماو :

" أرضنا شاسعة للغاية ، و سكّانها عددهم كبير جدّا و الظروف جدّ مختلفة بحيث أنّه من الأفضل أن تأتي المبادرة من كلّ من المركز و من السلط المحلّية أكثرمن مصدر واحد فحسب . لا يجب أن نتّبع مثال الإتحاد السوفياتي فى تركيز كلّ شيء بأيدي السلط المركزية ، مقيّدين السلط المحلّية و منكرين عليها حقّ العمل المستقلّ . " (47)

و بالطبع ، أنجز كلّ هذا على قاعدة – و فى وحدة جدلية مع و ليس فى تعادي مع – " قيادة مركزية قويّة و موحّدة و تخطيط و إنضباط موحّدين عبر البلاد بأسرها ..." (48). و بالفعل إن جرت معالجتها معالجة صحيحة كان هذا النوع من المبادرة المحلّية التى ينادي بها ماو ستقوّى و ليس تضعف ما يجب أن يكون عامة الشيء الأساسي – القيادة المركزية والتخطيط الموحّد و الحزب كقوّة قيادية .

بدأ " **العشر علاقات الكبرى** " فى رسم مسار مختلف بوضوح عن مسار الإتحاد السوفياتي – و عن الكثير من السياسة الإقتصادية فى السنوات القليلة الأولى لجمهورية الصين الشعبية التى كانت متأثّرة كبير التأثّر بالطرق السوفياتية . لكن فيما تطرّق هذا الخطاب لمشاكل جديدة برزت فى البناء الإشتراكي والعلاقات الإقتصادية الظاهرة فى التغيير الأساسي للملكية ، لم يعالج بصورة خاصة المسألة الجوهرية للعلاقات الطبقية إثر الإنتقال إلى الملكية الإشتراكية . و هو مشكل سيتولى ماو الكتابة عنه فى السنوات التالية .

فى الأثناء ، فى المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الصيني فى 1956 ، شجّع ليو تشاوتشى و تحريفيون آخرون ضمن القيادات العليا للحزب وعمليّا توصّلوا إلى فرض تبنّى نظرية أنّ التناقض الرئيسي فى الصين صار " بين النظام الإشتراكي المتقدّم و قوى الإنتاج الإجتماعية المتخلّفة " . و كان هذا تطبيقا لخطّهم التحريفي على الوضع الجديد حيث كانت الملكية الإشتراكية قد تركّزت فى الأساس ولم يكن بعدُ ممكنا معارضة الثورة الإشتراكية على قاعدة الترويج لنظرية " القاعدة الإقتصادية المزدوجة ". و مثلت النظرية الجديدة للتناقض الرئيسي " فقط تعبيرا آخر عن " نظرية قوى الإنتاج " الرجعية فى الظروف الجديدة " (49).

ما تقوله هذه النظرية هو أنّ الصراع الطبقي إنتهي و العلاقات الإشتراكية قد تركّزت و عليه المسألة الآن هي التركيز على رفع مستوى التقنية والتطوّر الإقتصادي للبلاد . كان دور الجماهير ببساطة العمل بكدّ . و قد إمتزج بتناغم مع خطّ السياسة الإقتصادية التى طالما دافع عنه التحريفيون – مشجعين التعويل على طرق الإدارة البيروقراطية و الأخصّائيين فى مصاف القيادة والتعاطي مع العمال كمجرّد قوّة عمل .

و قد ردّ ماو و ثوريون آخرون فى الحزب الشيوعي الصيني و الجماهير الصينية على هذا الخطّ المعادي للثورة فى كلّ من النظرية و الممارسة . وفى أوائل 1957 ، ألقى ماو خطابين جدّ هامين فيهما لأوّل مرّة فى تاريخ الحركة الشيوعية العالمية أوضح بصراحة أنّه حتى إثر بلوغ الملكية الإشتراكية فى الأساس ، يتواصل تواجد البرجوازية فى المجتمع الإشتراكي و :

" إنّ الصراع الطبقي بين البروليتاريا و البرجوازية نو الصراع الطبقي بين مختلف القوى السياسية ، و الصراع الطبقي بين البروليتاريا و البرجوازية فى الحقل الإيديولوجي ، كلّ هذا الصراع سوف يستمرّ لفترة طويلة و يجرى فى شكل متعرّج ويصبح فى بعض الأحيان صراعا عنيفا جدّا . إنّ البروليتاريا تسعى لتحويل العالم وفقا لنظرتها إلى العالم و هكذا تسعى البرجوازية أيضا . فمسألة أي من الإشتراكية والرأسمالية ستنتصر على الأخرى فى هذا الميدان ، لم تجد حلّها الحقيقي بعدُ . " (50)

و من جديد ما كان يأكّد عليه ماو هو أنّه :

" قد تمّ تأسيس النظام الإشتراكي بصورة أساسية فى بلادنا . و قد كسبنا النصر الأساسي فى تحويل ملكية وسائل الإنتاج و لكننا لم نحرز بعد نصرا كاملا فى الجبهتين السياسية والإيديولوجية . و من سينتصر فى النضال بين البروليتاريا و البرجوازية فى الميدان الإيديولوجي لم تحل بعدُ فى الحقيقة ." (51)

هنا أكّد ماو بشدّة على دور البنية الفوقية و الصراع فى هذا الحقل وعلى السياسة والإيديولوجيا بخاصة . و فى نفس الوقت ، لم يشر إلى تواصل وجود التناقض بين القاعدة الإقتصادية و البنية الفوقية فقط بل أيضا بين قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج . لكنه لم يقم بذات التشديد على مواصلة الثورة على الجبهة الإقتصادية – لمزيد تحويل علاقات الإنتاج – مثلما سيفعل فى السنوات القليلة التالية ، فى كلّ من النظرية و الممارسة .

كان ماو بوضوح يطوّر تفكيره حول التناقض و الصراع فى المرحلة الإشتراكية فى تعارض مع التحريفيين فى الحزب الصيني و أمثالهم فى الإتحاد السوفياتي الذين قد إستولوا بعدُ على أعلى السلط هناك . و شهدت السنة التالية ، 1958 ، دخول هذين الخطين المتعارضين الجوهريين و الطريقين المتعارضين فى نزاع أحدّ حتى .

<u>الكمونات الشعبية والقفزة الكبرى إلى الأمام :</u>

كانت تلك سنة ظهور حركة تركيزالكمونات الشعبية عبر الريف الصيني . و قد قدّم ماو ، على خلاف التحريفيين فى الحزب الدعم الشامل لهذا الحدث المزعزع للأرض و الذى كان جزءا حيويّا منه إنتصار القفزة الكبرى إلى الأمام . لم يكن نطاق ملكية الأرض قد إرتفع وحسب إلى مستوى أرقي بل فى الكمونات الشعبية شاركت جماهير الفلاحين على نطاق ضيق فى الإنتاج الصناعي ، بما فى ذلك إنتاج الحاجيات الأساسية من الفولاذ و كذلك أُقيمت عديد مشاريع البناء المتنوّعة .

و مثّل هذا هدفا غير مسبوق فى ريف الصين – و بالمناسبة ريف أي بلد آخر . و كان ذو أهمّية كبرى ليس فى تضييق نطاق الإختلافات بين المدن و الأرياف و العمال و الفلاحين فحسب بل أيضا فى علاقة بمسألة خوض حرب الشعب فى مقاومة العدوان وفق الخطّ الثوري لماو الذى تطلّب أعلى درجة ممكنة من التعويل المحلّي على الذات ، خاصّة فى وجه إجتياح قوى العدوّ التى يمكن فى البداية أن تحتلّ أجزاء مهمّة من التراب الصيني و تعزل جهات مختلفة عن بعضها البعض .

فى هذه الفترة بالذات ، صاغ ماو الخطّ العام للبناء الإشتراكي – الذى إلى جانب القفزة الكبرى إلى الأمام و الكمونات الشعبية أمسى معروفا ب " الرايات الحمراء الثلاث ". و هذا الخطّ العام هو" إستعمال كافة الإمكانيات و رفع الأهداف و بلوغ نتائج أعظم و أسرع و أجود و أكثر توفيرا فى ميادين العمل كافة فى بناء الإشتراكية ".

لم يكن هذا مجرّد تحريض على أنّه يجب على كلّ إمرء أن يحاول جاهدا الحصول على أفضل النتائج . لقد قدّم تعبيرا و دعما ملموسين لنهوض الجماهير ذاتها مثلما جسّدت ذلك القفزة الكبرى إلى الأمام و الكمونات الشعبية و رفع عاليا

رايتها فى تعارض مع خطّ أنّ الوسيلة الوحيدة لتطوير الإقتصاد كانت عبر الكبير و الأجنبي و المتقدّم و الممركز، و أنّه بالنسبة للصين و الشعب الصينين ليس بوسعهم إلاّ " الزحف فى الخلف بسرعة الحلزون ".

و زيادة على ذلك ، كان هذا الخطّ العام تعبيرا عن وضع السياسة و الإيديولوجيا فى مصاف القيادة و مثلما أشار ماو القسمين الأولين من الخطّ العام – إستعمال كافة الإمكانيات و رفع الأهداف – يحيلان على المسائل الإيديولوجية ، على العوامل الذاتية ، على المبادرة الواعية . و الجزء الأخير – تحقيق نتائج أكثر إقتصادية و أكبر و أسرع و أفضل فى بناء الإشتراكية - يحيل على نتائج المبادرة الواعية للجماهير . و كان هذا من جديد تطبيقا لامعا للمادية الجدلية فى تعارض مع المادية الميكانيكية .

لذا كذلك ، مثلما قال ماو ، الجزء الثاني من الخطّ العام يجب أيضا النظر إليه جدليّا . و يعنى " أكبر" و " أسرع " الذى يحيل على الكمّية و السرعة – يجب النظر إليه كوحدة أضداد مع " أجود " و " أكثر توفيرا " – اللذان يحيلان على النوع و الثمن . إذا وقع التشديد على النوعية والثمن المنخفض بصورة إحادية الجانب ، و تناسي الكمّية و السرعة ، عندئذ ستتمّ التضحية بحاجيات الإقتصاد عامة و بإمكانية تطوّره السريع . هذا من جهة و من جهة أخرى ، إذا جرى التشديد الإحادي الجانب على حساب النوعية عندئذ سيتمّ تقويض الكمّية ذاتها (المنتوجات ذات النوعية الهشّة لا تدوم طويلا و بالتالي تمثّل فعلا كمّية أقلّ على المدى البعيد). و إضافة إلى ذلك ، إذا ما جرى التركيز على الكمّية و السرعة دون إعتبار الكلفة حينئذ كذلك سيتمّ تقويض أساس توسيع الإنتاج و مزيد المنتوجات على المدى البعيد و من جديد ، مفتاح معالجة هذه التناقضات هو النهوض و التعويل على النشاط الواعي للجماهير عينها لتمزج مزجا صحيحا الكمية و السرعة و النوعية و الكلفة و على هذا النحو تدفع كافة الإقتصاد إلى الأمام .

و جعل كلّ هذا التحريفيين فى الحزب يعارضونه معارضة مسعورة إذ أنّه ذهب فى مواجهة كلّ فكرة مسبّقة و تقليد برجوازي فهاجموا ماو بإعتباره مثاليّا – وهو هجوم عادة ما شنّه التحريفيون ضد ماو – متّهمينه بأنّه " يبالغ فى الدورالديناميكي الواعي للإنسان " . (52)

و بلغت الأمور ذروتها فى إجتماع اللجنة المركزية سنة 1959 إذ إستغلّ التحريفيون و على رأسهم آنذاك بنغ تاه هواي ، وزير الدفاع فى ذلك الوقت ، صعوبات القفزة الكبرى إلى الأمام و الكمونات الشعبية - مثل مشاكل النقل ونقص فى بعض المؤن و بعض المبالغات " اليسارية " التى صاحبت هذه التمرّدات الثورية – ليشنّ هجوما شاملا عليها و على كافة الطريق الثوري الذى تمثّله .

وكان بنغ تاه هواي ناطقا قياديّا بإسم طلب تغيير الجيش الصيني إلى جيش " معاصر " مثل جيش الإتحاد السوفياتي (و البلدان الرأسمالية الغربية) ، الذى ذهب اليد فى اليد مع مطلب أن يعود مورد التطوّر الإقتصادي للصين إلى سياسة التشديد الإحادي الجانب على الصناعة الثقيلة و البناء الإقتصادي الشامل .

لقد كان ماو على رأس الثوريين فى قيادة الحزب فى الردّ على هذا الهجوم اليميني فى هذا الإجتماع الشهير للجنة المركزية فى لوشان سنة 1959 . و صرّح بأنّ النهوض الجماهيري للقفزة الكبرى إلى الأمام كان جيّدا و ليس رهيبا ، رغم الإختلالات و الإنقطاعات ، حتى و إن كانت العائدات الإقتصادية ليست عالية بشكل متناسق على المدى القصير.

قال : " وجدت فوضى على نطاق واسع و أنا أتحمّل المسؤولية " منازلا اليمينيين . و ذكّرهم بما كانت عليه نظرة ماركس لكمونة باريس . فماركس لم يتخذ موقف أنّ النتائج الضيقة و المباشرة تحدّد كلّ شيء بل نظر إليها من زاوية المصالح العامة و البعيدة المدى للبروليتاريا . لقد أدرك ماركس أنّ كمونة باريس " كانت أوّل دكتاتورية بروليتاريا وإعتقد أنّه سيكون من الجيّد حتى إن دامت ثلاثة أشهر فحسب. إذا قيمناها من وجهة نظر إقتصادية ، لم تكن تستحقّ العناء " .(53)

و أضاف ماو أنّ الجوهري بشأن القفزة الكبرى إلى الأمام هو كون الجماهير قد مسكت الأمور بأيديها هي و طفقت تنجز إختراقات – و هكذا كان من الخطإ تقييمها من زاوية النتائج الإقتصادية المباشرة – و من الصحيح أيضا أنّه على خلاف كمونة باريس ، القفزة الكبرى إلى الأمام و الكمونات الشعبية ، رغم بعض الصعوبات ، لم تكن لتفشل . إزاء هذا كان التحريفيون مجبرون على التراجع .

وفى نفس الوقت ، متصرّفا بتنسيق مع هؤلاء التحريفيين صلب الحزب الشيوعي الصيني ذاته ، سحب الإتحاد السوفياتي فجأة التقنيين و الأخصّائيين مبقيا عددا من مشاريع البناء الحيوية غير تامة الإنجاز و مخرّبا بشدّة تطوّر الإقتصاد الصيني . و بعد ذلك ، فى السنوات العديدة التالية تعرّضت الصين إلى سلسلة من الكوارث الطبيعية .

إستغلّ التحريفيون فى قيادة الحزب الشيوعي الصيني كلّ هذا و شنّوا هجوما جديدا و بالفعل إستطاعوا كسب المبادرة فى مجالات كثر بما فيها فى جوانب مهمّة من السياسة الإقتصادية . و فى هذه الفترة نشر ليوتشاوتشي و آخرون " 70 مقالا " لتعديل الصناعة كانت صدى للخطوط التحريفية السابقة حول الإقتصاد و ستلقى صدى مرّة أخرى لاحقا فى الصراع حول السياسة الإقتصادية و علاقتها بالصراع الطبقي .

و نادت هذه " 70 مقالا " بإعادة التأكيد على التحكّم الحصري للوزارات المركزية و بإلغاء الكثير من مشاريع البناء و تركيز " أولوية السوق " فى الإنتاج ، و نادت حتى بإغلاق المصانع التى لا يكون ربحها واضحا . و أعادت إحياء القوانين و الضوابط الصارمة التى تمّ إصلاحها ، و نادت بمأسسة العمل بالقطعة حيث أمكن ذلك – و الكثير من هذا قد وقع نقده و القضاء عليه – و التقليص من الوقت الذى يمضيه العمّال فى الدراسة السياسية و طالبوا بوضع نهاية للصراع السياسي فى المصانع . وفى نفس الوقت ، تضمّنت هذه التعديلات بعض الشروط التى يفترض أن تعالج " رفاه " الجماهير ، بكلمات أخرى شجّعت الإقتصادوية و صلاح المعيشة. وقال التحريفيون إنّ كلّ هذا ضروري لإنهاء الفوضي . و أخفق هؤلاء المرتدّون فى تسجيل التقدّم فى الإقتصاد الذى أرساه تمرّد الجماهير و كسر سلاسل التقاليد أثناء القفزة الكبرى إلى الأمام – " الفوضى " عينها التى كانوا يدينون .

و فى مجال البنية الفوقية ، شنّ التحريفيون ايضا عددا من الهجمات . و من خلال أعمال الأدب و الفن دعوا لإعادة بنغ تاه هواي إلى وظيفته – وهو قد أُقيل عقب هزيمته فى 1959 – و بالطبع بعودة الخطّ المعادي للثورة الذى جرى القتال من أجله فى تعارض مع الخطّ الثوري لماو .

<u>إحتدام صراع الخطّين :</u>

و قام ماو بهجوم مضاد . و فى 1962 ، فى إجتماع الأجهزة القيادية للحزب ، أصدر نداء " لا تنسوا أبدا الصراع الطبقي " و صاغ ما صار الخطّ الأساسي للحزب الشيوعي الصيني طوال مرحلة الإشتراكية :

" يمتدّ المجتمع الإشتراكي على فترة تاريخية طويلة ، تستمر خلالها الطبقات و التناقضات الطبقية و الصراع الطبقي ، و أيضا الصراع بين الطريق الإشتراكي و الطريق الرأسمالي في الوجود . و يستمر أيضا وجود خطر إعادة تركيز الراسمالية . يجب أن نفهم أن هذا الصراع سيكون طويلا و معقّدا ، و أن نضاعف حرصنا و أن نواصل التربية الإشتراكية . يجب أن نستوعب المسائل المتعلقة بالتناقضات الطبقية و بالصراع الطبقي و أن نحلها حلا صحيحا و أن نميز، من جهة ، التناقضات بين العدو و بيننا، و من جهة أخرى ، التناقضات فى صفوف الشعب ، ثم نعالجها معالجة صحيحة . و إذا لم يكن الأمر كذلك ، فإن بلدا اشتراكيا كبلدنا سيتحول إلى ضده : ستتغير طبيعته ، و سيرى إعادة تركيز الرأسمالية . من الآن ، علينا أن نتحدث عن هذه المسألة ، يوما بعد يوم ، شهرا بعد شهر، سنة بعد سنة ، (54) " .ليتكون لدينا فهم كاف و واضح ، و لكي نتبع خطا ماركسيا لينينيا

و مثّل هذا صفعة مباشرة للتحريفيين الذين كانوا يدافعون عن " إنهاء الصراع الطبقي " و حاججوا بأنّه بإعتبار وجود الملكية الإشتراكية لم يكن يوجد خطر إعادة تركيز الرأسمالية بل فقط ضرورة دفع الإنتاج بغضّ النظر عن الطرق المستعملة لتحقيق ذلك . و دافع ماو عن حركة التربية الإشتراكية فى تعارض مع ذلك ، من أجل التقدّم بالصراع الطبقي و قتال المحاولات التحريفية لإعادة تركيز الرأسمالية .

و خلال المرحلة العامة ذاتها – بداية ستينات القرن العشرين – أعار ماو إنتباها جدّيا لمسائل الإقتصاد السياسي و السياسة الإقتصادية . و كان هذا جزءا حاسما من كلّ من الدفاع عن خطّه الثوري و تطويره فى علاقة بهجمات التحريفيين .

و الكثير من هذا عبّر عنه ماو فى **" ملاحظات نقدية حول " كتاب الإقتصاد السياسي" السوفياتي "** . و ما كان ماو ينقد فقط الإنحرافات التحريفية فى الإتحاد السوفياتي بل كان أيضا يلخّص أهمّية السياسات و المناهج التى تطوّرت فى الصين فى تعارض مع التحريفية .

و قد شمل هذا الخطّ بصدد العلاقة بين الفلاحة و الصناعة و مسائل أخرى عرج عليها فى " **العشر علاقات الكبرى** " و الخطّ العام لبناء الإشتراكية و أهمّية التعويل على الذات و إعادة الإنبعاث عبر القوى الذاتية و جملة كاملة من السياسات الموصوفة فى صيغة " المشي على قدمين " . و قد عنت هذه الأخيرة بالتوازي تطوير المؤسسات الصغرى و الوسطى و كذلك المؤسسات الكبرى ؛ بإستعمال الآلات و التقنية المحلّية و كذلك الأجنبية و تلك المتخلّفة و كذلك المتقدّمة ، وبإبراز دور الجماهير و كذلك الأخصّائيين فى التجديد التقني و وحدات مشابهة أخرى .

و علاوة على ذلك ، قارن ماو فى هذه " الملاحظات النقدية " بين المقاربة الصحيحة و المقاربة البرجوازية – البيروقراطية للتخطيط . و أشار إلى أنّ " المخطّط إيديولوجيا . و الإيديولوجيا إنعكاس للواقع و هي تؤثّر فى الواقع... و هذا يبيّن بوضوح أنّ الأشياء مثل المخطّطات التى هي جزء من الإيديولوجيا ، لها تأثير كبير على التقدّم أو غياب تقدّم الإقتصاد و كذلك على نسق تطوّر الإقتصاد ." (55)

التخطيط ليس مجرّد مسألة تقنية و لا يعنى أيضا ببساطة التناقض بين الجهل و المعرفة . إنّه يعنى كذلك الصراع الطبقي فى مجال الإيديولوجيا ، بين نظرة البروليتاريا للعالم و منهجها و نظرة البرجوازية للعالم و منهجها - التعويل على حفنة من " الأخصّائيين " و على المناهج البيروقراطية أو على الجماهير و التلخيص العلمي لتجاربها و أفكارها إلخ . وخطّ التمايز الجوهري هذا بين النظرة البروليتارية و النظرة البرجوازية يجد التعبيرعنه فى التخطيط كما فى مجالات أخرى . و مثلما وضع ذلك ماو بحدّة، النظر إلى " نضال الجماهير على أنّه " أحد العوامل الهامة " يذهب ضد مبدأ أنّ الجماهير هي صانعة التاريخ. أيّا كانت الظروف لا يمكن النظر إلى التاريخ كشيء يصنعه المخطّطون أكثر ممّا تصنعه الجماهير". (56)

و أكّد ماو على أنّ التخطيط يجب أن يأخذ بعين الإعتبار أنّ التطوّر فى كلّ شيء ، بما فى ذلك الإقتصاد ليس يحصل وفق خطّ مستقيم بل يتبع شكلا لولبيّا أو شكل موجات . و قال :

" دون عدم توازن لا يوجد توازن . إنّ تطوّر الشيء يجرى دوما بعدم توازن... إن كنّا عادة فى حاجة إلى إعادة مراجعة المخطّطات فلأنّ ظروفا جديدة من عدم التوازن تطرأ ". (57)

و هنا يدحض ماو بوضوح و يصفع صفعة مباشرة المقاربة التحريفية للتخطيط التى تتنكّر جوهريّا للحركة الجدلية للأشياء و تحاول أن تفرض النظام و التوازن من فوق ، عبر الوسائل و المناشير البيروقراطية المنفصلة عن الجماهير و المتعارضة معها و المبادرة الجماهيرية كقوانين فعلية لتطوّر الإقتصاد . و مثّلت كافة مقاربة ماو للتخطيط مظهرا آخر فيه شدّد على الأهمّية الهائلة للبنية الفوقية و الصراع الطبقي فى هذا المجال ، فى تعارض مع التحريفيين الذين يعتبرون كلّ هذا " مثالية " .

و إلى ذلك ، لم يلاحظ ماو مثل ستالين أن قانون القيمة يواصل فعله و حسب بل لاحظ أنّه يترتّب أخذه بعين الإعتبار فى التخطيط دون السماح له بلعب دور تعديلي . و ألمح أيضا فى خلاف مع ستالين ، إلى أنّ وسائل الإنتاج – و ليس ببساطة وسائل الإستهلاك – تواصل التمتّع ببعض ميزات السلع .

كانت علاقات التبادل السلعي تنحو نحو الإنعكاس فى تبادل السلع حتى ضمن قطاع الدولة عينه . و بما أنّ مؤسسات الدولة لا تزال تتطلّب الحفاظ على إستقلال نسبي فى الحسابات ، فإنّ تبادلها يظلّ بعدُ متأثّرا بدرجة هامة بعمل قانون القيمة ، القانون الأساسي للإنتاج السلعي و التبادل . كلّ هذا لم يكن من الممكن تفاديه و سيوجد بدرجات متباينة لبعض الوقت . لكن كذلك يمكن أن تستعمله البرجوازية ، لا سيما أتباع الطريق الرأسمالي فى مواقع السلطة ، ليوسّعوا بصورة مبالغ فيها مدى قانون القيمة فى العلاقات داخل و بين شتّى الوحدات الإقتصادية ، كجزء حيوي من محاولاتهم التغيير الفعلي للعلاقات الإشتراكية إلى علاقات رأسمالية و إعادة تركيز الرأسمالية فى البلاد ككلّ .

و فى هذه " الملاحظات النقدية " ، عبّر ماو عن مزيد تطوير فكره بشأن تثوير علاقات الإنتاج عقب بلوغ الملكية الإشتراكية فى الأساس . و أولى إنتباها خاصا للعلاقات صلب الناس فى الإنتاج .

فى قسم من أهمّ أقسام هذا المقال كتب التالي :

" عقب معالجة مسألة نظام الملكية ، المسألة الأهمّ هي الإدارة – كيف تتمّ إدارة المؤسسات المملوكة سواء من قبل كافة الشعب [الدولة] أو الجمعيات التعاونية . و هذه المسألة تشبه مسألة العلاقات فى صفوف الناس فى ظلّ نظام ملكية معطى ، وهو موضوع قد يستغرق العديد من المقالات . و للتغيّرات فى نظام الملكية فى فترة معيّنة من الزمن على الدوام حدودها ، لكن العلاقات بين الناس فى العمل المنتج من الممكن جدّا ، على العكس ، أن تكون فى تغيّر بلا هوادة . و بالنسبة لإدارة المؤسسات التى يملكها الشعب بأسره ، تبنينا جملة من المقاربات : مزج للقيادة المركّزة و الحركة الجماهيرية ؛ مزج قادة الحزب و الجماهير الكادحة و التقنيين ، ومشاركة الكوادر فى الإنتاج ؛ و مشاركة العمّال فى الإدارة ؛ و بإستمرار تغيير الضوابط و الممارسات المؤسساتية غير المعقولة " . (58)

ولم تكن هذه الأنواع من الخطوات مجرّد " أفكار جيدة " بل كانت ذات أهمّية كبرى فى الصراع الطبقي، فى تحديد ما إذا كانت الصين ستواصل السير على الطريق الإشتراكي أم تنحطّ إلى الطريق الرأسمالي. لو لم يقع تطبيق هذه الإجراءات الثورية وفوق ذلك لو لم يكن الخطّ الثوري فى القيادة عامة ، حذّر ماو سنة 1963 :

" عندئذ لن يمرّ زمن طويل ، ربّما بضعة سنوات فقط ، أو عقد أو عدّة عقود كأقصى حدّ قبل الحصول الحتمي لإعادة تركيز مضادة للثورة على النطاق الوطني . و سيصبح الحزب الماركسي - اللينيني دون شكّ حزبا تحريفيّا ، حزبا فاشيّا ، و ستغيّر الصين برمّتها لونها . أيّها الرفاق ، الرجاء التفكير فى هذا. إلى أي مدى سيكون هذا الوضع خطيرا ! " (59)

بداهة مثّل كلّ هذا أيضا خطّا فى تعارض مباشر مع كامل الخطّ البرجوازي و كذلك مع جملة السياسات الإقتصادية التى مثّلها " ال70 مقالا " والتى روّج لها التحريفيون و عانقها عموما عدد كبير من الكوادر ذوى الذهنية البيروقراطية . الطبقتان و الخطّان و الطريقان كانا مجدّدا بوضوح فى مسار تصادمي . و الإنفجار الذى نبع من هذا هو الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى التى تطوّرت إلى صراع سياسي جماهيري ضد أتباع الطريق الرأسمالي فى 1966 .

فى السنوات الأولى من التمرّد الثوري الذى حثّ عليه ماو و كذلك وفّر له القيادة الخاصة ، سحقت الجماهير مراكزا قيادة ليوتشاوتشي فى الحزب ، و إستعادت السلطة فى عديد المجالات المختلفة من المجتمع حيث تمّ الإستيلاء عليها من قبل أتباع الطريق الرأسمالي ، و رفعت خطّ ماو الثوري و طبّقته فى تعارض مع الخطّ التحريفي و قلبت التراجعات عن المكاسب و الأحكام الصحيحة للقفزة الكبرى إلى الأمام . و أثناء السيرورة جرى تطبيق المزيد من التحويلات الثورية فى البنية الفوقية و فى القاعدة الإقتصادية .

و أنجزت الثورة فى التعليم والثقافة بالإطاحة بالسلطة البرجوازية فى هذين الميدانين . و تمّ التشجيع على دراسة النظرية الماركسية على نطاق واسع و على الصراع الإيديولوجي النشيط على كافة المستويات . و أنشأت اللجان الثورية و أجهزة السلطة و الإدارة الجديدة فى الوحدات القاعدية و أيضا على المستويات الأعلى ، بمزج الجماهير و الكوادر و التقنيّين و أيضا المسنّين و الكهول و الشباب . و تطوّرت حركات الجماهيرية فى العلم و التقنية موحّدة العمّال و الفلاحين مع الأخصّائيين فى هذه الحقول . و جدّت تغييرات مشابهة فى مجال الصحّة حيث جرى التشديد على المناطق الريفية أين يعيش غالبية السكّان و أين كانت الظروف بما فى ذلك الرعاية الصحّية أكثر تخلّفا .

فى الإدارة أنواع التقدّم الثوري فى العلاقات بين الناس فى الإنتاج التى نادا ماو بالإنتباه إليها من مثل مساهمة الكوادر فى العمل الجماعي و مشاركة العمال فى الإدارة و إصلاح القوانين و الضوابط غير المعقولة و المقيّدة – كلّها تعزّزت وتطوّرت أكثر . و كذلك جرى رفع وتعزيز راية مبدأ السياسة تقود المهني و المختصين المسلحين بخطّ صحيح يقودون المختصّين عامة . و قد وقع التعبير عن هذا فى شعار " أحمر و أخصّائي " – مع مظهر " أحمر " فى القيادة . و فى غالبية الحالات تمّ التخلّص من العمل بالقطعة و المنح و قُلّصت الفوارق فى الدخل إلى الدرجة الممكنة فى توافق مع تشجيع العلاقات الرفاقية ضمن مختلف الدرجات و أصناف العمال و بتشجيع التعاون الإشتراكي و النشيط فى الإنتاج و كذلك تطوّر التعاون الإشتراكي بين شتّى المؤسسات و الوحدات الإنتاجية إلى درجة أعلى .

و خلال الثورة الثقافية ، لخّص ماو تجربة الجماهير الصينية فى الثورة الإشتراكية و البناء الإشتراكي معبّرا عن العلاقة الجدلية بين الإثنين فى شعار " القيام بالثورة مع دفع الإنتاج " . و يشرح هذا الشعار بصورة صحيحة العلاقة بين الثورة و الإنتاج ، بين السياسة و الإقتصاد ، بين الوعي و المادة ، بين البنية الفوقية و القاعدة الإقتصادية ، وبين علاقات الإنتاج و القوى المنتجة .

فى جميع هذه العلاقات ، كان المظهر الأخير عموما المظهر الرئيسي وهو فى آن معا أساس و نقطة نهاية تحديد الآخر . هذا من جهة لكن من جهة أخرى ، فى كلّ الأحوال المظهر الأوّل هو الذى ينهض بالدور المبادر فى تغيير المظهر الآخر. و فوق ذلك ، فى كلّ الأحوال ينزع المظهر الرئيسي إلى التقدّم على المظهر الثانوي و النشاط الواعي هو اللازم لجعل المظهر الثانوي يتناسب مع المظهر الرئيسي . و هكذا يمكن رؤية أنّ للمظهر الثانوي برمّته تأثير هائل على المظهر الرئيسي عامة و أحيانا يمكن أن يتحوّل هو ذاته إلى رئيسي .

فقط بالتطوير المستمرّ للثورة فى البنية الفوقية و بإستعمال الدور المبادر – لا سيما سلطة الدولة وإيديولوجيا البروليتاريا – من الممكن للبروليتاريا أن تعزّز القاعدة الإقتصادية الإشتراكية و تطوّرها . و كذلك ، دون مواصلة تطوير علاقات الإنتاج ، حتى بعد تحقيق الملكية الإشتراكية فى الأساس ، من غير الممكن مواصلة تحرير و بالتالي تطوير قوى الإنتاج الإشتراكية . ومثلما أشار ماو إلى ذلك قبلا ، فى هذه الأوقات حيث تمثّل علاقات الإنتاج و البنية الفوقية بالأساس عراقيلا أمام مزيد تطوّر قوى الإنتاج و القاعدة الإقتصادية ، تصبح علاقات الإنتاج و البنية الفوقية هي الرئيسية . (60)

و فى جميع الأوقات ، بقيادة السياسة للإقتصاد فقط تتمكّن البروليتاريا من أن تطوّر الإنتاج على الطريق الإشتراكي ؛ فقط بإستنهاض النشاط الواعي للجماهير الكادحة يمكن تغيير العالم المادي بإنسجام مع القوانين الموضوعية و المصالح الثورية للبروليتاريا . خلاصة القول ، يعبّر مبدأ " القيام بالثورة مع دفع الإنتاج " عن العلاقة الجدلية الصحيحة بين الإثنين و يحثّ على دور الثورة فى قيادة الإنتاج .

و بطبيعة الحال ، بينما إستوعبت جماهير الشعب الصيني هذا المبدأ و طبّقته لتغيير العالم ، كان التحريفيون و على الدوام يعارضونه و يهاجمونه وكان هذا بالتأكيد صحيحا حتى فى أوج الثورة الثقافية. و بالفعل ، فى المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الصيني سنة 1969 ، فى خضمّ الثورة الثقافية ، تعاون لين بياو الذى لبس قناع الرفيق المقرّب من ماو تسى تونغ و قائد جماهيري خلال الثورة الثقافية ، تعاون مع التحريفيين ليعارض خطّ ماو فى ما يتصل بالعلاقة بين الثورة والإنتاج و يعوّضه ب " نظرية قوى الإنتاج ".

و تمّ هذا فى شكل المحاججة بأنّه عوض الصراع الطبقي المهمّة الأساسية هي حينها تطوير الإنتاج . و قد نبذ ماو و قادة ثوريون آخرون هذا الخطّ و هزموه مشدّدين على أنّ خوض الصراع الطبقي ضد البرجوازية يظلّ العلاقة المفتاح فى كافة النضال .

وفى أوّل إجتماع عام للجنة المركزية للحزب الشيوعي إثر المؤتمر التاسع ، تحدّث ماو مجدّدا عن العلاقة بين الثورة و الإنتاج فقال :

" على ما يبدو لم يكن الأمر سينجح دون الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى لأنّ قاعدتنا لم تكن صلبة . من ملاحظاتنا ، أخشى أنّه فى تقريبا غلبية واسعة من المصانع – لا أقصد الغالبية العظمى – لم تكن القيادة بأيدى ماركسيين حقيقيين و جماهير العمّال . ليس لأنّه لا يوجد أناس جيّدون فى قيادة المصانع . وجدوا . وجد أناس جيّدون ضمن الكتاب العامين و المفوضين و أعضاء لجان الحزب و ضمن الأمناء العامين لفروع الحزب . لكنّهم كانوا يتبعون خطّ ليوتشاوتشي ، معوّلين على الخوافز المادية ، واضعين الربح فى مصاف القيادة و عوض تشجيع السياسة البروليتارية ، يوزّعون المنح و هكذا . بالفعل هناك أناس سيّئون فى المصانع ... [و كلّ هذا] يبيّن أنّ الثورة لم تنته بعدُ ". (61)

هنا يقدّم ماو تحليلا أعمق لمسألة علاقات الإنتاج و الطبقات و الصراع الطبقي إثر إتمام التحويل الإشتراكي للملكية فى الأساس . لقد ركّز على أنّه فى ما يتّصل بمسألة الملكية ليس كافيا أن نحدّد ما إذا كانت أم لم تكن عامة فى مقابل خاصة فى الشكل لكن ما هو جوهر الملكية التى ليست فى آخر المطاف شيئا بل علاقة إجتماعية . إن كانت القوى البرجوازية و كان الخطّ البرجوازي فى القيادة حالئذ ستكون الملكية العامة مجرّد غطاء لعلاقات الإنتاج البرجوازية . هذا ما حدث فى الإتحاد السوفياتي ككلّ مع إفتكاك التحريفيين للسلطة العليا فى تلك البلاد . و هذا ما حدث إلى درجات متباينة فى مؤسسات معيّنة و وحدات إنتاج أخرى يتحكّم فيها أتباع الطريق الرأسمالي فى الصين – هذا يمكن أن يحدث و يحدث فعلا فى ظروف تمسك فيها البروليتاريا بالسلطة السياسية فى البلاد بأسرها . هذا ما كان ماو يشير إليه عند كلامه عن المصانع – حتى فى غالبيتها – التى لم تكن قبل إنطلاق الثورة الثقافية تحت قيادة خطّ صحيح و ليس تحت قيادة ماركسيين حقيقيين و جماهير العمّال .

كلّ هذا مرتبط جدليّا بواقع أنّه فى المجتمع ككلّ بينما الملكية الإشتراكية تمّ تركيزها فى الأساس ، فهي لم تتركّز تركيزا كاملا . بكلمات أخرى ، فى الفلاحة و حتى فى الصناعة ، لم تكن وسائل الإنتاج بعدُ قد تحوّلت إلى ملكية عامة لكلّ المجتمع و بالتالي ظلّ الإنتاج السلعي و قانون القيمة ساريي المفعول و إن على نطاق ضيّق . و إلى أن يتمّ القضاء على هذه و تلك من بقايا الرأسمالية فى كلّ من علاقات الإنتاج و البنية الفوقية ، لا يمكن إستبعاد إمكانية تحويل العلاقات و المؤسسات الإشتراكية – و المجتمع الإشتراكي كلّه – إلى علاقات و مؤسسا ت ومجتمعات رأسمالية . و قد مثّل هذا الفهم مساهمة حقيقيّة لماوتسى تونغ فى النظرية اللينينية بشأن مجمل هذه المسائل الهامة .

و بمعنى مباشر ، تحليل ماو لهذا فى 1969 لم يكن تلخيصا للوضع قبل بداية الثورة الثقافية و حسب ، بل كان ردّا صحيحا حينها على لين بياو و آخرين ممّن كانوا يحاولون إعلان أنّ الثورة إنتهت – أو يجب أن تنهي – و ما يجب القيام به هو وضع الإنتاج فى المصاف الأوّل . لكن هؤلاء التحريفيين رفضوا الإلتحاق بخطّ ماو الثوري و واصلوا نهج خطّهم الخاص المعادي للثورة . و نتيجة ذلك ، وقع فضح لين بياو و بعض الآخرين وعزلهم و إلحاق الهزيمة بهم . و بعد فترة قصيرة من المؤتمر التاسع ، مات لين بياو ذاته ميتة خائن ، وهو هارب بالطائرة نحو الإتحاد السوفياتي ، فى سبتمبر 1971 .

لكن بالنسبة لخطّ ماو الثوري بالطبع لم تمت محاولة فرض نظرية " نهاية الصراع الطبقي " و " نظرية قوى الإنتاج " بموت لين بياو . و فى المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الصيني فى 1973 ، وقعت الإشارة إلى أنّ برنامج جعل الإنتاج هو المهمّة الأساسية الذى تقدّم به لين بياو و إنتهازي آخر فى قيادة الحزب ، تشان بوتا ، زمن المؤتمر التاسع ، لم يمثّل أكثر من " نسخة محسّنة فى ظلّ الظروف الجديدة لذات النفاية التحريفية التى سرّبها ليوتشاوتشي و تشان بوتا فى قرار المؤتمر الثامن ، و التى تدّعي أنّ التناقض الأهمّ فى البلاد لم يكن بين البروليتاريا و البرجوازية بل " بين النظام الإشتراكي المتقدّم و قوى الإنتاج المتخلّفة فى المجتمع " (62). (هذا التقرير ألقاه شو آن لاي الذى ، مثله مثل لين بياو قبل أربع سنوات ، وجد نفسه مضطرّا لإلقاء تقرير أمام المؤتمر هو غير موافق جوهريّا على خطّه . و بالفعل ، بإعتباره أقوى قائد لليمين فى الصين حينذاك ، كان شو بحماس يشجّع تحديدا خطّ أنّ الإنتاج – أو " التعصير " – هو المهمّة الأساسية .)

و واصل ماو قيادة الحزب الشيوعي الصيني و الجماهير فى الصراع الثوري إلى آخر نفس فى حياته . و فى سياق هذا الصراع ، قبيل وفاته ، أصدر ماو موقفا فى جزء منه يقول :

" إنكم تقومون بالثورة الاشتراكية و بعد لا تعرفون أين توجد البرجوازية . إنها بالضبط داخل الحزب الشيوعي – أولئك فى السلطة السائرين فى الطريق الرأسمالي ." (63)

و كان هذا مساهمة هامة أخرى من ماو فى النظرية الماركسية وفى الإقتصاد السياسي الماركسي بوجه خاص . هنا ماو لم يكن يلفت النظر فقط إلى واقع أنّه حتى بعد تركيز الملكية الإشتراكية فى الأساس ، ستتوالد عناصر البرجوازية الجديدة و البرجوازية كطبقة ستواصل الوجود طوال المرحلة الإشتراكية و لكن أيضا وبخاصة إلى واقع أنّ فى هذه الظروف ستنبع البرجوازية – ليس كلّها و إنّما لبّها – من صفوف الحزب الشيوعي ذاته ، خصوصا من صفوف أعلى مراتبه القيادية .

و مردّ هذا موقع الحزب ذاته فى المجتمع الإشتراكي و التغييرات فى العلاقات الطبقية التى تظهر مع تطوّر الإشتراكية ، لا سيما إثر تركيز الملكية الإشتراكية فى الأساس . فى هذا الوضع ، أولئك الناس الذين يمارسون القيادة فى منح وسائل الإنتاج و وسائل الإستهلاك هم فى آخر التحليل بصورة غامرة أعضاء فى الحزب ، خاصة أعضاء من القيادات العليا . و لو أنّهم نظريّا يمارسون هذه القيادة بإسم الجماهير ، فإنّ هناك تناقض هنا هو إنعكاس لواقع أنّ وسائل الإنتاج لم تصبح بعدُ تماما الملكية المشتركة لكافة المجتمع و الجماهير الشعبية لم تصبح تماما سيّدة الإنتاج و كافة المجتمع – الإنقسامات و اللامساواة و بقايا مادية و إيديولوجية أخرى من المجتمع البرجوازي لم يقع تجاوزها كلّيا .

حيث يكرّس أولئك فى القيادة خطّا صحيحا سيتحرّك التناقض بإتجاه تمكين الجماهير من تنمية تحكّمها فى الإنتاج و المجتمع . وحيث يوجد خطّ تحريفي فى القيادة ، ستتغيّر القيادة إلى موقع هيمنة و سيطرة برجوازيين على الجماهير .

إذا لم يقع مثلا تقليص تقسيم العمل فى مؤسسة - و بالتالي لم يشارك القياديون فى العمل المنتج و لم يشارك العمّال فى الإدارة – و فى نفس الوقت تتسع حصّة الدخل التى يحصل عليها الكادر القيادي نسبة لجماهير العمّال المنتجين عوض أن تتقلّص و خاصة إلى جانب هذا، إذا وُضع الربح ، و ليس السياسة ، فى مصاف القيادة ، عندئذ بالفعل ستنم ّعلاقة القياديين بالعمال عن علاقة إستغلال . و فعلا ، يبدأون بتملّك بعض الفائض الذى ينتجه العمّال بينما يتحكّمون هم أنفسهم فى العمّال و فى الإنتاج دون المشاركة فى الإنتاج . و من هنا تأتي أهمّية تحديد الحقّ البرجوازي فى تعارض مع توسيعه فى العلاقات فى صفوف الناس العاملين و فى التوزيع . إذا لم يقع تطبيق هذا و جرى تعويضه بخطّ و سياسات غير صحيحين ، فإنّ هذين المظهرين من علاقات الإنتاج ، إلى جانب البنية الفوقية يمكن أن يمارسا تأثيرا رجعيّا على ما هو عامة المظهر الرئيسي لعلاقات الإنتاج – الملكية – و يمكن حتى أن يغيّرا علاقات الإنتاج من علاقات إشتراكية إلى علاقات رأسمالية جوهريّا .

وهذا لا يعنى أنّ البلد قد بات رأسماليا إن ساد مثل هذا الوضع فى عدد كبير أو حتى فى غالبية المؤسسات فى زمن معطى؛ هذا سيحصل فقط عبر تغيير فى البنية الفوقية – حصريّا إن إفتكّ التحريفيون السلطة العليا – و أمسى عامة الخطّ التحريفي فى قيادة المجتمع . هذا من جهة لكن من جهة أخرى ، ليس هذا بالشيء المستقرّ و إن سُمح لعلاقات الإنتاج البرجوازية بالظهور و التطوّر دون معارضة ، حالئذ سيجري بدرجة كبيرة تعزيز أساس قيام التحريفيين فى مواقع السلطة بإنقلاب رجعي و بإعادة تركيز الرأسمالية.

لقد تعرّض ماو لهذا المشكل فى " **ملاحظات نقدية حول كتاب الإقتصاد السياسي السوفياتي** " فقال : " فى تجربتنا ، إذا لم يضع الكوادر جانبا غرورهم و يتّحدوا مع العمّال ، فإنّ العمّال لن ينظروا أبدا إلى المصنع على أنّه مصنعهم بل على أنّه مصنع تابع للكوادر " (64) و إذا كان خطّ برجوازي فى مصاف القيادة و تشجّعه و تكرّسه الكوادر القيادية للحزب و الدولة ، ستنظر الجماهير إلى المصانع و أيضا إلى وسائل الإنتاج ككلّ و المجتمع بأسره على أنّهما ليسا ملكهما بل ملك الفئة ذات الإمتيازات – و سيكون للجماهير الحقّ فى ذلك . وهذا كذلك ينبع من الطبيعة الإنتقالية و المتناقضة للمجتمع الإشتراكي ، و عليه إمّا سيعالج بإتجاه ثوري ، بإتجاه التقدّم نحو الشيوعية ، أم على المدى القصير بإتجاه مناهض للثورة، نزولا إلى الطريق الرأسمالي لإعادة تركيز النظام القديم .

هنا تحليل ماو يعدّ تطبيقا لموقف لينين بأنّ السياسة تعبير مركّز عن الإقتصاد . و مثلما أشرنا سابقا ، فى المجتمع الإشتراكي التحكّم فى الإقتصاد يتركّز كسلطة القيادة السياسية . و حيث تكون هذه القيادة بأيدى التحريفيين فهي عمليّا بيد البرجوازية و عمليّا سيُشرع فى تعزيز علاقات الإنتاج البرجوازية . إنّها سلطة القيادة القائمة على هذا الأساس المادي الموجودة بأيدى أتباع الطريق الرأسمالي و التى ستسمح لهم ببناء قوّة و لئن نجحوا فى إفتكاك السلطة السياسية العليا ، بإنجاز إعادة تركيز الرأسمالية ، متحرّكين كلبّ و قادة للقوى الإجتماعية داخل الحزب وخارجه ، يمكن تعبئتهم لمساندة مثل إعادة تركيز الرأسمالية هذه. لهذا السبب أكّد ماو كذلك قبل وفاته بقليل على أنّه " إذا توصّل أناس من أمثال لين بياو إلى السلطة سيكون سهلا جدّا بالنسبة لهم أن يركزوا النظام الرأسمالي " .(65)

و من ثمّة وضع ماو الكثير من الأكيد على البنية الفوقية و أكّد على أنّ المسألة الحاسمة هي صحّة أو عدم صحّة الخطّ الإيديولوجي و السياسي . ذلك أنّ هذا هو ما يحدّد إن كانت أم لم تكن القيادة السياسية فى السلطة تمثّل المصالح الثورية للبروليتاريا فى التقدّم نحو الشيوعية أم تمثّل برجوازية جديدة و تقمع الجماهير خدمة لإعادة تركيز الرأسمالية . و لهذا أيضا شدّد ماو كبير التشديد على تسليح الجماهير بالخطّ الماركسي – اللينيني و تعبئتها على هذا الأساس لتناضل ضد أتباع الطريق الرأسمالي . فهذا حيوي فى الحيلولة دون إفتكاك تحريفي للسلطة و إعادة تركيز الرأسمالية و مواصلة عوض ذلك التقدّم صوب الشيوعية .

و من هنا يمكن رؤية الدلالة العظيمة لآخر موقف عظيم لماو حول هذه المسألة و نقصد موقف أنّ البرجوازية " توجد بالضبط داخل الحزب الشيوعي – أولئك فى السلطة أتباع الطريق الرأسمالي " . أهمّية هذا التحليل توازي أهمية مسألة حياة أو موت بالنسبة للبروليتاريا و الثوريين الماركسيين فى خوض الصراع الطبقي فى ظلّ الإشتراكية من أجل الهدف النهائي ، الشيوعية . إنّه سلاح قوي جديد لدى البروليتاريا فى هذا الصراع .

و هذا سبب مهمّ آخر لإعتبار أنّ مساهمات ماو تسى تونغ فى حقل الإقتصاد السياسي خاصة و كذلك فى السياسة الإقتصادية و البناء الإشتراكي - و فى مجالات أخرى – تمثّل مزيدا من التقدّم بالنسبة للبروليتاريا و علمها الثوري . و هذه المساهمات حقّا خالدة و لا يمكن أبدا محوها و إنكارها أو الإستهانة بها أيّا كانت الأحداث التى يشهدها العالم .

===

الهوامش :

1- ماو تسى تونغ ، **" ملاحظات نقدية عن كتاب الإقتصاد السياسي السوفياتي "** ، **" نقد الإقتصاد السوفياتي "** ، ص 110 بالأنجليزية .

2- المصدر السابق .

3- ماركس ، **" رسالة إلى يوسف. فيديماير "** ، الأعمال المختارة لماركس و إنجلز ، المجلد 1 ، دار التقدّم موسكو ، 1973 ، ص 528 بالأنجليزية .

4- ماركس **" صراع الطبقات فى فرنسا 1848-1850 "** الأعمال المختارة ، المجلّد 1 ، ص 283 بالأنجليزية .

5- **" تاريخ الحزب الشيوعي السوفياتي..."** ، ناشرون عالميون ، نيويورك 1939 ، ص 262 بالأنجليزية .

6- المصدر السابق ، ص 275 .

7- ستالين **" القضايا الإقتصادية للإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي "** ، منشورات باللغات الأجنبية ، بيكين 1972 ، ص 60 بالأنجليزية – بالعربية منشورات دار الفرابي ، بيروت 1954، ص 73.

8- المصدر السابق ، ص 69 بالأنجليزية – بالعربية ص 83.

9- ماو تسى تونغ ، **" بصدد القضايا الإقتصادية للإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي"** و **" نقد كتاب ستالين " القضايا الإقتصادية للإشتراكية فى الإتحادالسوفياتي "** ، ضمن **" نقد الإقتصاد السوفياتي "** ص 130 ، 135 بالأنجليزية .

10- ماو تسى تونغ ، **" سياساتنا الإقتصادية "** ، **مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلد 1، ص 141 بالأنجليزية – بالعربية ص 108.

11- ماو تسى تونغ ، **" حول الديمقراطية الجديدة "** ، **مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد الثاني ، ص 353 بالأنجليزية – بالعربية ص 493.

12- ماو تسى تونغ ، **" شنّ حملات لتخفيض إيجارات الأراضي و للإنتاج و لتأييد الحكومة و العناية بالشعب فى مناطق القواعد "** ، **مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة** ،المجلّد 3 ، ص 131 بالأنجليزية- بالعربية ص 177.

13- المصدر السابق ، ص 133 بالأنجليزية – بالعربية 180.

14- ماو تسى تونغ ، **" تنظّموا ! "** م.م ،المجلد 3 ، ص 154 بالأنجليزية – بالعربية ص 208-209.

15- المصدر السابق ، ص 155 بالأنجليزية – بالعربية ص 210.

16- المصدر السابق ، ص 156 بالأنجليزية – بالعربية ص 211.

17- المصدر السابق بالأنجليزية – بالعربية ص 212.

18- ماو تسى تونغ " **يجب أن نتعلّم القيام بالعمل الإقتصادي"** ، **مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد 3 ، ص 191 بالأنجليزية - و بالعربية ص 258 .

19- المصدرالسابق بالأنجليزية – بالعربية ص 258.

20- ماو تسى تونغ " **الوضع و سياستنا بعد النصر فى حرب المقاومة ضد اليابان"** ، **مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد 4 ، ص 19 بالأنجليزية – بالعربية ص 25.

21- المصدر السابق بالأنجليزية – بالعربية ص 25.

22- المصدر السابق ، ص 20 بالأنجليزية – بالعربية ص 26 .

23- ماو تسى تونغ ، " **حول السياسة الصناعية و التجارية** " ، **مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد 4 ، ص 203 بالأنجليزية - بالعربية ص 261 .

24- ماو تسى تونغ ، " **تقرير إلى الدورة العامة الثانية للجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر الوطني السابع للحزب الشيوعي الصيني** " ، **مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد 4 ، ص 365 بالأنجليزية- بالعربية 463 .

25- المصدر السابق ، ص 368 بالأنجليزية – بالعربية ص 466.

26- المصدر السابق بالأنجليزية – بالعربية ص 467.

27- المصدر السابق ، ص 367 بالأنجليزية – بالعربية 465.

28- ماو تسى تونغ ، " **ملاحظات نقدية** " ، " **نقد الإقتصاد السوفياتي** " ، ص 40 بالأنجليزية .

29- ماو تسى تونغ ، " **تقرير إلى الدورة العامة الثانية للجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر الوطني السابع للحزب الشيوعي الصيني** " ، المجلد 4 ، ص 369 بالأنجليزية – بالعربية 468 .

30- المصدر السابق بالأنجليزية – بالعربية ص 468.

31- ماو تسى تونغ ،" **حول الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية** " ، **مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد 4 ، ص 419 بالأنجليزية – بالعربية ص 530-531 .

32- المصدر السابق ، ص 421 بالأنجليزية – بالعربية ص 532 .

33- ماو تسى تونغ ، " **حول الصراع ضد " الشرور الثلاثة " و " الشرور الخمسة ""** ، **مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد 5 ، ص 65 بالأنجليزية .

34- المصدر السابق .

35- المصدر السابق ، ص 64.

36- المصدر السابق ، ص 69.

37- " **ثلاثة صراعات كبرى على الجبهة الفلسفية الصينية** " ، منشورات باللغات الأجنبية ، بيكين ، 1976 ، ص 3 بالأنجليزية .

38- ماو تسى تونغ ، " **حول التحويل التعاوني للفلاحة "**، **مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلد 5، ص 201- 202 بالأنجليزية.

39- ماو تسى تونغ ، " **النقاش حول التحويل التعاوني للفلاحة والصراع الطبقي الراهن "** ، **مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد الخامس ، ص 217 بالأنجليزية .

40- ماو تسى تونغ ،" **حول التحويل التعاوني للفلاحة "** ، **مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد 5، ص 199-202 بالأنجليزية.

41- ماو تسى تونغ ، " **العشر علاقات الكبرى "** ، **مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد 5 ، ص 286 بالأنجليزية .

42- المصدر السابق .

43- المصدر السابق .

44- المصدر السابق ، ص 291.

45- المصدر السابق.

46- المصدر السابق.

47- المصدر السابق ، ص292.

48- المصدر السابق ، ص 294.

49- **" نظرية القاعدة الإقتصادية المزدوجة " يجب نقدها نقدا شاملا "** ، **" ثلاثة صراعات كبرى على الجبهة الفلسفية الصينية "** ، ص 27 بالأنجليزية .

50- ماو تسى تونغ ، " **المعالجة الصحيحة للتناقضات بين صفوف الشعب"** ، **مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلد 5 ، ص 409 بالأنجليزية – بالعربية ص 18-19 من **" مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ ".**

51- ماو تسى تونغ ، " **خطاب فى المؤتمر الوطني للحزب الشيوعي الصيني حول أعمال الدعاية "** ، **مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد 5 ، ص 434 بالأنجليزية - بالعربية ص 20 من **" مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ ".**

52- **" ثلاثة صراعات كبرى على الجبهة الفلسفية الصينية "** ، ص 5 بالأنجليزية .

53- ماو تسى تونغ ، **" خطاب فى ندوة لوشان "** ، شرام ، ص 146 بالأنجليزية .

54- ماو تسى تونغ ، ذكره **" تقرير إلى المؤتمر الوطني التاسع للحزب الشيوعي الصيني "**، منشورات باللغات الأجنبية، بيكين 1969 ، ص 22- 23 وهو خطاب ألقاه لين بياو لكنّه يقدّم خطّ ماو فى تعارض مع خطّ لين بياو و مع التقرير الذى حاول تمريره .

55- ماو تسى تونغ ، **" ملاحظات نقدية "** ، **" نقد الإقتصاد السوفياتي "** ، ص 76 بالأنجليزية .

56- المصدر السابق ، ص 79 .

57- المصدر السابق ، ص 80-81.

58- المصدر السابق ، ص 11-112.

59- ماوتسى تونغ ، ذكره **" نظرية " مزج الإثنين فى واحد" نظرية رجعية لإعادة تركيز الرأسمالية"، " ثلاثة صراعات كبرى على الجبهة الفلسفية الصينية "** ، ص 60 .

60- أنظروا **" فى التناقض "** ، **مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد 1 ، ص 335 بالأنجليزية - بالعربية ص 487.

61- ماوتسى تونغ ذكره **" ممارسة الدكتاتورية الشاملة ضد البرجوازية "** لتشانغ تشن – تشياو ، منشورات باللغات الأجنبية ، بيكين 1975 ، أعيد نشره ضمن كتاب**" وخامسهم ماو "** لريموند لوتا ، بانار براس ، شيكاغو 1978 ، ص 213 بالأنجليزية .

62- **" تقرير المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الصيني "** ، منشورات باللغات الأجنبية ، بيكين 1973 ، أعيد نشره ضمن **" وخامسهم ماو "** ، ص 80 بالأنجليزية .

63- ماو تسى تونغ ، ذكره **" أتباع الطريق الرأسمالي هم البرجوازية داخل الحزب "** لفانغ كان ،**" مجلّة بيكين "** عدد 25 ، 18 جوان 1976 ، ص 7 ، أعيد نشره ضمن **" وخامسهم ماو "** ، ص 358 بالأنجليزية .

64- ماو تسى تونغ ، **" ملاحظات نقدية "** ، **" نقد الإقتصاد السوفياتي "** ، ص 86 بالأنجليزية .

65- ماو تسى تونغ ، ذكره **" حول القاعدة الإجتماعية لزمرة لين بياو المعادية للحزب "** ، ياو وان –يوان ، منشورات باللغات الأجنبية ، بيكين 1975 . أعيد نشره ضمن **" وخامسهم ماو "** ، ص 176 بالأنجليزية .

(2)

الفلسفة

الفصل الرابع من كتاب " مساهمات ماوتسى تونغ الخالدة " لبوب أفاكيان .

نشرت الفصول بداية كمقالات فى مجلة " الثورة " بين أفريل 1978 و جانفى 1979 .

مقدّمة :

يرتبط النضال على صعيد الجبهة الفلسفيّة و التطوّر الفلسفي إرتباطا وثيقا بالصراع و التطوّر فى المجتمع ككلّ . كان الأمر دائما على هذا النحو و أصبح كذلك بالخصوص مع ظهور الماركسيّة و تطوّر البروليتاريا كطبقة لذاتها بمعنى تطوّر حركة وعي الطبقة العاملة .

فى ظلّ الإشتراكية ، تكتسي هذه الحقيقة حتى أهمّية أكبر لأنّ مهمّة البروليتاريا كسيّدة للمجتمع الإشتراكي هي أن تحوّل عن وعي الطبيعة و المجتمع و الناس حسب نظرتها للعالم و أن تتقدّم صوب الشيوعية .

الأساس الطبقي للفلسفة

طالما وُجدت الطبقات ، فإن لكلّ نوع من الفلسفة طبيعة طبقيّة . و " الفلسفة تخدم أبدا السياسة "(1) و كما أكّد على ذلك ماو ذاته ، أساس الفلسفة - فى المجتمع الطبقي – هو الصراع الطبقي و هذا بالخصوص صحيح بشأن الفلسفة الماركسية . لقد شرح ماو ذلك كالتالي :

" هنالك صراع بين البروليتاريا و البرجوازية ... المضطهِدون يضطهدون المضطهَدين فى حين يحتاج المضطهَدين إلى المقاومة و البحث عن مخرج قبل التوجه إلى الفلسفة . فقط عندما أخذ الناس ذلك كنقطة إنطلاق وُجدت الماركسية – اللينينية و إكتشفوا الفلسفة . لقد عشنا جميعا هذه التجربة ." (2)

فى هذا الخطاب ذاته ، سأل ماو بالتحديد مجموعة من المثقفين :" **إذا لم تشاركوا فى الصراع الطبقي بأي فلسفة أنتم مرتبطون؟** "(3).

و لكن الفلسفة من ناحيتها تمارس إنعكاسا عظيما على الصراع السياسي . هذا هو السبب الأساسي الذى دفع ماو لا فقط إلى إيلاء أهمّية كبرى للفلسفة و إلى أن يصارع هو ذاته فى هذا الخضم بل لقد أكّد مرارا و تكرارا أن الفلسفة يجب أن تحرّر من جدران الدراسة المدرسيّة و أن تفهم من قبل أوسع الجماهير الشعبيّة لأنّه دون الفهم الواعي للفلسفة الماركسيّة و دون تحطيم القواعد الذهنيّة لفلسفة الطبقات المستغِلة ، لن يصبح ممكنا بالنسبة للبروليتاريا و الجماهير الواسعة أن تقضي تماما على بقايا الرأسمالية و المجتمع الطبقي و أن تتقدّم بالبشريّة و أن تحدث قفزة نوعيّة فى سيطرتها على الطبيعة.

<u>**أسس الفلسفة الماركسية**</u>

لخّص ماو فهم القانون الأساسي للتناقض و أغناه و سلّح الجماهير الشعبية لا فقط فى الصين بل عبر العالم أجمع بهذا الفهم المعمّق . هذا هو جوهر الإضافة الماركسية - اللينينية العظيمة لماو تسى تونغ فى حقل الفلسفة . و كي ندرك ذلك بصفة شاملة ، من الضروري أوّلا أن نلخّص المبادئ الأساسيّة للفلسفة الماركسيّة و تطوّرها مبتدئين من ماركس و إنجلز.

الفلسفة الماركسية شأنها شأن الماركسية عموما لم تنجم طبعا عن إندفاع فيّاض من رأس ماركس . مثلما قيل ، سأل ماو فى صيغة مزحة : حين كان ماركس يافعا جدّا ، هل درس أيّة ماركسيّة ؟ الفلسفة الماركسيّة أقام صرحها ماركس بالإشتراك مع إنجلز ، بتركيز و إعادة بناء و صياغة ما كان صحيحا فى الطريقة الديالكتيكية لهيجل و فى مادية فيورباخ و هما المدرستان الفكريّتان اللتان مرّ بهما ماركس عندما كان شابا ، قبل أن يصبح ماركسيّا .

فى " **فيورباخ و نهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية** " ، لخّص إنجلز تلك السيرورة فبيّن كيف أن تطوّر فلسفة هيجل مثلها مثل فلسفة فيورباخ - و أن ماركس و أنجلز ذاتهما - كانا مرتبطين شديد الإرتباط بتطوّر الرأسمالية و التطوّرات السريعة فى العلم و التكنولوجيا و كذلك فى التغيّرات الإجتماعيّة الدراميّة و الإنتفاضات التى رافقتها ، لا سيما فى أواخر القرن 18 و بداية القرن 19.

و أوضح إنجلز فى ما يتعلق بفلسفة هيجل أنه :" **بالضبط مع تحطيم البرجوازية بصناعتها الكبيرة و مزاحمتها و سوقها العالمي عمليّا كافة المؤسسات المستقرّة سابقا ، كانت هذه الفلسفة الديالكتيكيّة تحطّم كلّ مفهوم نهائي ، مطلق للحقيقة و الحالات المطلقة للإنسانية المرافقة له فبالنسبة لها (الفلسفة الديالكتيكية) لا شئ نهائي ، مطلق و مقدّس . إنّها تكشف الطابع العرضي لكل شئ و فى كل شئ ، لا تضمن إلاّ السيرورة غير المتقطّعة للصيرورة و التحوّل ، السيرورة المتصاعدة و اللامتناهية من الأسفل إلى الأعلى . و الفلسفة الديالكتيكية ذاتها ليست أكثر من إنعكاس بسيط لهذه السيرورة فى المخ المفكر** ".(4)

لكن حين كان هيجل يطوّر فلسفته (العشريّات الأولى من القرن 19) ، كانت الرأسمالية ضعيفة التطوّر فى ألمانيا . لم تكن الدولة الألمانيّة موحّدة فى ظلّ النظام الرأسمالي حيث لم تكن الثورة البرجوازية فى ألمانيا قد حدثت بعدُ و وجدت البرجوازية الصاعدة نفسها مضطرّة إلى عقد تسوية مع الأرستقراطية الإقطاعيّة و الملكيّة فى شخص فريديريك وليام الثالث ، ملك بروسيا . فكان لكلّ هذا تأثيره الكبير على فكر هيجل الفلسفي و السياسي .

سعى هيجل لتطوير نظام فلسفي كليّ قائم على الأساس المادي للظروف المتناقضة لألمانيا آنذاك . و بإرتباط بهذا ، بينما كانت طريقة هيجل ديالكتيكية ، إنتهى نظامه الفلسفي إلى أن يكون ميتافيزيقيا و إلى طلب حقيقة مطلقة متحقّقة تتمثّل بالذات فى النظام الفلسفي لهيجل ذاته . فى النهاية ، كان هيجل مثاليّا خلق نظامه الفلسفي فكرة مطلقة موجودة قبل الطبيعة و غير متّصلة بها . و هذه الفكرة عينها تبتعد عن الطبيعة لكي تفهم تدريجيا من قبل الإنسان فى المجتمع ، وتنتهى إلى تحقّقها النهائي و التام فى النظام الفلسفي لهيجل ، كما عبّر عن ذلك إنجلز.

تكشّف المحتوى الدغمائي التام للنظام الهيجلي عن حقيقة مطلقة فى تناقض مع طريقته الديالكتيكية التى تلغى كلّ الدغمائية. خلاصة القول ، الجانب الثوري حجب الجانب المحافظ و ما ينطبق على المعرفة الفلسفية ينطبق أيضا على الممارسة الإجتماعية . الإنسان المتمثّل فى هيجل الذى بلغ حدّ إيجاد الفكرة المطلقة ، عمليّا ، يجب أن يذهب بعيدا إلى تحقيق هذه الفكرة فى الواقع . و بالتالي لم يكن ممكنا للممارسة السياسية العمليّة للفكرة المطلقة على المعاصرين لتتوسّع إلى أبعد من ذلك . و نجد فى نهاية [نهاية فلسفة هيجل] **فلسفة الحق** و مفادها أن الفكرة المطلقة تتحقّق فى الأرستقراطية المرتكزة على الأوضاع الإجتماعية التى كان " ف. غيوم الثالث " بإستمرار لكن عبثا يعد بها أتباعه [على غرار الملكيّة الدستوريّة] (5).

و بوجه خاص إثر وفاة هيجل سنة 1831، برز أولئك ، و ضمنهم ماركس و إنجلز، الذين ورثوا الجانب الثوري من فلسفة هيجل ، المنهج الديالكتيكي . وألحّ إنجلز على أنّه حين كان نظام هيجل يدفع إلى المحافظة ، فى كل من الفلسفة و السياسة و كان كلّ من ينظر إلى **المنهج** الديالكتيكي كأهمّ شئ ينتهى إلى المعارضة الأكثر تطرّفا فى كلّ من السياسة و الدين (6)

و ذكر إنجلز ، بعد 1840 حين ، أنّ فى بروسيا " صعد إلى الحكم مع فريديريك وليام الثالث القمع الأرتودكسى و الرجعيّة الإقطاعيّة المطلقة " فتموقع ماركس و إنجلز ذاتهما ضمن المعارضة كجزء من " الهيجليّين الشبّان " ذوى الموقف الذى ظهر مباشرة كفلسفة تطلّعات البرجوازية الراديكاليّة و إستعمل قناعا ضئيلا من الفلسفة فقط لخداع مراقبة المطبوعات (7).غير أنّ ماركس و إنجلز سرعان ما أظهرا أنّهما أكثر راديكالية من البرجوازية . هذا هو وصف إنجلز لما حصل من التطوّر فى ما بعد :

" و قد صدر آنذاك كتاب فيورباخ " جوهر المسيحية " فسحق التناقض دفعة واحدة لمّا أرجع - بدون إلتواء- الماديّة إلى العرش . إنّ الطبيعة توجد بمعزل عن كلّ فلسفة : إنّها القاعدة التى نحن البشر بإعتبارنا نتاج الطبيعة ، ترعرعنا عليها . لا يوجد شئ خارج الطبيعة و عالم الإنسان . ثم إنّ الكائنات الفائقة التى هي من خلق التخيّل الدينيّ ليست إلا الإنعكاس الخيالي لوجودنا الحقيقيّ . و لقد زال الإفتتان ، و هدم " المذهب " و وضع جانبا و حلّ التناقض لأنّه لم يوجد إلاّ داخل المخيّلة . ينبغى على المرء ذاته أن يحسّ بالتأثير المحرّر لهذا الكتاب لكي يتبيّنه . لقد عمّ التحمّس و كنّا جميعا ، مؤقتا ، " فيورباخيّين " . يتبيّن المرء لمّا يقرأ كتاب "العائلة المقدسة " مدى التحمّس الذى رحب به ماركس بوجهة النظر الجديدة هذه ، و يتبيّن إلى أيّ حدّ – رغم كل إحترازاته النقديّة - كان متأثّرا بها. " (8) .

بيد أن فيورباخ لم يكن ماديّا صريحا . مدفوعا إلى العزلة من قبل السلطات الرجعيّة ، إنعزل فيورباخ كذلك فلسفيّا . فقد رفض المادية الصريحة لأنّه رأى المادية كشئ مميّز للقرن الثامن عشر ماديّة ميكانيكيّة ، ميتافيزيقيّة كنقيض للديالكتيك كما قدّمها بصورة خاصة الماديّون الفرنسيّون فى تلك الحقبة . حيث كانت هذه الماديّة تعترف فقط بالتراكم المادي و كانت تتعامل مع الإنقسامات فى الطبيعة كشئ مطلق يعكس مستوى الإكتشاف العلمي فى ذلك الحين و أنّ الرأسمالية لم تكتسح بعد المجتمع (بإستثناء هام هو أنجلترا أين أفضى ذلك إلى فهم أن كلّ شئ تناقض و أن " النظام الطبيعي" هو التغيّر المميّز بالقفزات (التحوّلات النوعيّة) و أنّ هنالك ترابط بين الأشياء المتناقضة و أن هنالك فقط إنقسام نسبيّ و ليس مطلقا بين مختلف أنواع المادة المتحوّلة .

فى الختام ، إنتهى فيورباخ ذاته إلى المثاليّة فبينما بيّن أنّ الدّين كان يمثّل ببساطة التعبير الخيالي فى مخّ الإنسان عن الوجود الإنساني و الطبيعي ، حاول أن لا يحطّم الدّين بل أن يعطي العلاقات الإنسانية طابعا دينيّا . ومثلما شخّص ذلك إنجلز :

" إن الدّين ، حسب فيورباخ ، هو الرابطة العاطفية ، و الرابطة الوجدانية بين البشر ، هذه الرابطة التى تبحث عن حقيقتها ، إلى حدّ الآن ، فى الإنعكاس الخيالي للواقع - بواسطة إله واحد أو آلهة كثيرين يكونون إنعكاسات خياليّة للصفات الإنسانيّة - و لكن عثرت عليها الآن ، مباشرة و بدون واسطة ، فى الحب بين " أنا " و " أنت ". و هكذا أصبح الحب الجنسيّ ، عند فيورباخ ، و بعد كلّ حساب ، واحدا من الأشكال الأكثر سموّا لممارسة دينه الجديد إن لم يكن أسمى شكل لها ." (9)

و أتعس من ذلك حتّى بصدد العلاقات و تفسير الأشياء حين تُسحب فلسفة فيورباخ و نظامه الأخلاقي على المستويات الإقتصادية والإجتماعية و السياسية . بسخريّة و حسرة فى آن معا أشار إنجلز إلى أنّ تبادل السلع بالفعل كان المثال الأتمّ و " المعبد " بالنسبة لرؤية فيورباخ الأخلاقيّة لأنّ هنالك كلّ ما يهمّه الأمر ، فإنّه يفتّش كذلك عن حقّه فى السعادة و الأخلاق يمكن أن تعكس عمل الخير . إذا ، ذهب فيورباخ أبعد من البرجوازية ذاتها فى نهاية التحليل - ليس أبعد من تقديس المساواة أمام القانون كمبدإ أسمى للمجتمع . كما قال إنجلز : **" تتلاءم أخلاق فيورباخ مع المجتمع الراسمالي الحالي ، و هذا أقلّ ما يرغب فيه أو يشكّ فيه هو نفسه ".** (10)

لذلك تجاه الطبقات المضطهَدة و البروليتاريا فى المجتمع الرأسمالي بصفة خاصة لم تكن فلسفة الأخلاق لدى فيورباخ إلاّ لتدفع للإستسلام فى شكل " حبّ " و " مساواة " . لخّص إنجلز ذلك فى :

" ومن هنا تفقد هذه الفلسفة الأثر الأخير لطابعها الثوري و لن يبقى سوى تكرار الأغنية القديمة : أحبّوا بعضكم بعضا ! – تعانقوا بلا تمييز بين الجنسين و الأوضاع ! ما أجمل حلم التوفيق الشامل هذا ! "(11)

القفزة التى أنجزها ماركس

إذن كان من الضروري تجاوز فيورباخ الذى تطوّر خارج الهيجليّة من النوع المعادى للأرتدوكسية ، لكنّه كان غير قادر على القيام بقفزة معاصرة نوعيّة على هيجل و المثاليّة عموما . كان ماركس أكثر من أيّ شخص آخر ، هو الذى قاد إلى القيام بهذه القفزة . و مثلما لخّص ذلك إنجلز :

" تولّدت أيضا نزعة أخرى عن تفكّك المدرسة الهيجليّة . إنّها النزعة الوحيدة التى أعطت حقّا ، ثمارها . وهي تنسب أساسا إلى ماركس ." (12)

لم يزح ماركس تماما فيورباخ و لم يزح كذلك هيجل حيث نقد عدم نجاح فيورباخ فى مواصلة الماديّة و فهم نقديّا الجانب المادي لفيورباخ . حسب إنجلز تعدّ " **أطروحات حول فيورباخ** " التى كتبها ماركس فى 1845 **" الوثيقة الأولى حيث وُضعت بذور إبتكار التصوّر الجديد للعالم ."** (13)

فى هذه الأطروحات بيّن ماركس أن فيورباخ كان ماديّا تأمليّا :

" إن النقص الرئيسي بالنسبة للماديّة السابقة بأسرها - بما فى ذلك مادية فيورباخ - أنّها لا تدرك الموضوع و الواقع و العالم الحسّي إلاّ فى صورة موضوع أو حدس و لكن ليس بإعتبارها نشاطا إنسانيّا ملموسا و تطبيقا عمليّا ، و بصورة لا ذاتيّة . و هذا ما يجعلنا نفهم سبب تطوّر الجانب العملي عن طريق المثاليّة بالمقابل مع الماديّة - غير أنّ هذا التطوّر تمّ على نحو تدريجيّ لأنّ المثاليّة لا تدرك ، طبعا ، النشاط الحقيقي و الملموس كما هو ."(14)

لهذا السبب قال ماركس ، فيورباخ " **لا يعتبر ... نشاطا إنسانيّا حقاّ إلاّ النشاط النظري ... و من أجل ذلك لم يدرك أهمّية النشاط " الثوري " و النشاط " التطبيقي النقدي".** (15)

هناك لأوّل مرّة فى التاريخ ، يؤكد ماركس على الدور الأساسي و المحدّد للممارسة فى سيرورة المعرفة ، دورها المحدّد فى حركة المعرفة . قبل ذلك ، بما فى ذلك فيورباخ ، كما أشار ماركس إلى ذلك ، كانت الماديّة ترى الواقع الموضوعي كأشياء موجودة خارج الفكر الإنساني و بإستقلال عنه ، و لكنّها لم تكن تعتبر النشاط الإنساني ذاته كجزء من الواقع الموضوعي . بإختصار مثلما قال ماركس عن فيورباخ :" **يطلب موضوعات ملموسة و متميّزة ، بالفعل ، عن موضوعات الفكر . إلاّ أنّه لا يعتبر النشاط الإنساني نشاطا موضوعيا.**" (16)

و تبعا لهذه النظرة لعلاقة الإنسان بالطبيعة ، فى سيرورة المعرفة ، على الإنسان فقط أن يعكس الواقع الخارجي فى أفكاره أو أن يتأمّلها . غير أنّ هذا فى حدّ ذاته لا يمكن أن يعالج مشكلة ما إذا كانت أفكار الإنسان تعكس حقا الطبيعة . كما واصل ماركس تشديده :

" ليست معرفة ما إذا كان فى وسع الفكر الإنساني أن يصل إلى حقيقة موضوعية مسألة نظريّة بل مسألة عمليّة . و ينبغى على الإنسان أن يثبت الحقيقة – أي واقع الفكر و قوّته و قوامه - من خلال الممارسة . إن مناقشة واقع الفكر أو لا واقعيّة الفكر بمعزل عن الممارسة ليست سوى مناقشة مدرسوية " .(17)

فى " **فيورباخ و نهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية** " ، قال إنجلز إنّ :

" المسألة الهامّة و الأساسيّة بالنسبة لكلّ فلسفة و خاصة الفلسفة الحديثة هي مسألة العلاقة بين الفكر والوجود" .(18)

بعدُ فى 1845، فى " **أطروحات حول فيورباخ** "، أعطى ماركس أساس الإجابة على تلك المسألة بإعتبار الممارسة شرطا للحقيقة . **" إن الحياة الإجتماعيّة حياة عمليّة أساسا ، إن الحلّ المنطقي للأسرار التى تحوّل وجهة النظريّة نحو التصوّف يوجد فى التطبيق الإنساني العمليّ و فهم هذا التطبيق العملي . "**(19)

أمّا بالنسبة للمجتمع ، شرح ماركس ، عالجت الماديّة المتأمّلة فى أقصى تقدير دور الأفراد فى علاقة الواحد بالآخر . لم تكن تستطيع أن تكشف العلاقات الإجتماعيّة التى هي العلاقات الإنسانيّة الأساسيّة أو الظروف الماديّة الحاليّة التى هي أساس هذه العلاقات . و أشار ماركس إلى أن فيورباخ بالتالي **" لم يتبيّن أن " الجوهر الديني" هو نفسه نتاج إجتماعي و أن الفرد المجرّد الذى يتفحّصه ينتسب فى الواقع إلى تشكيلة إجتماعية معيّنة "**. (20)

المشكلة مع فيورباخ كانت أنّه طالما " **كان ماديّا لم يناقش التاريخ و طالما درس التاريخ لم يكن ماديّا . بالنسبة له الماديّة و التاريخ لا يلتقيان..."** .(21)

فى الأخير ، إذا ، فى تضارب مع فيورباخ و كلّ الماديّين السابقين تأسّست الماديّة الجديدة - الديالكتيكيّة و التاريخيّة - على فهم أنّ " **البشر هم الذين يغيّرون الظروف** " و أنّ " **توافق تغيّر الظروف و النشاط الإنساني لا يمكن أن يعتبر و يدرك منطقيّا إلاّ كممارسة ثوريّة** ." (22)

بعبارة أخرى ، ما يؤكد عليه ماركس هنا هو أنّ الناس بمجرّد إرتباطهم ببعض فى المجتمع و من خلاله و تشكّلهم من قبل المجتمع الذى يعيشون فيه ، بالتالي أيضا ، من جهة أخرى يمكن لهم و يجب عليهم أن يغيّروا المجتمع ومن هنا مقولة ماركس الشهيرة " **إنّ الفلاسفة لم يفتئوا يؤوّلون العالم بأساليب متباينة إلاّ أنّ المهم هو تغييره.** " (23)

طبعا ، شدّد ماركس بإستمرار على أنّ الناس لا يمكنهم تغيير الأشياء كما يرنون بل فقط بإتّفاق مع القوانين الموضوعية . و هذا صحيح فى ما يتّصل بالمجتمع و كذلك فى ما يتّصل بالطبيعة . و المجتمع فى الأخير محدّد بمدى تطوّر القوى المنتجة التى ترثها الأجيال المتتالية . لكن المجتمع لا يمرّ عبر جملة من التغيّرات الكمّية المتميّزة فقط بمراكمة القوى المنتجة و الحياة الماديّة للمجتمع بالخصوص العلاقات الإقتصاديّة ، تشكّل الأساس الذى عليه تُبنى المؤسسات السياسيّة و القوانين و الإيديولوجيا و الثقافية إلخ. و تمارس هذه البنية الفوقيّة من جهتها إنعكاسا كبيرا على الأساس الإقتصادي و فى أوقات معيّنة تصبح محدّدة إلى حدّ معيّن لتطوّر قوى الإنتاج . حينئذ يتطلّب تعويض علاقات الإنتاج القديمة ثورة إجتماعية - تغيّر فى البنية الفوقيّة - بعلاقات جديدة يمكن أن تحرّر قوى الإنتاج .

كما وضع ذلك ماركس فى نقده للفوضويّة الفرنسية فى عصره ، السيد برودون ،" **بالحصول على قوى إنتاج جديدة يغيّر الناس نمط إنتاجهم ، و بتغيير نمط إنتاجهم ، بتغيير طريقتهم فى كسب عيشهم ، يغيّرون كافة العلاقات الإجتماعية** ". (24)

لكن مرّة أخرى ، يتطلّب تغيير العلاقات الإجتماعيّة ثورة إجتماعيّة . و بالتالى يتطوّر المجتمع من مستوى أدنى إلى مستوى أرقى من خلال عدّة ثورات مماثلة (قفزات نوعية) . فى المجتمع الطبقي ، يحصل هذا عبر إطاحة طبقة بطبقة أخرى بعد درجة معيّنة من تطوّر الصراع بينهما . و بإختصار تاريخ المجتمع منذ نشوء الطبقات هو تاريخ صراع طبقي .

يشمل قانون التطوّر الجدلي ، وفق الفلسفة الماركسيّة ، الطبيعة و المجتمع . و بالفعل رؤية أهمّية تغيير الواقع بالعمل بإتّفاق مع العالم ، و بصورة خاصة المجتمع ، فى تغيراته و حركته و تطوّره و دفع القفزة الثوريّة من الرأسماليّة إلى الشيوعيّة ، أكّد ماركس و إنجلز على الجدليّة . و مثلما أشار لينين إلى ذلك :

" إن ماركس و إنجلز ، اللذين تربّيا على مؤلفات فورباخ ، و إشتدّ مراسهما فى النضال ضد الكويتبين الركيكين ، قد أوليا بالطبع جلّ الإهتمام لإستكمال بناء فلسفة الماديّة إلى النهاية أي على الفهم المادي للتاريخ و ليس على علم العرفان المادي . و من جراء ذلك ، أكّد ماركس و إنجلز فى مؤلفاتهما على الماديّة الديالكتيكيّة أكثر ممّا أكّدا على الماديّة الديالكتيكيّة ، و ألحّا على الماديّة التاريخيّة أكثر ممّا ألحّا على الماديّة التاريخيّة ".(25) .

و هكذا فى تطوّر فلسفتهما الثوريّة ، لم يطرح ماركس و إنجلز جانبا هيجل .عوض ذلك إحتفظا بالجانب الثوري لهيجل أي منهجه الديالكتيكي و كما قال إنجلز " **تحرّرنا من هزيمة المثاليّة التى سعى هيجل إلى تكريسها بإستمرار**" .(26)

والآن ليس هنالك حال من الحركة الديالكتيكية لفكرة مطلقة ، من الروح كخالق و مشكل العالم المادي بل بالعكس . الآن يعترف بأنّ المادة فى حركة دائمة و تغيّر دائم ، و التحوّل إلى أشكال خاصة مختلفة تصبح هي ذاتها وجود فعدم و أكثر من ذلك الأفكار و الوعي و الروح ليست سوى إنعكاس فى مخّ الإنسان (هو ذاته مادة) لهذه السيرورة و تتّبع قوانين التطوّر ذاتها . هذه هي الماديّة الديالكتيكيّة أو الماديّة الجدليّة و مطبّقة على التاريخ ، الماديّة التاريخية كما طوّرها و لخّصها ماركس و إنجلز .

لكن كما وقعت الإشارة إلى ذلك سابقا ، لم تكن هذه الفلسفة فقط أو جوهريّا إنتاجا لمخّ ماركس و إنجلز ، بل كانت نتيجة تطوّر الرأسمالية و العلوم الطبيعيّة و الصراع الطبقي . و كانت إفرازا للسيرورة الجدليّة لتطوّر الفلسفة ذاتها كإنعكاس لهذه التطوّرات و الهزّات فى المجتمع و فى فهم الإنسان و سيطرته على العالم الطبيعي . و كذلك لا تمثّل المادية الجدلية و التاريخية ماركس و إنجلز و بعض الآخرين فقط بل كانت و لا تزال الفلسفة الثورية للبروليتاريا ، فى آن معا موضوعيّة و منحازة لها ، عاكسة كلاّ من القوانين الموضوعيّة للتطوّر الطبيعي و التاريخي و مصالح البروليتاريا التاريخيّة و مهمّتها التى هي فى إتّفاق تام مع هذه القوانين . و على عكس الطبقات الأخرى فى التاريخ الإنساني و التى صعدت إلى موقع السيطرة و شكّلت المجتمع على شاكلتها ، فإنّ البروليتاريا ترى لا إلى إفتكاك السلطة فحسب و مهمّتها ليست تركيز نظام لا يتغيّر " أبدا " ممثّلا " النقطة النهائية " لتطوّر البشريّة و إنّما تتوق إلى القضاء على كافة الفوارق الطبقية و السماح للبشريّة بمواصلة تجاوز الحواجز أمام تطوّر المجتمع الإنساني و تحويله للطبيعة .

لينين يدافع عن الفلسفة الماركسية و يطورها

هنا كان من الممكن أن نقدّم فقط أوجز و أعمّ تطوّر للفكر الفلسفي لماركس و إنجلز و تأسيسهما للماديّة الجدليّة و المادية التاريخيّة عبر تلك السيرورة . إلاّ أنّه تجدر الإشارة إلى أنّ بناء هذه النظرة العلميّة للطبيعة و المجتمع و التفكير و الفلسفة كما وُجدت بالماضى ، جرى كجزء من التفكير الذى كان بمستطاعه فقط السعي إلى أن يشكّل فى الخيال مبادئ الكلّية للطبيعة و المجتمع و الفكر و أن يتجاوز البون الموجود بين ظواهر ظاهريّا منعزلة ، بتوحيدها فى نظام شامل . مثل هذه الفلسفة لم تنته كبقايا الفكر المتخلّف الممثّل لمصالح القوى الرجعيّة فى المجتمع .

و كما أوضح ذلك إنجلز بجلاء ، الماديّة التاريخيّة " **وضعت حدّا للفلسفة فى ميدان التاريخ تماما مثلما جعل المفهوم الجدلي للطبيعة كل فلسفة عديمة الجدوى بقدر ما جعلها أمرا محالا. و سوف لن يتعلّق الأمر ، حيث كان بالنسبة للمرء ، بتخيّل الإرتباطات داخل دماغه بل بإكتشافها ضمن الأحداث** " . (27)

و مثلما شرح ذلك فى كتاب آخر له مشهور :" **الماديّة الحديثة ، فى الحاليتين ، ديالكتيكيّة من حيث الجوهر و الأساس ، و لا تحتاج إلى فلسفة قائمة فوق جميع العلوم الأخرى . و ما أن يضطرّ كلّ علم من العلوم إلى تحديد مكانه فى الصّلة العامّة للأشياء و المعارف عن هذه الأشياء ، حتى يغدو العلم الخاص بهذه الصلة العامة لا لزوم له . و حينئذ لا يبقى ، من الفلسفة السابقة كلّها ، غير مذهب واحد مستقل هو مذهب الفكر و قوانينه ، المنطق الإستقرائي و الديالكتيك . أمّا الباقي كلّه فيدخل فى العلوم الإيجابيّة عن الطبيعة و التاريخ ."** (28)

لكن من الضروري جدّا أن نقول إنّ وضع حدّ لمثل هذه الفلسفة التى تجاوزها الزمن لم يكن بتلك البساطة . و هذا ليس فقط أو حتّى بالخصوص لأنّ هذا لا يعجب كثيرا الفلاسفة المحترفين و إنّما لأنّ مثل هذه الفلسفة التى تجاوزها الزمن و مثلما تمّت الإشارة أعلاه ، تخدم القوى الرجعيّة فى المجتمع . غير أنّ على الفلسفة الماركسيّة أن تخوض نضالا فى كلّ خطوة فى طريقها ضد فلسفات الطبقات الرجعيّة المنحطّة و أن تتطوّر فى صراع معها و فى تضارب مع شكل أو آخر من المثاليّة و الميتافيزيقا . و ليس هذا سوى إنعكاس للصراع العملي بين البروليتاريا و البرجوازية (و طبقات إستغلالية أخرى) بل هو أيضا جزء هام من الصراع الشامل بين هتين الطبقتين . و وقع مثل هذا الصراع فى مجال الفلسفة الذى يعكس و يترافق مع الصراع العملي ، بكثافة داخل حركة الطبقة العاملة ، بين الماركسيّين و الإنتهازيّين من مختلف الألوان . و ظلّ هذا

صحيحا طوال حياة ماركس و إنجلز و إحدى نتائجه كانت مزيد تنظيم الفلسفة الماركسيّة و تعميقها ، مثل ذلك العمل المعروف لأنجلز " **ضد دوهرينغ** " .

كان ذلك أيضا الحال بالنسبة للينين و بصورة خاصة الصراع المحتدم الذى خاضه لفضح المرتدين داخل الحركة الماركسية و قتالهم . فى الميدان الفلسفي ، انتج لينين أكبر عمل فى الدفاع عن الفلسفة الماركسية و تطويرها بمناسبة نقده الثاقب للإنتهازيين على المستوى الفلسفي و السياسي الذين تجمعوا حول فكر " أرنست ماخ " الفيزيائي و الفيلسوف الأسترالي ، فى بداية 1900 ، لا سيما فى الفترة الممتدّة بين ثورتي 1905 و 1917 فى روسيا . كانت الماخيّة ، أكثر أنواع النقد التجريبي شيوعيا فى ذلك الوقت ، بالأساس شكلا من المثالية فكانت مرتبطة بالتيّار التجريبي العام فى الفلسفة الذى تطوّر حينذاك كما كانت شديدة الإرتباط بالبراغماتية التى كانت الشكل الأمريكي الخاص من التجريبيّة التى ظهرت بتطوّر الرأسمالية فى الولايات المتّحدة إلى إمبريالية . (29)

و مثلما بيّن لينين ، حاولت الماخيّة جوهريّا أن تعيد إحياء مقولات الفلسفة الرجعيّة للورد جورج بركلى البريطاني للقرن 18 . لقد هزأ هؤلاء الماخيّون من الماديّين لأنّ الماديّين يعترفون بشئ ما غير معقول و يستحيل إدراكه -" الأشياء فى ذاتها " - المادة ، " خارج التجربة " ، خارج إدراكنا (30) وعوض ذلك ركّز الماخيّون على أنّ العالم الواقعي يتمثّل فقط فى " أحاسيس " ، يتمثّل فى أشياء توجد فقط إذا تحققّت فى وعينا لها . بالنسبة للماخيّين ، الماديّون تائهون لأنّهم يدافعون عن أن " وراء الظاهرات يوجد عندهم أيضا الشئ ذاته ، و وراء المعطيات المباشرة للحواس يوجد شئ ما آخر، فتش ما ، " صنم " مطلق ، مصدر " للميتافيزياء " ، صنو للدين (" المادة المقدّسة "، كما يقول بازاروف) ". (31)

عند الردّ الشامل على النظرة الماخيّة ، لم يدلّل لينين على وحدتها الأساسيّة بل كذلك على نقلها تقريبا حرفيّا عن آراء بركلي قبل قرنين . فقد حاول بركلي أن يقدّم مثاليّته الواضحة - تركيزه على أنّ الأشياء الموجودة ظاهريّا خارجنا هي مجرّد مواصلة لذهننا - مع صعوبة فصل الإحساس بأن هذه الأشياء توجد بالنسبة لأناس مختلفين (أذهان مختلفة) لكنّها مستعملة من قبل هؤلاء الناس المختلفين حسب القوانين التى تنتهى إلى هذه الأشياء . لنذكّر بمثال بسيط . إثنان مختلفان فى غرفة أكّدا مرات عديدة أنهما قادران لا فقط على معرفة بل كذلك على الجلوس على كرسي واحد ، ذاته (الكرسي) (رغم أن ذلك لا يحصل فى الوقت عينه) .

حتّى بركلي لم يستطع إنكار ذلك لكن كيف يفسّر ذلك بإتّفاق مع المثاليّة ؟ كان جواب بركلي مفاجئا ، شيئا ما إن كان كذلك ، أن يرجع كلّ هذا إلى الإلاه ، قوّة خارقة خلقت و أوجدت كلّ الأشياء الموجودة بما فى ذلك مختلف البشر ذاتهم ، فى وحدة كبرى ، إمتدادا لهذه الروح . بتركيز هذا كان بركلى فرحا جدّا بأن يجعل وجود الواقع المشاهد عموما من قبل القابلين للموت و حتى القوانين الطبيعيّة المرتبطة بالواقع مرتهنة للروح . و مثلما لخّص ذلك لينين بتهكّم :

" إن بركلي لا ينكر وجود الأشياء الفعليّة ! إن باركلي لا يقاطع رأي البشريّة جمعاء ! إن بركلى ينكر" فقط " مذهب الفلاسفة أي نظريّة المعرفة التى تأخذ بصورة جدّية و قاطعة ، كأساس لجميع محاكماتها ، الإعتراف بالعالم الخارجي و إنعكاسه فى إدراك الناس ." (32)

و كان هذا جوهريّا هو ما ينكره الماخيّون رغم أنّهم لا يركّزون على خلق الإلاه بنفس طريقة بركلي . أشار لينين إلى أنّ : **" هذه هي فكرة بركلى . و هذه الفكرة التى تعرب بصورة صحيحة عن كنه الفلسفة المثاليّة و أهمّيتها الإجتماعيّة ، سنلتقى بها فيما بعد ، عندما نتحدّث عن موقف الماخيّة من العلوم الطبيعية " و بعد ذلك " الماخيّين الحديثين" لم يوردوا ضد الماديّين أيّة حجة واحدة ، أيّة حجة على الإطلاق ، لم ترد عند الأسقف بركلى".** (33)

لكن لماذا يقوم هؤلاء المعارضون " الجدد " للماديّة - و العديد منهم كانوا ماركسيّين و البعض ظلّوا يدّعون على الأقلّ أنّهم "مساندون نقديّون " للماركسية - بهذا التراجع ؟ يعود هذا جزئيا إلى بعض الإكتشافات فى علم الطبيعة و منها إكتشاف أنّ النواة ليست شيئا واحدا غير قابل للإنقسام بل يمكن أن تنقسم إلى أجزاء مختلفة (وجود الألكترونات بات معروفا حينها) فأعطت هذه الإكتشافات دليلا أعمق على الجدليّة فى الطبيعة بيد أنّ عددا من العلماء و الفلاسفة إلخ الذين لم ينخرطوا ، على الأقلّ صراحة فى الماديّة الجدليّة ، قدّموا " دليل " عدم صحّة الماديّة .

و أشارت التجارب إلى أنّ الكتلة يمكن أن تتحوّل إلى طاقة و من هذا إستنتج الكثيرون أنّ " المادّة تزول" و كان يبدو أنّ الخطوة الفلسفيّة المنطقيّة لأن يستنتج من ذلك أنّ المادة لا يمكن أن تكون محتوى الواقع و أساس الوعي .

فى نقد و دحض ذلك ، لم يعد لينين إلى تأكيد الماديّة الجدليّة فحسب بل طوّر فهمها بإدخال هذا التقدّم العلمي فى الفلسفة الثوريّة و عانقت مبادؤها الأساسيّة تماما الإكتشافات الجديدة و غدت بذلك أغنى بهذه الإكتشافات . و وضّح لينين :

" "المادّة تزول"- إنّ هذا يعنى أنّه يزول ذلك الحدّ الذى كنّا نعرف المادّة إليه حتى الآن ، وأنّ معرفتنا تمضى إلى أعمق، كذلك تزول خواص المادة التى كانت تبدو من قبل مطلقة ، ثابتة ، أوّلية ... و التى تتكشّف الآن بوصفها نسبيّة ملازمة لبعض حالات المادة فقط . "(34)

بكلمات أخرى ، ما هو المحدّد فى رسم الإختلافات الجوهريّة بين الماديّة و المثاليّة فى الفلسفة ليس أي حالة خاصة لوجود المادة فى وقت ما بل فى أيّة حالة ، المادة موجودة و موجودة بإستقلال عن و كأساس لوعي الإنسان ، لأفكاره . بكلمات لينين :

" الماديّة الديالكتيكية تلح على الطابع التقريبيّ ، النسبيّ لكل موضوعة علميّة عن بنيان المادة و خواصها ، على إنعدام الحدود المطلقة فى الطبيعة ،على تحوّل المادة المتحرّكة من حالة إلى أخرى ... المادية الديالكتيكية تلحّ على الطابع المؤقت ، النسبيّ ، التقريبيّ لجميع هذه المراحل من معرفة الطبيعة من قبل العلم المتطوّر المتقدّم لدى الإنسان . إنّ الألكترون لا ينضب مثله مثل الذرّة ، و الطبيعة لامتناهية و لكنّها توجد إلى ما لا نهاية ". (36)

و بالطبع لا تقدر المادية الميكانيكية ، الميتافيزيقية أن تفهم هذا و بذلك طال الزمن أو قصر ، ستجد نفسها مضطرّة لأن تتنازل إلى المثاليّة و تتحوّل إليها. و لأنّ بالأساس الفيزيائيّين لا يعرفون الجدليّة فإنّ الفيزياء الجديدة إنحرفت إلى المثاليّة. (37)
رابطا ذلك بالماخيّين ، عرض لينين :

" إن خطأ الماخيّة على العموم و الفيزياء الجديدة الماخيّة يتلخّص فى تجاهل أساس الماديّة الفلسفيّة هذا و فى تجاهل الفرق بين الماديّة الميتافيزيقيّة و المادية الديالكتيكيّة . فإن الإعتراف بعناصر ما ثابتة لا تتغيّر ، " بجوهر الأشياء الذى لا يتغيّر " و ما إلى ذلك ، ليس الماديّة ، بل هو مادية ميتافيزيائيّة أي منافية للديالكتيك ". (38)

و هكذا تنتهى إلى أن تكون غير ماديّة بالمرّة مثلها مثل الماخيّين . هذا هو عموما أساس الإكتشاف العلمي الذى جعل الماديّين، بمن فيهم عدد من الماركسيّين ، ينفضّون ليصبحوا و جيلهم مثاليّين و معارضين للماركسيّة . لكن الأهمّ كان ظهور الإمبرياليّة أعلى مراحل الرأسماليّة التى أدّت عالميّا بالعديد إلى التخلّى عن الماركسيّة مدّعين أن قوانين تطوّر المجتمع الرأسمالي بالخصوص لم تعد صالحة .

فى روسيا ، برز هذا بقوّة مع هزيمة ثورة 1905 و القمع الرجعي اللاحق . كان ذلك زمن القمع السياسي الوحشيّ و التراجع المؤقت لحركة الطبقة العاملة فى روسيا بالخصوص ، فترة إعادة تجميع و هيكلة القوى المبعثرة للحزب الثوري للطبقة العاملة الروسيّة ، البلاشفة . و كشف ذلك فى الفترة الوجيزة بالفعل ، فى بدايتها بين 1908 و 1912 ، عن إنفصال عن الصفوف الثوريّة و عن إشراف كلّي ميّز الظاهرة ، لا سيما فى صفوف المثقّفين الثوريّين سابقا و آخرين كانوا إلتحقوا بالحركة الثوريّة فى مرحلة صعودها لكن تخلّوا عنها و حتّى هاجموها فى مرحلة التراجع و إعادة تجميع القوى .

تعزّزت التحريفيّة . و كان إنكار الماديّة و الحقيقة الموضوعية و غير ذلك جزءا جليّا من إنكار أن الماركسيّة علم و أنّ تحليلها للرأسماليّة و أزمة الرأسماليّة و حتميّة الثورة البروليتارية إلخ ، صالح و صحيح .

خلال هذه الفترة بصورة خاصة كان من المهمّ جدّا الدفاع عن المبادئ الجوهريّة للماركسيّة ضد الهجمات المفتوحة و أن يحذر من تحريفها بالطرق البرجوازيّة المختلفة المستعملة . إن لم يقع القيام بذلك حينها لكانت البروليتاريا مُنيت بإنتكاسة شديدة على المدى القصير بل لكانت أزيحت من الطليعة الثوريّة أي لكانت الخسارة ستحصل لا سيما فى مرحلة المدّ الذى تلى التراجع المؤقت !

كان لينين هو الذى بسط الطريق أمام فضح التحريفيّين و صراعهم . نقدهم بطريقة شاملة مشيرا إلى أنّه منذ البداية كان على الماركسيّة أن تخوض الصراعات الأشدّ حدّة ضد أعداء الطبقة العاملة داخل الحركة الإشتراكية و أنّ ذلك كان حاجة ماسة ، صحيحة ، آنذاك . لقد عرض أهمّ ميزات التحريفية :

" أن يحدّد المرء سلوكه تبعا لكلّ حالة و وضع ، أن يتكيّف تبعا لأحداث الساعة ، لتغيّرات الأمور السياسية الطفيفة ، أن ينسى مصالح البروليتاريا الجذريّة و الميزات الجوهريّة لمجمل النظام الرأسمالي و لكلّ التطوّر الرأسمالي ، أن يضحّي بهذه المصالح الجذريّة من أجل منافع وقتيّة ، فعليّة أو مفترضة : تلك هي خطوط السياسة التحريفيّة . و من جوهر هذه السياسة بالذات ، ينجم هذا الأمر الجليّ و هو أن أشكالها قد تتغيّر إلى ما لا حدّ له ، و أنّ كل مسالة نوعا ما ، و كلّ تغيّر في الأحداث غير منتظر أو متوقّع نوعا ما ـ و لو أدى هذا التغيّر إلى تعديل الخطّ الأساسي للتطوّر، لدرجة ضئيلة جدّا و لأقصر فترة من الوقت ،ـ سيولدان حتما و أبدا ، هذه الأنواع أو تلك من النزعة التحريفية . " (39)

و إرتبطت المعركة ضد التحريفيّة فى ميدان الفلسفة شديد الإرتباط بالنضال ضدّها سياسيّا بيد أنّ الصراع الفلسفي ضدّ التحريفيّة يكتسى أهمّية عظمى فى حدّ ذاته . و بالفعل ، دون رفع راية الماديّة الجدليّة و التاريخيّة عاليا و دون الردّ بطريقة نقديّة على التحريفات و الهجمات عليهما ، لا سيما إعادة إحياء المثاليّة مشخّصة فى الماخية ، كان سيكون مستحيلا الإبقاء على حركة ماركسيّة و المحافظة على الطليعة البروليتارية . هذه هي الأهمّية الإيديولوجية الكبرى ، و الفلسفة جزء حيوي منها ، عموما . و هذه هي الأهمّية الكبرى لكتاب لينين " **الماديّة ومذهب النقد التجريبي"** بصورة خاصة .

كما أنفت الإشارة إلى ذلك ، غاية و مضمون ذلك العمل العظيم هما الدفاع عن الماديّة ضد الهجمات و الإختراقات المثاليّة " الحديثة " . لكن كما سلفت الإشارة إلى ذلك ، كان على مثل هذا الدفاع و قد شدّد على الجدليّة و طبّقها فى تعارض مع الميتافيزيقا لأنّ المادية الجدليّة وحدها بإمكانها تفسير التطوّرات الحديثة فى علم الطبيعة و دحض تأويلاتها المثاليّة بصفة منطقيّة . و بالقيام بذلك لم يرفع لينين راية الماركسية فحسب بل أثرى المادية الجدليّة المعاصرة ، الفلسفة الماركسيّة .

بشكل عام ، أعار لينين أهمّية كبرى للجدليّة و لدراستها و تطبيقها . فدفاتره الفلسفيّة التى تلخّص أكثر من عقدين تولى أهمّية بالغة لمسألة الجدليّة و دراستها و تطبيقها . و ضمن هذه الدفاتر يوجد مخطّط **"حول مسألة الديالكتيك "** المكتوب فى 1915. فيه قال لينين :" **إن إزدواج ما هو واحد و معرفة جزئيه المتناقضين ... يشكّلان جوهر الديالكتيك (أحد " جواهره " إحدى خصائصه أو ميزاته الرئيسية ، إن لم تكن خاصته الرئيسية) "** .(40)

و إسترسل قائلا إن معرفة تماثل أو وحدة الأضداد هو مفتاح فهم كافة السيرورات على عكس الفهم الميتافيزيقي للحركة كحركة ميكانيكيّة فقط نقصانا أو زيادة و تكرارا . و وصف هذا الفهم الأخير بأنّه جامد و عقيم و جاف . بينما فقط المفهوم الديالكتيكي **" يعطينا مفتاح " القفزات" و " الإنقطاع فى الإستمرار " و " تحوّل الشئ إلى ضدّه " و تدمير ما هو قديم و ولادة ما هو جديد ".**(41)

و أهمّ من ذلك ، خصّ لينين بإقتضاب العلاقة بين الوحدة (أو التماثل) و الصراع بين الأضداد فقال عن الوحدة إنّها مشروطة و مؤقتة و عابرة و نسبيّة فى حين أن صراع الأضداد " **مطلق كما هو عليه التطوّر ، كما هي عليه الحركة."** (42) فكانت هذه النقاط غاية فى الأهمّية و مثّلت العناصر الأساسيّة لتطوير أعمق للفلسفة الماركسيّة . و مثلما قال لينين فى هذه المخطوطات ذاتها " **الديالكتيك هو حقّا نظريّة المعرفة (عند هيغل و) عند الماركسيّة** " (43) . و مع ذلك فقد أشار إلى أنّه لم يحض بعناية كافية فى الفلسفة الماركسيّة ،لا فقط فى الكتابات الأولى العميقة لبليخانوف (حوالي 1900) و لا حتى لدي إنجلز . و ألمح لينين بوجه خاص إلى أنّ بليخانوف و إنجلز أيضا لم يعيرا الإهتمام الكافي للنقطة الجوهريّة أو

الأساسيّة للديالكتيك ، وحدة الأضداد (44) و هذه المسألة الجوهرية سيتولى معالجتها لاحقا و بأكثر شموليّة سيطوّرها ماو تسى تونغ .

ستالين : الماركسية و الميتافيزيقا

قبل المرور إلى إضافات ماو تسى تونغ للفلسفة الماركسية ، من المهمّ أن نلخّص و لو بإيجاز دور ستالين فى هذا المضمار . فمثلما كتب ماو ذاته ، أبرزت أعمال مثل " **أسس اللينينية** " فهما و تطبيقا لستالين لأهمّ مبادئ الجدليّة والمادية التاريخيّة . و صرح ماو أنّه فى " **أسس اللينينية** " :

" حلّل ستالين عموميّة التناقض فى الإمبريالية مبيّنا كيف أن اللينينيّة هي ماركسيّة عصر الإمبرياليّة و الثورة البروليتاريّة ، و حلّل كذلك خاصيّة إمبرياليّة روسيا القيصريّة فى هذا التناقض العام ، مبيّنا كيف أصبحت روسيا وطنا لنظريّة و تكتيك الثورة البروليتاريّة ، كيف أنّه تكمن فى هذه الخاصيّة عموميّة التناقض . و لقد أفادنا تحليل ستالين هذا كنموذج فى فهم خاصيّة التناقض و عموميّته و ترابطهما ." (45)

فى 1924 ، فى نفس الوقت الذى كتب فيه ستالين " **أسس اللينينية** " ، كان كقائد للحزب الشيوعي السوفياتي يخوض صراع حياة أو موت مع تروتسكى و إنتهازيّين آخرين . فنهض " **أسس اللينينية** " بدور حيويّ فى هذا الصراع فى تربية الصفوف الواسعة لأعضاء الحزب و الجماهير و فى المساعدة على عرض الخط التروتسكى المعادى للثورة بوجه خاص و إلحاق الهزيمة به. وهو منكب على خوض صراع مثل هذا لكسب صفوف الحزب و الجماهير الواسعة ، وجد ستالين نفسه مضطرّا لتطبيق الجدلية .

فى ما بعد ، مع ذلك ، حين صار الإتّحاد السوفياتي أقوى و إعتُرف بقيادة ستالين و صار مقامه عظيما ، لم يعتمد ستالين ، مع بقائه قائدا ثوريّا كبيرا للطبقة العاملة ، بإستمرار و بشمول على الجماهير ، و لم يكن بإستمرار و بصراحة جدليّا فى مقارباته للمشاكل . كما علّق على ذلك ماو لاحقا :

" حينذاك [عشرينات القرن العشرين] لم يكن لستالين شئ آخر يعوّل عليه سوى الجماهير لذلك طلب إستنهاض الحزب و الجماهير . ثمّ لما حقّقوا بعض الإنتصارات ، أصبحوا أقلّ إستنادا إلى الجماهير ".(46)

سابقا ، وقع نقاش بعض أخطاء ستالين ، خاصة خلال فترة الثلاثينات . و وقعت الإشارة إلى أن أهمّ هذه الأخطاء وأخطرها كان تركيزه الخاطئ على أنّه لم يعد هنالك تناحر طبقيّ فى الإتّحاد السوفياتي بعد أن تمّ تحقيق التغيير الإشتراكي للملكيّة بالأساس . و من البديهي أنّ هذا مرتبط بمسألة الفلسفة و التناقض و على وجه التحديد بفهم أشكال معيّنة لتطوّر التناقضات فى المجتمع الإشتراكي . و تركيز ستالين الخاطئ على إضمحلال الطبقات و الصراع الطبقي فى الإتّحاد السوفياتي بداية من ثلاثينات القرن العشرين كان شديد الإرتباط بأخطاء فى الفلسفة و تحديدا فى مسألة الجدليّة .

و يظهر هذا ببداهة فى الخطإ الأكبر فى عمله الفلسفي " **المادية الجدلية و المادية التاريخية** " المكتوب كجزء من " **تاريخ الحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي (البلشفي)** "، فى أواخر الثلاثينات . ففى حين يقدّم هذا العمل بشكل مقتضب تلخيصا صحيحا عموما للفلسفة الماركسية و فى حين يطبّق بالضبط بعض المبادئ الجدليّة لتطوّر الطبيعة و المجتمع ، فقد طُبع بشئ من الميتافيزيقا. و رغم أن ستالين قدّم موضوع الجدليّة بالحديث عن التناقض ، فإنّه لم يركز على التناقض كقانون جوهري للمادية الجدليّة . و لما ذكر أربع نقاط من الجدليّة كنقيض للميتافيزيقا ، أشار إلى التناقض فقط على أنّه النقطة الرابعة و لم يقل إنّه أهمّ نقطة . و إثر ذلك ، فى حين تكلّم عن صراع الأضداد و ترابط الأشياء لم يربطهما ببعضهما البعض وإعتبرهما ميزات منفصلة من الجدلية عوض إبراز كيف أنّهما الإثنان جزءا من التناقض . و لما ألحّ ستالين فى نقطته الرابعة حول الجدليّة على تناقض الأضداد لم يتحدّث فى الوقت ذاته عن التماثل بينهما ، مع أنّ ستالين يستشهد بلينين و قوله " التطوّر هو " نضال" الأضداد ".(47)

لكنّه لا يستشهد بجملة لينين التى توجد بالضبط قبل هذه ، " **لأجل إدراك جميع تفاعلات العالم من حيث " حركتها الذاتية " شرط معرفة كل السيرورات فى العالم فى " حركتها الذاتية " ، من حيث تطوّرها العفوي ، من حيث واقعها الحيّ ، ينبغى إدراكها من حيث هي وحدة من الأضداد ".**(48)

هذا هام ، لأنّه كما قال لينين : **" يمكن تلخيص الديالكتيك و تعريفه بأنّه نظريّة وحدة الضدّين . و بذلك نستطيع الإمساك بلب الديالكتيك ، غير أن هذا يتطلّب إيضاحا و تطويرا."** (49)

و صرح لينين بعدئذ بأن " **تماثل الأضداد ... هو معرفة (إكتشاف) الأضداد ، التيّارات المتناقضة ، المتنافرة ، فى كلّ الظواهر و السيرورات فى الطبيعة (بما فى ذلك العقل و المجتمع)** ". (50)

بكلمات أخرى ، لا يمكن رؤية التناقض دون تماثل أو وحدة الضدّين ، و عندما يوجد مثل هذا التماثل ، هنالك أساس لتحوّل مظهري التناقض الواحد إلى الآخر . و فى نفس الوقت ، ليس هنالك فقط تماثل بل أيضا صراع بين الضدّين فى التناقض . على هذا النحو يمثّل التماثل و الصراع ذاتهما تناقضا فيه الصراع هو الرئيسي و المطلق بينما التماثل ثانوي و نسبي ، لكن لكونهما تناقض ، تماثل و صراع فهما مرتبطان الواحد بالآخر فى وجودهما و التخلّى عن تماثل الضدّين يعنى القضاء بالفعل على إمكانيّة الصراع بينهما كذلك .

ثمّة نزعات لدى ستالين نحو الميتافيزيقا مثلما إنكشف ذلك فى معالجته للديالكتيك فى" **المادية الجدلية و المادية التاريخية "** و عبّرت عن ذاتها فى كيفيّة معالجة ذلك الكتاب تطوّر المجتمع . و عبّر ذلك عن نفسه ليس فقط فى المعالجة بالأحرى الخشبيّة لمختلف مراحل تطوّر المجتمع المؤدية إلى الإشتراكية بل كذلك فى طريقة تناول الإشتراكية كشئ مطلق تقريبا .

فى صراعه ضد المدافعين عن الرأسمالية و الأنظمة الإستغلالية عموما ، يؤكد ستالين بصيغة صحيحة أنّه لا يمكن أن يوجد نظام إجتماعي " **"غير قابل للتغيير" و أن توجد " مبادئ خالدة " للملكيّة الفرديّة و الإستغلال و لا " أفكار أبديّة " عن إضطهاد الفلاّح من قبل الملاّك العقاري الكبير و العامل من قبل الرأسمالي "** (51) و يستخلص إستخلاصا صحيحا أنّه :

" بالتالي يمكن أن يعوّض النظام الرأسمالي بنظام إشتراكي ، بالضبط مثلما عوّض النظام الرأسمالي فى ما مضى النظام الإقطاعي" . (52)

لكنّه لا يسحب دحضه ل " لا وجود لأنظمة إجتماعية غير قابلة للتحوّل" على الأقل بطريقة كاملة على الإشتراكية ذاتها . و بصفة مشابهة ، يستخلص ستالين من قانون التناقض الباطني ، أساس تطوّر الأشياء " **بالتالي يجب علينا أن لا نحجب تناقضات النظام الرأسمالي بل أن نعرّيها و نفضحها ، يجب علينا أن نحاول أن نتثبت من الصراع الطبقي بل أن نقوده إلى نهايته** " (53) بيد أنّه من جديد لا وجود لمعنى أنّ الحاجة إلى فضح لا تغطية تناقضات المجتمع تنسحب بطريقة ما كذلك على الإشتراكية و الإستجابة لتلك الحاجة خلال الإشتراكية نحو إلغاء الطبقات .

مثلما وقعت الإشارة إلى ذلك ، كتب ستالين "**المادية الجدلية و المادية التاريخية** " خلال الفترة التى إستنتج فيها أنّ التناحرات الطبقية لم تعد توجد فى الإتحاد السوفياتي . و فى مقال سابق لفتنا النظر إلى أنّه فى نهاية حياته بات تحليل ستالين للمجتمع الإشتراكي أكثر جدليّة نوعا ما ممّا إنعكس خاصة فى كتابه " **القضايا الإقتصادية للإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي** " . فى ذلك المؤلف الهام ، تطرّق ستالين إلى عدّة تناقضات فى المجتمع الإشتراكي ينبغى معالجتها كيما يحصل التقدّم صوب الشيوعية و أكّد بصورة خاصة على أنّ التناقض بين قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج لا يزال موجودا فى الإتحاد السوفياتي و أنّه إذا لم يعالج بطريقة صحيحة يمكن أن يتحوّل إلى تناقض عدائي .

مع ذلك لم يتعرّض ستالين للتناقض بين البنية التحتيّة و البنية الفوقيّة ، فى ظلّ الإشتراكية و لم يشر إلى إستمراره ما يمثّل أيضا المظهر الجوهري و مسألة غاية فى الأهمّية فى المجتمع الإشتراكي . و بالفعل كما علّق على ذلك بعمق ماو تسى تونغ عدّة مرات ، إستخفّ ستالين إستخفافا جدّيا بأهمّية البناء الفوقي و الصراع الدائر فيه .

و لم يعترف ستالين بوجود الطبقات المتناقضة فى الإتحاد السوفياتي إذ لم يدرك أن التناقض بين البروليتاريا و البرجوازية يظلّ القوّة المحرّكة للمجتمع الإشتراكي و أنّ الفهم الصحيح لهذا التناقض من شأنه أن يمثّل مفتاح الفهم الصحيح للتناقض بين قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج فى ظلّ الإشتراكية .

عموما إذن ، بعد تحقيق تركيز الملكية الإشتراكية فى الأساس بالإتّحاد السوفياتي ، لم يعتبر ستالين التناقض قوّة محرّكة لتطوّر المجتمع الإشتراكي . و أخفق فى الإقرار بوجود التناقض التناحرى بين البروليتاريا و البرجوازية و أخفق بالخصوص فى إدراك أنّ هذا هو أهمّ قوّة محرّكة للإشتراكية و للتقدّم صوب الشيوعية .

مساهمات ماو الفلسفية فى تطوير الجدلية

كان تطوير ماو تسى تونغ للفلسفة الماركسية ـ اللينينية فى حدّ ذاته تعميقا لقوانين الماديّة الجدليّة و أتى نتيجة العلاقة الجدليّة للتطوّر الشامل للثورة الصينيّة و تحليل تجربة الإتحاد السوفياتي وخلاصة لدروسها الإيجابيّة منها و السلبيّة بما فى ذلك فى حقل الفلسفة .
و إليكم مقتطف بصدد قانون التطوّر كما لخّصه ماو فى 1957 :

" لا توجد الحقيقة إلا نسبة للخطإ و فى صراع ضدّه و ينسحب هذا على الجميل و القبيح و الحسن و السئ . و بالفعل كلّ عمل مفيد ، كلّ إنسان جيّد لا يوجدون إلاّ نسبة للأعمال السيّئة و الناس السيّئين و يتطوّرون فى الصراع ضدّهم . و بإختصار لا توجد الأزهار العطرة إلاّ نسبة للحشائش السامّة و تتطوّر فى الصراع ضدّها ." (54)

هذا صحيح بالنسبة لتطوير ماو تسى تونغ للماركسية بما فى ذلك فى الفلسفة ، قبل و بعد إفتكاك السلطة السياسيّة فى البلاد كافة ، خلال كلّ من الثورتين الديمقراطية الجديدة و الإشتراكية . و فى كلا المرحلتين ، خلال مختلف مراحل الثورة الصينية و أطوارها الأصغر ، كان الصراع على الجبهة الفلسفيّة التى قاد فيها ماو تسى تونغ القوى البروليتارية ، كان على أهمّية قصوى فى تحديد القيادة ومآل الصراع الثوري الشامل .

فى فصل "**حول الثورة فى البلدان المستعمرة** " وقعت الإشارة إلى أنّه كجزء حيويّ من تطوير خطّ الثورة الديمقراطية الجديدة و الدفاع عنه و تطبيقه و بخاصة سياسات الكفاح ضد اليابان الذى مثّل مرحلة دنيا ضمن مرحلة الديمقراطية الجديدة أخذ ماو على عاتقه النضال فى الحقل الفلسفي . و كانت غاية هذا النضال ضد الدغمائية (و ثانويا التجريبية) كتيّاران عكسا التفكير المثالي و الميتافيزيقي المعارض للمادية الجدليّة . و تجسّد نقد ماو تسى تونغ لذلك التيارين بوجه خاص فى " **فى الممارسة العملية** " و فى " **فى التناقض**" و كلاهما كُتبا فى 1937 و يمثّلان عملين من أهمّ أعمال ماو الفلسفيّة .

فى مقال سابق أبرزنا أنّ هذين المؤلفين أثّرا على الفلسفة الماركسيّة و وقع التشديد على مغزاهما السياسي و دورهما فى الصراع الداخلي للحزب و الصراع الثوري الشامل فى ذلك الوقت و هنا نصبّ الإنتباه على مبادئ الفلسفة الماركسية التى صاغها ماو و أثراها و فى الوقت نفسه سنلقى نظرة على علاقتها بالصراع الإيديولوجي و السياسي الشامل آنذاك.

فى الأصل كان " **فى الممارسة العملية** " يحمل عنوان "فى العلاقة بين المعرفة و الممارسة و بين المعرفة و العمل ".
فى هذا الكتيّب أعاد ماو التأكيد على نظرية المعرفة الماركسية ، المادية الجدليّة و لخّصها . و مع تأكيده على مركزيّة الممارسة لا سيما الممارسة الإجتماعية و بمواصلته و تطويره لما صاغه ماركس فى " **أطروحات حول فيورباخ** " ، أشار

ماو :" **كانت الماديّة قبل ماركس تنظر على قضيّة المعرفة بمنأى عن طبيعة الإنسان الإجتماعية و بمعزل عن تطوّره التاريخي ، و لذلك لم يكن فى مقدورها أن تدرك تبعيّة المعرفة للممارسة العمليّة الإجتماعيّة ، أي تبعيّة المعرفة للإنتاج و الصراع الطبقي .** " (55).

من خلال هذا العمل ، رفع ماو عاليا و طبّق النظرة المادية للعلاقة بين الفكر و الوجود التى قال عنها إنجلز إنّها المسألة الجوهريّة فى الفلسفة . و إسترسل ماو شارحا :" **لم يستطيعوا [الناس] أن يحصلوا على فهم تاريخي متكامل لتطوّر تاريخ المجتمع ، و يحوّلوا معارفهم بالمجتمع إلى علم ، أي علم الماركسيّة ، إلاّ عندما ظهرت البروليتاريا الحديثة مع ظهور القوى المنتجة الجبّارة ، أي الصناعات الكبرى ."**(56)

لكن من الواضح أيضا أن ما يقدّم هنا ليس فقط ماديّة بل مقاربة جدليّة . فما ينطبق على الطبيعة ينسحب كذلك على الفكر و المعرفة فى حدّ ذاتها هي سيرورة جدليّة تتّبع ذات قوانين تطوّر المادّة فى الطبيعة و فى نشاطات الإنسان و علاقاته الإجتماعية .

و يكتسى أهمّية أكبر تحليل ماو لمراحل سيرورة المعرفة و القفزات من مرحلة إلى أخرى . مرتكزا مجدّدا على الدور المحدّد للممارسة و معالجا مسألة كيف أن المعرفة فى آن معا تنبع من الممارسة و تخدمها ، أشار ماو إلى أنّ :

" **الواقع أن الإنسان لا يرى فى بداية عمليّة الممارسة العمليّة سوى ظواهر الأشياء و جزئياتها و الروابط الخارجية التى تربط بينها ."**(57) لكن " **بإستمرار الممارسة العمليّة الإجتماعيّة ، تتكرّر مرارا الأشياء التى تترك أحاسيسا و إنطباعاتا فى حواس الإنسان فى مجرى ممارسته العمليّة ، و عندئذ يحدث فى ذهن الإنسان تبدل مفاجئ (قفزة) فى عمليّة المعرفة و تتكوّن المفاهيم** ". (58)

و ألحّ ماو على أنّ "**عندئذ لم تعد المفاهيم ظواهر الأشياء و لا جزئياتها و لا الروابط الخارجية التى تربط بينها ، بل هي إدراك تام لجوهر الأشياء و كلّياتها و روابطها الداخليّة . إنّ المفهوم و الإحساس لا يختلفان كمّيا فحسب بل كيفيّا أيضا.**"(59) إثر ذلك قال ماو " **إن مرحلة تكوين المفاهيم و الحكم و الإستدلال هي مرحلة أكثر أهمّية فى كل عمليّة المعرفة البشريّة بشئ ما ، وهي مرحلة المعرفة العقليّة .** " (60)

و مثل هذه المعرفة العقلية هي معرفة مجرّدة بالمعنى العلميّ للكلمة وهي بالتالي ليست بعيدة عن الحقيقة بل هي بالفعل أقرب إليها إلاّ أنّه مثلما عبّر عن ذلك لينين (فى جملة إستشهد بما ماو فى " **فى التناقض** ") : " **إن تجريدات المادة و أحد قوانين الطبيعة و القيمة ..إلخ ، و بإختصار كل تجريد علميّ (صحيح و جديّ و ليس باطلا) ، ليعكس الطبيعة بصورة أعمق و أصدق و أكمل**". (61)

ثم شرح ماو ذلك فكتب :" **إن الإحساس لا يحلّ سوى مسألة الظواهر ، و النظريّة وحدها تستطيع حل مسألة الجوهر .**" (62) . و يمثّل الحسّ فقط معرفة ظواهر الأشياء كما تعكسها الأحاسيس و كما تسجّل فى المخّ كإنطباعات و المفهوم و المعرفة العقليّة و النظريّة يمثّلون خلاصة هذه الأحاسيس و تلخيصا لأهمّ مظاهرها و علاقاتها الباطنيّة . و من هذا يمكن أن ندرك الأهمّية العظيمة للنظريّة و دورها عموما فى الحركة الثورية على وجه الخصوص .

لكن هل يعنى ذلك أنّ النظريّة فى النهاية أهمّ من الممارسة ؟ كلاّ ، يشرح ماو كيف أن الممارسة أوّلية و أهمّ من النظريّة فى نواحي عديدة . كتب :" **إن الإحساس و العقل يختلفان من حيث الطبيعة و لكن لا ينفصل أحدهما عن الآخر ، إنّهما موحّدان على أساس الممارسة العمليّة . إنّ ممارستنا العمليّة تثبت أنّ ما نحسّه لا يمكن أن ندركه على الفور ، و أنّ ما ندركه هو وحده الذى يمكن أن نحسّه بصورة أعمق ."** (63) ثم أضاف أنّ : " **الدور الفعّال للمعرفة لا يتجلّى فى القفزة الفعّالة من المعرفة الحسّية إلى المعرفة العقليّة فحسب ، بل ينبغى أن يتجلّى أيضا ـ و هذا أكثر أهمّية ـ فى القفزة من المعرفة العقليّة إلى الممارسة العمليّة الثوريّة . إنّ المعرفة التى تمكننا من إستيعاب قوانين العالم يجب أن تعاد إلى الممارسة العمليّة فى سبيل تبديل العالم ، يجب أن تعاد لتطبّق فى ممارسة الإنتاج و فى ممارسة الصراع الطبقي الثوري**

و النضال الوطنى الثوري و كذلك فى ممارسة التجارب العلميّة . هذه هي عمليّة إختبار النظريّة و تطويرها ،هي تكملة لعمليّة المعرفة ".(64)

هنا يقدّم ماو تعبيرا أعمق و أكثر تطوّرا لأطروحة ماركس حول أن الفلاسفة لم يفعلوا سوى تفسير العالم بطرق مختلفة فى حين أنّ المهمّ هو تغييره . و مجددا هذه ليست أطروحة عامة أن تكون الممارسة أهم من المعرفة و ليست كذلك طبعا تفريقا ميتافيزيقيا بين الممارسة و المعرفة و إن كانت الممارسة هي مفتاح العلاقة .

نظرية المعرفة :

الممارسة منبع النظريّة و النظريّة هي ملخّص الممارسة ، الحسّى هو المادّة الأولى للمفهوم و المفهوم نتاج ما لخّصه الحسيّ . لكن المفهوم و المعرفة العقليّة و النظريّة يجب أن يعودوا كذلك إلى الممارسة . فى هذه السيرورة لا يُتحقّق من المعرفة العقليّة فحسب بل إنّ مواد أوّلية جديدة تجمّع لتعميق المعرفة العقليّة ... وهكذا دواليك فى تصاعد لولبيّ لا متناهى . لذلك أكّد ماو أنّ النتائج المتوقّعة ، حين يتوصّل إليها فى الممارسة يمكن أن تعتبر السيرورة الخاصة للمعرفة أو مرحلة معيّنة فى السيرورة (الحسّ ، المفهوم ، الممارسة) قد تمّت ، هذا من جهة لكن من جهة أخرى " **حركة معرفة الناس لا تكتمل** ".(65)

كما شرح ذلك ماو ملخّصا قوانين السيرورة :

" إكتشاف الحقيقة عبر الممارسة و من جديد عبر الممارسة التحقّق من الحقيقة و تطويرها . الشروع من المعرفة الحسّية و تطويرها النشط لبلوغ المعرفة العقليّة ثم من المعرفة العقليّة و التوجيه النشط للممارسة و مرّة أخرى المعرفة. هذا الشكل يتكرّر فى حلقات لانهائية و مع كلّ حلقة يظهر محتوى ممارسة و معرفة من مستوى أرقى . هذه هي إجمالا النظريّة المادية الجدليّة للمعرفة و هذه هي النظريّة الماديّة الجدليّة لوحدة المعرفة و الممارسة . "

بيد أنّه لا ينبغى أن يفهم من حركة المعرفة غير المتناهية أنّه من المستحيل فى أي مرحلة معرفة الحقيقة من الخطإ . ركيزة جوهريّة من ركائز الماركسيّة هي أنّ هنالك حقيقة موضوعيّة و أنّه يمكن معرفتها . دون هذا الفهم من المستحيل أن يكون المرء ماديّا. غير أنّه ليست هنالك حقيقة موضوعية فقط و إنّما هنالك كذلك حقيقة مطلقة و بالفعل كما أشار لينين يعنى الإعتراف بالواحدة إعتراف بالأخرى **:**

" إنّ المادي هو من يعترف بالحقيقة الموضوعية التى تكشفها لنا أعضاء الحواس . إن الإعتراف بالحقيقة الموضوعية أي بالحقيقة المستقلّة عن الإنسان و عن الإنسانيّة يعنى الإعتراف بنحو أو آخر بالحقيقة المطلقة ". (67)

لكن فى نفس الوقت ، ستصبح غالبية الحقائق غير مطلقة ، نسبيّة . ترى الماركسيّة أنّه ثمّة كلّ من الحقيقة النسبيّة و الحقيقة المطلقة . و يعتقد الماركسيّون فى نسبيّة غالبيّة الحقائق و مع ذلك ليس الماركسيّون نسبيّون فالنسبيون يقولون إنّ كافة الحقائق نسبيّة و يقولون إن بإستطاعتك بالتالي أن تقتطف و تختار أي "حقائق" تعتقد بها . بكلمات أخرى ، ينفون وجود حقيقة موضوعية . كان هذا أهمّ تعليل واجهه لينين فى " **المادية و مذهب النقد التجريبي** " فقارن نسبيّة أولئك الماخيّين بماركسيّة إنجلز :

" إن الإعتراف بنسبيّة معرفنا ينفى ، بنظر بوغدانوف (كما بنظر جميع الماخيين) ، أقلّ تسليم بالحقيقة المطلقة . أمّا بنظر إنجلس ، فمن الحقائق النسبيّة تتكوّن الحقيقة المطلقة . بوغدانوف- نصير النسبية . إنجلس- ديالكتيكي ".(68)

و عليه ، الحقيقة المطلقة نتاج للحقائق النسبيّة لكن ما العلاقة التى تربط بينهما ؟ يجيب ماو تسى تونغ بما يلى :

" إن الماركسيّين يعترفون بأنّ تطوّر كلّ عمليّة محدّدة ضمن نطاق عمليّة التطوّر العام المطلق للكون هو تطوّر نسبيّ ، و لهذا فإنّ معرفة الناس بكلّ عمليّة محدّدة أثناء مرحلة معيّنة من التطوّر لا يمكن أن تكون سوى حقيقة نسبيّة فى مجرى الحقيقة المطلقة ".(69).

بكلمات أخرى ، الحقيقة المطلقة بأتمّ معنى الكلمة هي المجموع العام للحقيقة الكلّية إلاّ أنّ هذا الكليّ متكوّن من أجزاء لا تحصى . ثمّة حقائق نسبيّة هي جزئية فقط .

و ماذا عن الأفكار التى إعتبرت حقيقة فى وقت ما و تبيّن فى ما بعد أنّها غير حقيقيّة أو هي حقيقيّة جزئيا (مثل بعض قوانين الفيزياء) ؟ هذا أمر يحصل لأن الإنسان يراكم التجارب و يستوعبها و يكتشف سيرورات و قوانين جديدة فيطوّر فهمه للأشياء و يشحذه غير أنّ هذا بداهة لا يتعارض مع كون معرفة الإنسان تمضى من المستوى الأدنى إلى المستوى الأعلى و أنّه بإمكانه فى أيّة مرحلة ما أن يطبّق أيّة معرفة للحقيقة توجد حينها على سيرورة تغيير العالم ، سيرورة حيث يتحقّق من هذه الأفكار و يتحصّل على أساس القيام بقفزة إلى الأمام فى معرفته . و لا يمكنه اليوم أن يطبّق ما سيعرفه فى الغد فقط بل سيعرف أكثر فى الغد لو طبّق اليوم ما يعرفه بعدُ و ثم يستخلص النتائج . يقول ماو تسى تونغ :

" و نظرا لأنّ عمليّة النشوء و التطوّر و الفناء فى الممارسة العمليّة الإجتماعيّة هي عمليّة لامتناهية ، فإنّ عمليّة النشوء و التطوّر و الفناء فى المعرفة البشريّة هي أيضا كذلك . و بما أن الممارسة العمليّة التى يقوم بها الناس لتغيير الواقع الموضوعي وفقا لأفكار و نظريّات و خطط و مشاريع معيّنة هي فى تقدّم مستمرّ ، فإنّ معرفتهم بالواقع الموضوعي تتعمّق كذلك أكثر فأكثر . و نظرا لأنّ حركة التغيير فى عالم الواقع الموضوعي لا تنتهى أبدا ، فإن المعرفة التى يكتسبها الناس عن الحقيقة خلال ممارستهم العمليّة لا تنتهى أبدا ".(70)

يسعى بعض الناس إلى أن يستعملوا هذا للدفاع عن فكرة أنّه طالما أنّ المعرفة دائمة التعمّق ، ليس ضروريّا أن نمسك منطقيّا و نطبّق بإنتظام المبادئ الأساسيّة للماركسية - اللينينية - فكر ماو تسى تونغ [الماوية]. فى جوهره موقفهم مفاده : بما أنّنا يمكن أن نكتشف أن بعض الأشياء التى إعتبرت صحيحة من قبل الماركسية – اللينينية - الماوية ليست كذلك ، أو هي كذلك جزئيا فحسب ، ليست هنالك حاجة إلى تطبيق هذا العلم بطريقة منتظمة ، عوض ذلك سنأخذ ما هو مفيد لنا و نضع جانبا ما هو غير مفيد . هذه هي بالضبط الإنتقائية ، النسبيّة ، مذهب النقد التجريبي و البراغماتية و هي ميتافيزيقية و مثالية .

مثل هؤلاء الناس يقدّمون أنفسهم على أنّهم مدافعون كبار عن الماديّة و عن الممارسة كمحك للحقيقة . لكن من يريدون مغالطته ؟ المسألة هي أنّ مثل هذا الخطّ يتضارب مع النظريّة الماركسيّة للمعرفة مع تأكيدها الصحيح على الممارسة . لنقولها بوضوح إذا لم تطبّق الماركسية - اللينينية - الماوية بإنتظام فبالتالى كيف التحقّق من صحّتها و الحال أنّ الطريقة الوحيدة لذلك هي الممارسة ، التحقّق من صحّة الخطّ السياسي إلخ يتمّ عبر الممارسة . و أيضا لا طريقة للحصول على المعرفة فى سيرورة تغيير العالم ، فى إتّفاق مع أفكار معيّنة و نظريّات و مخطّطات و برامج غير الممارسة .

و الخطّ الإنتهازي الموصوف " ينسى " أن حركة المعرفة تسير فى حلقات كلّ منها تستدعى قفزات من الممارسة إلى النظريّة و العودة إلى الممارسة . الحقيقة المطلقة كما قال ماو " **تدفّق لا نهاية له** " بل معرفة الإنسان للحقيقة لا تتّبع خطّا مستقيما و إنّما تجرى فى خطّ لولبيّ . أن نقول فى لحظة " حسنا ، غدا سنعرف المزيد نسبة لليوم و عليه لا (دغمائية) لتطبيق ما نعرفه كحقيقة اليوم " هو إنكار و تحريف للسيرورة التى عبرها يتمّ التحصّل حاليا على مزيد من المعرفة . هذه ميتافيزيقا لأنّها تعارض العلاقة الجدليّة الحاليّة بين النظريّة و الممارسة وهي مثاليّة لأنّها فعلا لا تنكر الحقيقة الموضوعية و لا تتّفق مع " **فى الممارسة العمليّة** " و لا تدافع عنه و إنّما هي خرق له و هجوم علي هذا العمل العظيم لماو تسى تونغ .

إكتسى " **فى الممارسة العملية** " و بالتحديد تأكيده على كلّ من أوّلية الممارسة و التطوّر المتواصل للمعرفة الإنسانية ، و الممارسة من خلال جملة لامتناهية من المراحل أو الحلقات ، إكتسى أهمّية كبرى فى الصراع ضد التوجّهات الخاطئة فى التفكير و العمل داخل الحزب الشيوعي الصيني . ذلك أنّه كتب فى 1937حين تشكّلت الجبهة المتّحدة المعادية لليابان

و حين كان الصراع المضاد لليابان فى مراحله الأولى . فى تلك الفترة ، كان العديد يعرقلون الجبهة المتّحدة و حرب المقاومة ضد اليابان لا فقط من خارج الحزب بل أيضا من داخله معارضين سياسات الحزب عن وعي وعفويّا .

و الأكثر إنتشارا داخل الحزب كان الإنحراف الدغمائي الذى فشل فى أن يقوم بتحليل ملموس للظروف الملموسة للصين و المرحلة الموضوعيّة للنضال ، و عالج النظريّة لا فى علاقتها الجدليّة الصحيحة بالممارسة بل كشئ من الحقائق الأبديّة التى يجب أن تفرض على العالم الموضوعي أكثر منه أن تنبع منه و تعود إليه كمرشد للممارسة الثوريّة . من جهة أخرى ، كمشكلة ثانويّة حينذاك ، وُجد أولئك الذين أنكروا أهمّية النظريّة و بالتالي وجدوا أنفسهم إلى جانب الدغمائيّين يقطعون العلاقة بين النظرية و الممارسة و يتبنّون موقفا ميتافيزيقيّا من العلاقة بين الفكر و العمل .

كل هذه الإتّجاهات الخاطئة كانت غير قادرة على معرفة الوحدة الجدليّة بين المرحلة الراهنة (أو أطوار) للنضال و مستقبل تطوّرها . رفض الدغمائيّون عامة الإعتراف بضرورة المرور عبر الجبهة المتّحدة المعادية لليابان لأجل إتمام مرحلة الثورة الديمقراطية الجديدة و التقدّم نحو الإشتراكية فى حين أنّهم إقترحوا سياسات " يسارية " كانت ستحطّم الجبهة المتّحدة (رغم أنّ فى نقاط معيّنة طبّق العديد من الدغمائيّين فى الصين سياسات الإتّحاد السوفياتي تجاه تشان كاي تشاك و دافعوا عن التعويل على الكيومنتنغ و الإستسلام له فى مقاومة اليابان) . لقد أخفق الدغمائيّون عموما فى معرفة مظاهر المستقبل التى وُجدت داخل مرحلة مقاومة اليابان - تعبئة الجماهير كقوّة أساسيّة و تعديل الإصلاح الزراعي و التعاونيّات الأوّليّة للفلاّحين و إستقلاليّة الحزب الشيوعي و مبادرته فى الجبهة المتّحدة و ضرورة النضال من جانبه لكسب قيادة الجبهة المتّحدة و الإبقاء عليها إلخ .

و بينما كان التوجّه الدغمائي عموما يمثّل الخطر الأكبر ، كان بداهة من الضروريّ مقاومة الإنحرافين معا لغاية مواصلة الصراع فى الطور الراهن و كذلك للمضيّ قدما صوب المراحل المستقبليّة و إتمام الثورة الديمقراطية الجديدة و التقدّم نحو الإشتراكية .

و فضلا عن أهمّيته الآنية البالغة بالنسبة للثورة الصينية ، كانت ل" **فى الممارسة العملية** " أهمية عامة و بعيدة المدى كمساهمة فى الفلسفة الماركسية - اللينينية و كسلاح فى خوض النضال الثوري . و هذا صحيح كذلك فى علاقة بشرحه لكيفيّة أنّ تفسير الماركسية - اللينينية لم ينه الحقيقة بل إنّه بإستمرار يفتح السبل لمعرفة الحقيقة عبر الممارسة (71) بمعنى أنّه يتعارض مع الميتافيزيقا و التوجّه نحو " الإطلاقية " بالخصوص . و سنتوسّع فى هذا الباب لاحقا عند نقاش الصراع على الجبهة الفلسفية فى الصين الإشتراكية و علاقته بالصراع الطبقي ككلّ .

<u>" فى التناقض ":</u>

مؤلّف أطول من سابقه ، يعالج بالتحديد الجدلية . كتب بالضبط إثر " **فى الممارسة العمليّة** " و للغاية الآنيّة ذاتها أي النضال ضد الفكر الخاطئ داخل صفوف الحزب و نقصد الدغمائيّة . فى مطلع هذا المؤلف ، يقدّم ماو تسى تونغ ملخّصا لمبادئ الفلسفة الماركسية قائلا :

" **إن قانون التناقض فى الأشياء ، أي قانون وحد الضدّين هو القانون الأساسي الأوّل فى الديالكتيك المادي**"(72) و فى آخره عند تلخيص نقاطه الأساسية ، أوضح أن " **قانون التناقض فى الأشياء أي قانون وحدة الضدّين هو القانون الأساسي فى الطبيعة و المجتمع و هو بالتالي القانون الأساسي للتفكير**" .(73)

لماذا ذلك كذلك ؟ بما أنّ قانون التناقض هو قانون من قوانين الجدليّة فهل أنّ ماو بتحديده له كقانون جوهري للطبيعة و المجتمع و التفكير يضع الجدليّة فوق الماديّة ؟ هل أنّه فعلا ينزلق نحو المثاليّة ؟ طبعا هذا الإتّهام بأنّ ماو مثاليّ كان أمرا لاكه التحريفيّون فى كلّ من الصين و فى بلدان أخرى أيضا ، هؤلاء التحريفيين الذين هاجموه دوما على أنّه بالغ فى دور الوعي و حرّف الجدليّة . لنبحث بعمق هذه المسائل .

لماذا يعيّن ماو قانون التناقض كقانون جوهري للطبيعة و المجتمع و الفكر ؟ أليست هذه أيضا مسألة فلسفية هامة مثل المادة توجد بإستقلال عن الوعي و كقاعدة له ، التفكير الإنساني؟ أليست أوّلية المادة على الأفكار فى نفس مستوى أهمّية قانون التناقض و ألا يفتح تقديم قانون التناقض على هذا النحو الباب أمام المثاليّة ؟

أوّلية المادة على الأفكار كما وصفت أعلاه هي بالفعل مسألة جوهريّة و خطّ فصل جوهري فى الفلسفة بيد أنّ هذا لا يمكن أن يقال إنّه القانون الأساسي للعالم فى نفس مستوى وحد الأضداد . فى غياب الوعي ، لا يقول لنا شيئا عن المادة ، باطنها و ظاهرها . و تعلّمنا المادية أن المادة لا توجد فقط بإستقلال عن الوعي بل توجد حتى أين لا يوجد وعي بمعنى حين لا توجد مادّة تطوّرت إلى مرحلة صارت خلالها قادرة على الوعي . تكشف لنا أوّلية المادة على الأفكار عن العلاقة الصحيحة بين المادة و الوعي وهي من هنالك المسألة الأساسيّة فى الفلسفة . لنتذكر مقولة إنجلز أنّ المسألة الأساسية فى الفلسفة هي العلاقة بين الفكر و الوجود ، لكن مرّة أخرى أوّلية المادة على الفكر لا تكشف أيّ شئ عن المادة غير المفكّرة و فى علاقة بالمادة الواعية ، تصف علاقتها بالمادة خارجها و لكنّها لا تقول لنا شيئا أكثر من ذلك.

هذا من جهة و من جهة أخرى ، ينطبق قانون التناقض عالميّا على المادة غير المفكّرة و المادة الواعية و على العلاقة بينهما و بالتالي من السليم القول إنّه القانون الجوهري للطبيعة ولعلاقة الناس بالطبيعة و فيما بينهم فى السيرورة - المجتمع- و من هنالك الفكر.

و مثلما لخّص ماو :

" إن هذه النظرة الديالكتيكيّة إلى العالم تعلّم الإنسان بصورة رئيسيّة كيف يلاحظ و يحلّل بصورة صحيحة حركة التناقض فى مختلف الأشياء و كيف يستنبط على أساس هذا التحليل حلولا للتناقضات . و لذلك فإنّ فهم قانون التناقض فى الأشياء فهما محدّدا هو أمر بالغ الأهمّية بالنسبة إلينا. " (74)

و يتابع ماو ليشرح ما يعنى بشمولية التناقض و أهمّيتها :

"إن عموميّة التناقض أو صفته المطلقة ذات معنى مزدوج . فأوّلا توجد التناقضات فى عملية تطوّر جميع الأشياء ، و ثانيا ، توجد حركة التناقض فى عمليّة تطوّر كل شئ منذ البداية حتى النهاية ."(75)

ويضيف :

" إن الإعتماد المتبادل بين طرفي كلّ تناقض فى كلّ شئ معيّن و الصراع بينهما يقرّران حياة ذلك الشئ و يدفعان تطوّره إلى الأمام . فليس ثمّة شئ ليس به تناقض ، و لولا التناقض لما وجد شئ ".(76) .

هنا ليس ماو بصدد تلخيص النقطة الأساسيّة فى المادية الجدليّة فحسب بل بصدد معارضة عديد الأفكار الخاطئة التى كان منبعها الإتّحاد السوفياتي و التى وجدت طريقها إلى الحزب الشيوعي الصيني . أوّل تلك الأخطاء كانت نظريّة إنتهازية لمدرسة ديبورين فى الإتّحاد السوفياتي و التى أنكرت شموليّة التناقض لا سيما مسألة أنّ التناقض يوجد من بداية إلى نهاية سيرورة التطوّر فى أي شئ . فبالنسبة لهذه النظريّة ، يظهر التناقض فقط حين تصل السيرورة مرحلة معيّنة . و هذا طبعا ميتافيزيقا و أيضا مثاليّة لأنّه يجرّ بالضرورة إلى إستنتاج أنّ فى بداية السيرورة القوّة المحرّكة قوّة خارجيّة و ليست باطنيّة ممّا يفتح الباب أمام فكرة أنّ بعض القوى الخارجيّة هي التى تعطى " الدفع الأوّلى" للعالم و مؤداه فكرة الإلاه .

و نضيف أنّ ذلك يجر فى الميدان السياسي إلى التعاون الطبقي و الإتّفاق لأنّه إذا لم يوجد تناقض دائما فبالتالي لا يجب أن يكون الصراع وسيلة حلّ الإختلافات . مثال يستشهد به ماو هو :

" حين طبّق أتباع مدرسة ديبورين هذه النظريّة فى تحليل القضايا الواقعيّة ، رأوا أنّه ليس بين الكولاك و بين جمهور الفلاّحين فى ظروف الإتّحاد السوفياتي أيّة تناقضات ، بل بينهم تفاوت فقط ، فوافقوا بذلك موافقة تامة على رأي بوخارين ." (77)

لقد قاد ستالين فضح و إلحاق الهزيمة بالنظريّة الفلسفية لمدرسة ديبورين المعادية للثورة كجزء هام من خوضه الصراع الطبقي فى الإتحاد السوفياتي بصفة خاصة و ذلك فى أواخر عشرينات القرن العشرين . غير أنّ ستالين ذاته كما مرّ بنا ، أخفق فى التطبيق المنطقي للمادية الجدليّة . و أجلى تعبير لذلك على وجه الخصوص فى " **المادية الجدلية و المادية التاريخية** " نعثر عليه فى الإخفاق فى التركيز على قانون التناقض كقانون جوهري للمادية الجدليّة و فى الربط بين صراع الأضداد و تماثلها .

خلاصة القول ، حين شدّد ماو فى " **فى التناقض** " على أنّ كلّ ترابط و صراع مظهري تناقض يحدّد حياة الأشياء و يدفع حركتها إلى الأمام ، فإنّه قدّم فهما مختلفا و أصحّ من فهم ستالين (علما أنّ " **المادية الجدلية و المادية التاريخية** " ذاته كتب تقريبا فى نفس فترة كتابة " **فى التناقض** " لكن النظرات ذاتها بما فى ذلك الخاطئة منها ، التى تميّزه حُدّدت و حوصرت داخل الحزب الشيوعي الصيني قبل أن يكتب ماو " **فى التناقض** ").

تماثل الأضداد و صراعها :

أفرد ماو فصلا طويلا من " **فى التناقض**" لمسألة تماثل مظهري التناقض و صراعهما حيث شرح أنّه ثمّة مفهومان لتماثل الأضداد المفهوم الأوّل هو ترابطهما و تعايشهما فى وحدة واحدة وأكّد أنّ الأمر لا يقف عند ذلك الحدّ :
" إنّما الأهمّ من ذلك هو تحوّل أحدهما إلى نقيضه . و هذا يعنى أن كلاّ من الطرفين المتناقضين فى شئ ينزع ، بسبب عوامل معيّنة ، إلى التحوّل إلى الطرف المناقض له ، و أن ينتقل إلى مركز نقيضه ."(78)

يمكن أن نلمس أهمّية هذا بأخذ مثال البروليتاريا و البرجوازية . إن لم يُعترف بأنّ هذين المظهرين ليسا مرتبطين فقط و إنّما يمكن أن يتحوّلا هما ذاتهما الواحد إلى نقيضه بالتالي لن يمكن رؤية كيف يمكن للبروليتاريا أن تحدث التغييرمن المظهر الثانوي إلى المظهر الرئيسي للتناقض ، من كونها مسَيطَر عليها إلى طبقة مسيطِرة فى حين يحصل التغيير العكسي للبرجوازية . فى الظروف الملموسة للصين حينئذ ، أثناء حرب المقاومة ضد اليابان ، مثّل هذا الخطأ ، النظرة الميتافيزيقية التى كانت ستقود الشيوعيّين إلى إمّا رفض الدخول فى الجبهة المتّحدة مع الكيومنتنغ أو بالعكس إلى الفشل فى النضال من أجل الدور القيادي للبروليتاريا فى الجبهة المتّحدة . فى شكليه - " اليساري " أو اليميني - كان هذا سيدفع لرؤية الجبهة المتّحدة مع الكيومنتنغ على أنّها الإلحاق الكلّي و اللامحدود للحزب الشيوعي بالكيومنتنغ بما أنّ الكيومنتنغ سيوجد فى موقع أقوى مهيمن وهو الحزب الحاكم فى البلاد .

و فى هذا الفصل بالذات من " **فى التناقض**" ألحّ ماو أيضا بشأن العلاقة بين وحدة الأضداد و صراعها ، على أنّ الوحدة نسبيّة بينما الصراع مطلق . و أشار إلى أنّ " **صراع الضدّين يسرى فى العمليّة من البداية حتى النهاية و يسبّب تحوّل عمليّة إلى عمليّة أخرى و أن صراع الضدّين موجود فى كل شئ ، لذلك نقول إنّ صراع الضدّين غير مشروط و مطلق . إنّ الوحدة المشروطة النسبيّة تشكّل مع الصراع المطلق غير المشروط حركة التناقض فى جميع الأشياء** " (79) الشيئان اللّذان يكوّنان تناقضا و لهما تماثل هما كذلك فى ظروف معيّنة لكن من بداية إلى نهاية ذلك التناقض الخاص سيوجد صراع و الصراع يمكن أن ينتهي إلى حلّ ذلك التناقض و ظهور تناقض جديد .

لئن لم يُفهم هذا ، لن يُفهم أنّ الصراع أساس معالجة تناقض خاص و المرور من مرحلة إلى أخرى . و يمكن أن نستوعب أهمّية هذا بشكل منتظم بتطبيق ذلك على التناقض بين البروليتاريا و البرجوازية أو فى حال الصين خلال مرحلة الديمقراطية الجديدة ، على التناقض بين أوسع الجماهير من جهة و الإمبريالية و الإقطاعيّة من جهة ثانية (و فى أساس حرب المقاومة ضد اليابان يكمن التناقض بين الأمّة الصينيّة و الإمبرياليّة اليابانية).

فى خضم نضاله ضد التوجّهات الخاطئة لا سيما الدغمائيّة داخل الحزب الشيوعي الصيني ، أعار ماو إنتباها أكبر فى

" **فى التناقض** " لخصوصيّة التناقض منه لشموليّته . و أشار ماو إلى كون الدغمائيين لا يعترفون أو على الأقلّ لا يعطون وزنا لمشكلة خصوصيّة التناقض . و فى خضم الصراع ضد الدغمائيين أكّد ماو أنّه فى حين لا يوجد أي شئ فى العالم عدا المادّة فى حركة " **إن معرفة البشر للمادّة هي معرفتهم بأشكال حركة المادّة ، لأنّه ليس فى العالم شئ سوى المادة فى حالة حركة ، و حركة المادة لا بدّ أن تتّخذ شكلا من الأشكال المعيّنة . و ينبغى أن نأخذ بعين الإعتبار ، عندما نتفحّص كلّ شكل من الأشكال المعيّنة . و ينبغى أن نأخذ بعين الإعتبار ، عندما نتفحّص كلّ شكل من أشكال حركة المادّة ، السمات التى يشترك فيها هذا الشكل مع الأشكال الأخرى للحركة . لكن ما له أهمّية أعظم هو وجوب ملاحظة السّمة الخاصة للشكل المعيّن من أشكال حركة المادة ، و ملاحظة هذه السّمة الخاصة هي التى تشكّل أساس معرفتنا بالأشياء . أي ملاحظة الإختلاف الجوهري الذى بينه و بين الأشكال الأخرى . و بهذا وحده نستطيع أن نميّز بين الأشياء المختلفة . إن كلّ شكل من أشكال الحركة يحتوى فى ذاته على تناقضه الخاص . و هذا التناقض الخاص يشكّل الجوهر الخاص الذى يميز الشئ عن الأشياء الأخرى . و هذا هو السبب الباطني أو الأساس كما يسمّى أيضا ، فى الإختلاف العظيم الذى لا يمكن حصره بين الأشياء المتنوّعة فى العالم .** "(80) و هذا ينطبق لا على الطبيعة وحدها بل ينطبق كذلك على المجتمع و الفكر فكلّ شكل من أشكال حركة المادة " **له تناقضه الخاص و جوهره الخاص**". (81)

كان الدغمائيون لفشلهم فى الإعتماد على هذا الفهم ، غير قادرين على معرفة المظاهر الملموسة للثورة الصينيّة حينذاك و على تحديد القوى المحرّكة لها و هدف الثورة و مهامها فى تلك المرحلة و بالتالى على توحيد كافة القوى الممكنة ضد العدو الأساسي مع المحافظة على إستقلاليّة البروليتاريا و حزبها و مبادرتها و أراد العديد منهم أن يتّذبعوا عن عمى أنموذج الثورة الروسية . و لم يكن ذلك ينطبق على الظروف الملموسة للصين البلد شبه المستعمر و شبه الإقطاعي الذى كانت اليابان وقتئذ تسعى لجعله مستعمرة تماما.

جانب من جواب ماو على هذا فى " **فى التناقض** " يوجد أيضا فى الفصل المخصّص لمركز التعادى و دوره فى التناقض حيث أشار إلى أنّ " **التعادى شكل من أشكال صراع الضدّين ، لكنّه ليس الشكل الوحيد .**" (82)

و أكّد أنّه يجب أن نقوم بتحليل ملموس لظروف كلّ صراع خاص للتناقضات و لا يجب أن نطبّق بطريقة إرتجالية الصيغة المناقشة أعلاه [الحاجة إلى دحر الطبقات الرجعيّة بالعنفّ] على كل شئ ." **التناقض و الصراع شيئان عامان و مطلقان ، إلاّ أنّ طرق حلّ التناقضات تتميّز بصفة عدائيّة مكشوفة ، و بعضها على خلاف ذلك . و تبعا للتطوّر المحدّد للأشياء ، تتطوّر بعض التناقضات التى كانت فى الأصل ذات صفة غير عدائيّة فتصبح تناقضات ذات صفة عدائية ، و هنالك تناقضات أخرى هي فى الأصل ذات صفة عدائيّة ، و لكنّها تتطوّر فتصير تناقضات صفتها غير عدائية.** "(83)

كان لهذا أهمّية خاصة آنذاك لأنّه غدا من الضروري التحوّل من سياسة الحرب ضد الكيومنتنغ إلى الجبهة المتّحدة معه بسبب أولويّة النضال ضد المعتدين اليابانيّين . و لم يكن هذا يعنى أنّ الطابع الجوهري الرجعي للكيومنتنغ و القوى الطبقيّة التى كان يمثّلها تغيّر ، بل كان يعنى أنّ الظروف الملموسة للصراع آنذاك ، التناقض مع الكيومنتنغ صار ألطف مؤقتا و أنّه تحوّل مؤقتا من تناقض عدائي إلى تناقض غير عدائي . ينبغى أن يستمرّ النضال ضد الكيومنتنغ لا سيما بصدد مسألة قيادة الجبهة المتّحدة غير أنّ سياسة الحزب ينبغى أن تنتهى إلى الصراع غير العدائي ، فى شكل صراع سياسي و إيديولوجي فى إطار المحافظة على الجبهة المتّحدة .

(طبعا حين هاجم الكيومنتنغ عسكريّا الحزب الشيوعي و القوّات المسلّحة الثوريّة ، كان عليهما أن يردّا لكن الغاية حتّى هنا كانت المحافظة على الجبهة المتّحدة مع ممارسة الإستقلاليّة و المبادرة و الصراع من أجل قيادة الجبهة). و بصورة أعمّ ، فى ظروف الثورة الديمقراطية الجديدة الصينيّة ، لم يكن التناقض بين البروليتاريا و البرجوازية (أو أجزاء منها) عدائيا (على الأقل أحيانا) ولا يجب أن يفهم خطأ على أنّه تناقض عدائي حين إقتضت الظروف التعامل معه على أنّه غير عدائي.

فى نقده الشامل و معارضته كذلك للخطوط الخاطئة داخل الحزب وقتها ، بخاصة الإنحرافات الدغمائية ، لم يرفع ماو مبدأ خصوصيّة التناقض فحسب بل طبّقه تطبيقا ملموسا . و شرح القاعدة الفلسفيّة لصحّة إستراتيجيا الثورة الديمقراطية الجديدة كضرورة ثوريّة للإعداد للإشتراكية فى الصين :

" إن التناقضات المختلفة من حيث طبيعتها لا يمكن أن تحلّ إلاّ بطرق مختلفة طبيعيّا . مثال ذلك أنّ التناقض بين البروليتاريا و البرجوازية يحلّ بطريقة الثورة الإشتراكية ، و التناقض بين جماهير الشعب الغفيرة و النظام الإقطاعي يحلّ بطريقة الثورة الديمقراطية ، و التناقض بين المستعمرات و الإمبريالية يحلّ بطريقة الحرب الوطنية الثوريّة ، و التناقض بين الطبقة العاملة و طبقة الفلاّحين فى المجتمع الإشتراكي يحلّ بطريقة جعل الزراعة جماعيّة و مكننتها ، و التناقض داخل الحزب الشيوعي يحلّ بطريقة النقد و النقد الذاتي ، و التناقض بين المجتمع و الطبيعة يحلّ بطريقة تطوير القوى المنتجة . إن العمليّات تتبدّل ، فتتلاشى العمليّات القديمة و التناقضات القديمة ، و تنبثق عمليّات جديدة و تناقضات جديدة ، و طبقا لذلك تختلف طرق حلّ التناقضات . فثمّة فرق أساسيّ بين التناقض الذى حلّته ثورة فبراير (شباط) و بين الذى حلّته ثورة أكتوبر (تشرين الأوّل) فى روسيا ، و كذلك بين الطرق التى إستعملت لحلّ تلك التناقضات . فإستخدام الطرق المختلفة لحلّ التناقضات المختلفة هو مبدأ يجب على الماركسيين اللينينيين أن يراعوه مراعاة دقيقة . أمّا أصحاب الجمود العقائدي فلا يراعون هذا المبدأ إذ أنّهم لا يفهمون أنّه ينبغى اللجوء إلى طرق مختلفة فى سبيل حلّ التناقضات المختلفة ، بل يعتنقون بإنتظام صيغة واحدة يتخيّلون أنّها غير قابلة للتبدّل ، و يطبّقونها بصورة آليّة على كل شئ ، الأمر الذى لا يؤدى سوى إلى جلب النكسات على الثورة أو إلى إفساد قضيّة كانت تسير على ما يرام حتى ذلك الحين . "(84)

<u>الشموليّة و الخصوصيّة :</u>

و تناول ماو بالبحث كذلك مسألة العلاقة بين خصوصيّة التناقض و شموليّته و هي مسألة غاية فى الأهمّية فى النضال ضد الدغمائيّة بوجه خاص . فلاحظ أنّه :

" إذا لم نعرف عموميّة التناقض ، لا نستطيع أن نكتشف الأسباب العامة أو الأسس العامة لحركة الأشياء و تطوّرها و لكنّنا إذا لم ندرس خاصيّة التناقض فلن نستطيع أن نحدّد الجوهر الخاص الذى يميّز شيئا عن الأشياء الأخرى ، و لن نستطيع أن نكتشف الأسباب الخاصة أو الأسس الخاصة لحركة الأشياء أو تطوّرها و من ثمّ لن نستطيع أن نميّز بين الأشياء أو نحدّد حقول البحث العلمي ." (85)

لم يستوعب الدغمائيّون الذين فشلوا فى الدراسة الجديّة لخصوصيّة التناقض العلاقة الصحيحة الجدليّة بين شموليّة التناقض و خصوصيّته. و لم يستوعبوا أنّ حركة معرفة الإنسان تمرّ من الخاص إلى الشموليّ (أو العام)، إلى معرفة محتوى الأشياء العامة ثم تعود إلى الخاص (على مستوى أرقى) و هكذا دواليك فى تصاعد لولبيّ لا متناهي . لم يفهموا أنّ معرفة الإنسان للأشياء عموما يجب أن تتشكّل من معرفته لعديد الأشياء الخاصة و أنّ بهذه الطريقة ، العام (أو الشموليّ) موجود فى الخاص و يمكن إرجاعه إلى خصوصيّة أو بعض الخصوصيّات لكن كلّ شموليّ موجود فى عدد غير متناه من الخصوصيّات ، كل بمحتواه الخاص و من هناك ، بهذا المعنى موجود فى كلّ خاص و بالتالي عالجوا النظرية ك " حقيقة عامة " ، لا هي تستخلص من الأشياء الخاصة و لا هي فى حاجة لأن تطبّق عليها - بإختصار تعاطوا مع النظريّة تعاطيا دغمائيا.
اكثر من ذلك ، فشل الدغمائيّون فى فهم أنّه بما أنّ شموليّة التناقض و خصوصيّته ذاتها تمثّل تناقضا فالواحدة منهما تتحوّل إلى الأخرى و يمكنها أن تتحوّل . لم يستوعبوا أنّ سلسلة تطوّر الأشياء و معرفتها لا حدود لها و أن ما هو شمولي فى ظرف معين يصبح خاصا فى ظرف آخر و العكس بالعكس ، ما هو خاص فى ظرف معيّن يصبح شموليّ فى ظرف آخر.(86)

للتدليل على ذلك إستعمل ماو مثال التناقض بين الإنتاج الممشرك و الملكيّة الخاصة . ففى ظلّ الرأسماليّة يمثّل هذا شموليّة التناقض وهو جوهريّ و يشقّ المجتمع الرأسماليّ ككلّ . لكن فى ما يتّصل بالمجتمع ، عموما ذلك شكل خاص من التناقض بين قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج . كان هذا بالطبع هام فى تعرية التفكير الخاطئ القائل إنّ الثورة الصينيّة يجب أن تكون نفس الثورة فى البلدان الرأسماليّة . فى الصين ، فى تلك المرحلة كان التناقض الجوهريّ و الشكل الخاص للتناقض بين قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج و طبيعته مغايرين لطبيعة التناقض الجوهري فى البلدان الرأسماليّة .

و من ناحية أخرى ، طبعا ، كونه خاص ، كان هذا التناقض و طبيعة السيرورة التى يحدّدها ـ الثورة الديمقراطية الجديدة ـ كان فقط مؤقتا . إذ سيغدو من الضروري فى لحظة معيّنة ، بمعالجة هذا التناقض ، المرور إلى المرحلة الموالية ألا وهي مرحلة الثورة الإشتراكية المتميّزة بالتناقض الجوهري بين البروليتاريا و البرجوازية . و وضّح ماو قاعدة هذه المسألة و شدّد عليها فى تحليل العلاقة بين شموليّة التناقض و خصوصيّته . و إليكم ملخّص لموقف ماو و دلالته كبيرة :

" إن العلاقة بين عموميّة التناقض و خاصيّته هي العلاقة بين الصفة المشتركة و الصفة الفرديّة للتناقض . و إنّنا نعنى بالصفة المشتركة أنّ التناقض يوجد فى جميع العمليّات و يسرى فيها من البداية حتى النهاية ، فالحركة ، و الأشياء ، و العمليّات ، و التفكير ـ كلّها تناقضات . و إنّ إنكار التناقض فى الأشياء هو نكران كل شئ . هذا مبدأ عموميّ ينطبق على جميع الأزمان و جميع الأماكن بدون إستثناء . و من هنا جاءت الصفة المشتركة أي الصفة المطلقة للتناقض . لكن هذه الصفة المشتركة كائنة فى كل صفة فرديّة ، و بدون صفة فرديّة لا توجد صفة مشتركة . فإذا أبعدنا جميع الصفات الفرديّة فهل تبقى هناك أيّ صفة مشتركة ؟ و الصفات الفرديّة للتناقضات ناتجة عن كون كلّ تناقض ذا صفة خاصة تختلف عن صفات غيره من التناقضات . و إن جميع الصفات الفرديّة موجودة بصورة مشروطة و مؤقّتة ، فهي لذلك نسبيّة ." (87)

فى هذا الفصل بالذات من " **فى التناقض** " ، بيّن ماو تسى تونغ أيضا الأساس الفلسفي لوجود مراحل فى المرحلة الشاملة للثورة الصينيّة ، مرحلة الديمقراطية الجديدة و بوجه خاص أساس السياسات اللازمة و التعديلات المميّزة للجبهة المتّحدة ضد اليابان . لقد حلّلنا مطوّلا نوعا ما هذه النقطة فى عمل سابق و بالتالي لن نفعل هنا سوى تلخيصها . يسرى التناقض الجوهري فى سيرورة تطوّر أي شئ عبر تلك السيرورة و يحدّد محتوى السيرورة من البداية إلى النهاية . و فقط بحلّ التناقض الجوهريّ المميّز لمحتوى السيرورة الخاصة ستتحوّل تلك السيرورة إلى سيرورة أخرى و سيبرز تناقض جوهريّ غير أنّه داخل السيرورة المتميّزة بتناقض جوهريّ ثمّة مراحل لأنّ ثمّة عديد التناقضات التى يحدّدها و يؤثر عليها التناقض الجوهريّ وفى مجرى السيرورة ، تصبح بعض التناقضات محتدّة و تحلّ أخرى أو تخفّف مؤقتا أو جزئيا و تبرز تناقضات جديدة . (88)

و تؤثر التناقضات الأخرى على التناقض الجوهري و فى حين أنّها فى الأساس محّددة بتطوّره فهي مقابل ذلك تلعب دورا فى التأثير على تطوّره و من هنا يكون تطوّر التناقض الجوهري تطوّرا لولبيّا ، عبر مراحل .

مطبّقا على الثورة الصينيّة فى تلك الفترة ، عني هذا أنّ طبيعة الثورة الصينيّة ستظلّ جوهريّا هي هي إلى أن يطاح بالإمبريالية و الإقطاعيّة و الرأسماليّة البيروقراطيّة / الكمبرادوريّة فى الصين . و هو ما سيرسم خطّ نهاية الثورة الديمقراطية الجديدة و بداية الثورة الإشتراكية . لكن داخل المرحلة العامة للثورة الديمقراطية الجديدة ستوجد مراحل . خلال الحرب المعادية لليابان بخاصة ، التناقض بين جماهير الشعب الصيني و الرجعيّين المحلّيين تراجع مؤقتا فى حين أن التناقض بين الأمّة الصينيّة و اليابان بات فى المقدّمة و كان هذا جزءا من سيرورة الثورة الديمقراطية الجديدة و تناقضها الجوهري ليس منعزلا عنها و لكنّه رسم مرحلة خاصة داخلها .

التناقض الرئيسي :

النقطة الأساسيّة التالية التى تناولها ماو فى " **فى التناقض**" كما شرح هو ذاته هي التناقض الرئيسي :

" توجد فى كلّ عمليّة تطوّر معقّدة لشئ ما تناقضات عديدة ، و لا بدّ أن يكون أحدها هو التناقض الرئيسي الذى يقرّر وجوده و تطوّره وجود و تطوّر التناقضات الأخرى أو يؤثر فى وجودها و تطوّرها ... ثمّة تناقض رئيسي واحد فقط يلعب الدور القيادي فى كلّ مرحلة من مراحل عمليّة التطوّر... و لذلك ينبغى لنا فى دراسة أيّ عمليّة معقّدة يوجد فيها تناقضان أو أكثر أن نبذل قصارى جهودنا كي نكتشف التناقض الرئيسي فيها . فإذا أمسكنا بزمام هذا التناقض الرئيسي ، إستطعنا حل سائر التناقضات بسرعة ." (89)

ما هي العلاقة بين التناقض الرئيسي و التناقض الجوهري الذى يحدّد محتوى السيرورة ككلّ ؟ التناقض الرئيسي فى أيّ وقت هو التناقض الأهمّ فى المرحلة الخاصة من تطوّر السيرورة المحدّدة من قبل التناقض الجوهري لا يمكن أن يمثّل تحوّل سيرورة شاملة أو جوهرية إلى أخرى لأنّ فقط معالجة التناقض الجوهري يمكن أن يؤدّي إلى ذلك . و التناقض الرئيسي يمكن أن يكون بالضبط هو التناقض الجوهري و لكن ليس بالضرورة كذلك إذ يمكن أن يمثّل التناقض الجوهري فى مرحلة معيّنة من تطوّره دون أن يمثّل التناقض الجوهري فى كلّيته كمحدّد لمحتوى السيرورة ككلّ . لكن فقط حين يمثّل التناقض الرئيسي التناقض الجوهري ككلّ يمكن أن تؤدى معالجة التناقض الرئيسي إلى تحويل السيرورة القديمة إلى سيرورة جديدة محلّ التناقض الجوهري القديم و ظهور تناقض من نوع جديد .

من البديهي أنّ هذه مسألة معقّدة . و كما طُبقت فى ثورة الديمقراطية الجديدة فى الصين كانت ذات تعقيد خاص . فالتناقض الرئيسي خلال الحرب المعادية لليابان كان بين الأمّة الصينيّة ككلّ و الإمبريالية اليابانية (إلى جانب عناصر المجتمع الصيني التى تموقعت فى صفّ اليابان) . و مثّل ذلك مرحلة خاصة من الثورة الديمقراطية الجديدة التى حدّد سيرورتها التناقض الجوهري بين أوسع الجماهير من جهة و الإمبريالية و الإقطاعيّة و الرأسماليّة البيروقراطيّة / الكمبرادوريّة من جهة أخرى .

طوال مرحلة حرب المقاومة ضد اليابان كانت بعض التناقضات قد تمّت معالجتها أو تراجعت مؤقتا أو جزئيا بما فى ذلك التناقض بين أوسع الجماهير و النظام الإقطاعي لكن هذا لم يعن أنّ سيرورة الثورة الديمقراطية الجديدة و تناقضها الجوهري قد عولجت و تحوّلت إلى سيرورة جديدة . بهزيمة الإمبرياليّين اليابانيّين تطوّر التناقض الرئيسي إلى مرحلة جديدة و إحتدّ . مثل التناقض الرئيسي مرّة أخرى كلّيا التناقض الجوهريّ . فقط الآن على أساس أعلى وعلى أساس معالجة التناقض بين أوسع الجماهير و الإمبرياليّة و الإقطاعيّة و الرأسماليّة البيروقراطيّة / الكمبرادوريّة عنى تحويل السيرورة القديمة (الثورة الديمقراطية الجديدة) إلى سيرورة جديدة ، الثورة الإشتراكية .

من كلّ هذا نرى لماذا كان على ماو تسى تونغ أن يكتب " **فى التناقض**" و لماذا أمكن له الشروع فى فهم أفضل لجذور المسألة و أهمّيتها . و بعد تحليل مسألة التناقض الرئيسي ، واصل ماو تحليل مسألة المظهر الرئيسي للتناقض . ما هو لبّ هذه المسألة ؟ كتب ماو :

" تطوّر كلّ طرف من الطرفين المتناقضين ، فى أيّ تناقض كان ، متفاوت عن تطوّر الطرف الآخر . و يتراءى أحيانا أنّ ثمّة توازنا فى القوى بين طرفي التناقض ، لكن تلك ليست سوى حالة مؤقّتة و نسبيّة ، فالتفاوت هي الحالة الأساسيّة . فلا بدّ أن يكون أحد الطرفين المتناقضين رئيسيّا و الآخر ثانويّا . فالطرف الرئيسي هو الذى يلعب الدور القياديّ فى التناقض . و إن طبيعة الشئ يقرّرها فى الدرجة الأولى الطرف الرئيسي للتناقض ، الذى يحتلّ مركز السيطرة ." (90)

و أضاف ماو بعد ذلك بالضبط :

" لكن هذا الوضع ليس ثابتا ، إذ أن الطرف الرئيسي و غير الرئيسي لتناقض ما يتحوّل أحدهما إلى الآخر ، فتتبدّل طبيعة الشئ تبعا لذلك . "(91)

هذا هو أهمّ جزء من تماثل الأضداد الذى يعزى للصراع بينها .

لقد أولى ماو أهمّية عظيمة لهذه النقطة مشيرا إلى التناقض بين البروليتاريا و البرجوازية و كذلك إلى التناقض بين الصين و الجماهير الصينيّة من جانب و الإمبريالية و الإقطاعية و الكمبرادور من الجانب اللآخر . و يتّجه موقع مظهرا التناقض فى كلا هذين التناقضين إلى التغيّر حيث أكّد أنّ البروليتاريا تتّجه إلى تحويل ذاتها إلى موقع مهيمن على البرجوازية و تتّجه الصين القديمة التى تهيمن عليها الإمبريالية و الإقطاعية إلى التحوّل إلى صين جديدة تحكمها جماهير الشعب بقيادة البروليتاريا و حزبها الشيوعي .

أكّد ماو هذا ليناضل ضد الإحباط فى ما يتّصل بالثورة الصينيّة و الإستسلام الطبقي فى ما يتعلّق بالعلاقة بين البروليتاريا و البرجوازية فى صفوف الجبهة المتّحدة . و تتّجه البروليتاريا نحو كسب الهيمنة و الموقع القيادي فى هذه الجبهة المتّحدة عبر الصراع و بإرتباط جدلي بذلك تتّجه الثورة الصينية نحو التقدّم عبر حرب المقاومة ضد اليابان و أبعد من ذلك نحو إلحاق الهزيمة النهائيّة و الإطاحة بالإمبريالية و الإقطاعية و الرأسمالية البيروقراطية / الكمبرادورية . لكن لن يحصل هذا إلاّ من خلال النضال .

فى المقتطف التالي ، عبّر عن المبدأ بقوّة :

" و كثيرا ما نتحدّث عن " حلول الجديد محلّ القديم " . إنّ حلول الجديد محلّ القديم هو قانون عام للكون لا يمكن مقاومته أبدا . إن تحول شئ إلى شئ آخر تبعا لطبيعته و للظروف المحيطة به و بواسطة أشكال مختلفة من القفزات ، تلك هي عمليّة حلول الجديد محلّ القديم . إن كل شئ يحوى تناقضا بين طرفه الجديد و طرفه القديم ، تناقضا يشكّل سلسلة من الصراعات الملتوية . و نتيجة لهذه الصراعات يتعاظم الطرف الجديد و يرتفع فيحتلّ مركز السيطرة ، بينما الطرف القديم يتضاءل بصورة تدريجيّة حتّى يضمحل . و حالما يسيطر الطرف الجديد على الطرف القديم ، فإنّ الشئ القديم يتحوّل إلى شئ جديد من حيث الطبيعة . و من هذا نرى أن طبيعة الشئ يقرّرها بالدرجة الأولى الطرف الرئيسي للتناقض ، الذى يحتلّ مركز السيطرة . و عندما يطرأ تبدّل على الطرف الرئيسي للتناقض ، الذى يحتلّ مركز السيطرة فإنّ طبيعة الشئ تتبدّل تبعا لذلك. "(92)

هكذا كانت العلاقة بين جماهير الشعب و القوى الرجعيّة و بين البروليتاريا و البرجوازية و بين المجتمع الجديد و القديم .

<u>المرحلة الإشتراكية</u> :

كان " **فى التناقض**" و " **فى الممارسة العملية** " سلاحا حادا فى الثورة الصينيّة حينذاك و نهضا بدور كبير فى دفع سيرورة الثورة الصينية عبر الديمقراطية الجديدة إلى الإشتراكية . و فوق ذلك مثّلا كنزا من النظريّة الماركسيّة فى جانبها الفلسفي على وجه الخصوص قيمته كبرى فى النضال و مواصلة الصراع لا فقط فى الصين بل فى العالم أيضا. لكن أعظم تطوير و تطبيق للماركسية - اللينينية جاء بعد إفتكاك السلطة السياسية على مستوى البلاد كلّها ، فى فترة الثورة الإشتراكية و جزء حيوي من هذا كان تطويره للفلسفة الماركسيّة - اللينينيّة ، المادية الجدليّة و تطبيقه لها .

كنّا تعرضنا فى مقال سابق إلى العلاقة بين الصراع على الجبهة الفلسفيّة و الصراع على الجبهة الإقتصاديّة و السياسيّة . ركّزنا إنتباها خاصا على الصراع ضد النظريّة الرجعيّة حول " الأساس الإقتصادي المختزل " التى طبخها التحريفيّون فى الحزب الشيوعي الصيني و بخاصة قائد فلسفي فى هذا الميدان يانغ هسيان تشان .

تدافع نظريّة يانغ الرجعيّة عن أنّه على البنية الفوقيّة أن تخدم العلاقات الرأسماليّة كما تخدم العلاقات الإشتراكيّة فى القاعدة الإقتصاديّة و يجب حتى أن تخدم البرجوازيّة فكانت جزءا من و بقية من " نظرية قوى الإنتاج " و مفادها أنّ قوى الإنتاج فى الصين كانت متأخّرة للغاية و لا تسمح بالتقدّم نحو الإشتراكية و القضاء على العلاقات الرأسماليّة و أنّه يجب أن يسمح للرأسماليّة بالتطوّر دون تحديد و لمدّة طويلة قبل التوجّه صوب الإنتقال إلى الإشتراكية و بالتالي حسب هذه النظرة ، المهمّة كانت " تعزيز الديمقراطية الجديدة " و قيل حتّى فى هذه الظروف " الإستغلال حسن" .

صاغ ماو تسى تونغ الخطّ العام للتحوّل من الديمقراطية الجديدة إلى الإشتراكية فى تعارض مع البرنامج التحريفي ل " تعزيز الديمقراطية الجديدة " و كان عليه أن يناضل على الجبهة الفلسفيّة ليحطم الأساس الإيديولوجي للخطّ المعادى للثورة.

و بالفعل قد توقّع ماو ذلك منذ " **فى التناقض**" ففى الحديث عن تحوّل مظهري التناقض الواحد إلى الآخر ، شدّد ماو على أنّ هذا ينطبق على أشياء أخرى كالتناقض بين قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج و البنية التحتيّة و البنية الفوقيّة و وجه بالتالي ضربة قويّة للمادية الميكانيكيّة. مذّاك كان لهذا أهمّية كبرى فى تبيان كيف و لماذا لم يكن على الصين أن تمرّ عبر

المرحلة الرأسماليّة بل يمكنها أن تتقدّم عبر الثورة الديمقراطية الجديدة إلى الإشتراكية بالرغم من أنّ قوى الإنتاج لم تكن متطوّرة جدا . حينها كتب :

" و يظنّ بعض الناس أنّ الأمر على خلاف ذلك فى بعض التناقضات . مثال ذلك أن القوى المنتجة هي الطرف الرئيسي فى التناقض بينها و بين علاقات الإنتاج ، و أنّ الممارسة العمليّة هي الطرف الرئيسي فى التناقض بين النظريّة و بينها ، و أن القاعدة الإقتصاديّة هي الطرف الرئيسي فى التناقض بينها و بين البناء الفوقي ، و لا يحدث تحوّل متبادل فى مركز أيّ طرف منها . هذه هي نظرية المادية الميكانيكية ، لا نظرية المادية الديالكتيكية . صحيح أن القوى المنتجة ، و الممارسة العملية ، و القاعدة الإقتصادية ، تلعب عادة الدور الرئيسي الحاسم ، و من ينكر هذه الحقيقة لا يكون ماديّا . لكن يجب أن نعترف كذلك بأنّ علاقات الإنتاج و النظرية و البناء الفوقي تلعب بدورها ، فى ظلّ ظروف معيّنة ، الدور الرئيسي الحاسم ... و عندما يعوق البناء الفوقي ، كالسياسة و الثقافة ، تطوّر القاعدة الإقتصاديّة ، فإنّ التجديدات السياسيّة و الثقافيّة تصبح العامل الرئيسي و الحاسم . أترانا نخالف الماديّة بقولنا هذا ؟ كلاّ ... ليس هذا مخالفا للماديّة ، بل يعنى بالضبط تفادى الماديّة الميكانيكية و التمسّك الحازم بالماديّة الديالكتيكية ." (93)

مطبّقا هذا المبدأ على وضع الصين بالضبط بعد إفتكاك السلطة السياسية على نطاق البلاد ، بيّن ماو تسى تونغ أنّه دون إرساء علاقات الإنتاج الإشتراكية لن تستطيع الصين مواصلة التطوّر . " تعزيز الديمقراطية الجديدة " يعنى الرأسمالية و سيعرقل و لن يساعد هذا التطوّر " فقط الإشتراكية يمكنها أن تنقذ الصين " و دون إرساء بنية فوقيّة و تقويتها ، دون أن تمسك البروليتاريا و حلفاؤها بالسلطة و دون أن تمارس الدكتاتورية على الطبقات الرجعيّة و دون إيديولوجيا و سياسة و ثقافة إلخ و البروليتاريا فى القيادة لن يستطيع البناء الإقتصادي الإشتراكي التطوّر و " إلتهام" ما تبقى من العلاقات الرأسماليّة المتبقّية خلال المرحلة الإنتقاليّة . و لن يمكن للبنية الفوقيّة أن تخدم كلاّ من الرأسمالية و الإشتراكية و لا ينبغى بالتأكيد أن تخدم البرجوازية .

فكان صراعا حادا و حيويا إلى أقصى الحدود و بخوضه على الجبهة الفلسفيّة و السياسيّة و الإقتصاديّة كان ممكنا للبروليتاريا أن تهيمن و تواصل التقدّم على الطريق الإشتراكي .

و لكن بعد أن مرّت بالأساس المرحلة الإنتقاليّة ، بعد التوصّل إلى مشركة الملكيّة فى الأساس ، فى 1956 لم ينته الصراع الطبقي و من خلال قيادة البروليتاريا و الجماهير الواسعة فى خوض الصراع الطبقي فى تلك الظروف قام ماوتسى تونغ بأعظم إضافاته للماركسية ـ اللينينية و قضيّة الشيوعيّة .

<u>تعميق الجدلية :</u>

كما أنف الذكر ، كان تطوير ماو ستى تونغ للفلسفة الماركسية ـ اللينينية و تطبيقه لها أمرا حيويّا . وكان جوهر إضافات ماو للفلسفة الماركسية ـ اللينينية تلخيصه و تطويره لفهم قانون التناقض و تطبيقه . وقد أكّد ماو دوما و شدّد التأكيد فى الفترة الإشتراكية على الجدليّة و الحركة و التغيّر و القفزات و تحوّل الأشياء إلى نقيضها و تعويض الجديد للقديم ، كل ذلك فى تعارض مع توجّهات الإستقرار " الإطلاقية " و تركيز " نظام أعظم " مستمرّ إلخ ، بإختصار فى تعارض مع الميتافيزيقا.

فى 1966 ، شدّد ماو بأسلوبه الخاص المتميّز على الدعوة إلى" **دراسة الجدليّة بإجتهاد و فعاليّة كبيرة جدّا** " . (94)

فى 1958 ، حين شرع ماو تسى تونغ فى تطوير أساس نظريته العظيمة حول مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا ، علّق :

" الحديث على الدوام عن الوحدة الصمّاء و عدم الحديث عن الصراع ليس ماركسية ـ لينينيّة فالوحدة تتطوّر عبر الصراع و هكذا فقط يمكن التوصّل إلى الوحدة . و الأمر ذاته يشمل الحزب و الطبقات و صفوف الشعب . الوحدة تتحوّل إلى صراع و الصراع إلى وحدة أخرى . لا يمكن أن نكتفي بالحديث عن الوحدة الصماء ولا نتحدّث عن الصراع و عن التناقضات . لا يتحدّث الإتّحاد السوفياتي عن التناقض بين القيادة و المقودين . لو لم توجد تناقضات و صراعات لما وجد

العالم ، لما وجد تقدّم و لا حياة و لما وجد أي شئ بالمرّة . الحديث على الدوام عن الوحدة يمثّل " مسبحا من الماء الراكد " يمكن أن يؤدي إلى البرودة . ينبغى أن نحطّم أساس الوحدة القديمة و أن نمرّ بمرحلة من الصراع من أجل وحدة على أساس جديد . ما الأفضل سبخة راكدة المياه أم يانغتسي [نهر صيني] لا ينضب مياهه جارية ، هادرة . " (95)

فى عدّة نقاط سابقة ، وقعت الإشارة إلى أنّ ماو لخّص أنّ ستالين إنحرف عن الجدليّة إنحرافات ذات بال . ففى 1957 ، سنة قبل التعليقات المقدّمة ، قام ماو بتحليل تقريبا ضافى لهذه المسألة و من المفيد الإستشهاد مطوّلا بما قاله بوضوح :

" كان لدى ستالين قسط كبير من الميتافيزيقا و قد علّم عديد الناس أن يتّبعوا الميتافيزيقا ". و أشار إلى أنّ فى تاريخ الحزب الشيوعي السوفياتي (البلشفي) :

" يقول ستالين إنّ للجدليّة الماركسيّة مبادئ أربعة رئيسيّة و المبدأ الأساسي ترابط الأشياء و كأنّ الأشياء مترابطة دون سبب بالمرّة . ما هي إذا الأشياء المترابطة ؟ هي مظهرا التناقض فى الشئ . فلكل شئ مظهرا تناقض . و المبدأ الرابع لدى ستالين يتحدّث عن التناقض الداخلي فى الأشياء و يتحدّث فقط عن صراع الأضداد دون الإشارة إلى وحدتها . و بالنسبة للقانون الجوهري للجدليّة ، وحدة الأضداد ، هنالك فى آن معا صراع و وحدة بين الأضداد التى هي معا متنافرة و مترابطة و التى يتحوّل الواحد منها إلى الآخر فى ظروف معيّنة .

نظرة ستالين تنعكس فى مدخل " حول التماثل " ، فى المنجد الفلسفي الأصغر ، الطبعة الرابعة ، المنشور فى الإتحاد السوفياتي و فيه يقال :" لا يمكن أن يوجد تماثل بين الحرب و السلم ، بين البرجوازية و البروليتاريا ، بين الحياة و الموت و مظاهر مماثلة لأنّها متعارضة جوهريّا الواحدة مع الأخرى و كلاهما متنافرين ... هذا التأويل خطأ على طول الخطّ تماما ... الحرب و السلم كانتا كلاهما متنافرتين و مترابطتين و يمكن أن تتحوّلا الواحدة إلى الأخرى فى ظروف معيّنة . إذا لم يبدأ الإعداد للحرب فى زمن السلم كيف يمكن أن تندلع فجأة ؟ إذا لم يعد للسلم زمن الحرب ، كيف يمكن لها أن تأتي فجأة ؟

إذا لم تتحوّل الحياة و الموت كلّ منهما إلى الأخرى بالتالي من فضلك قل لى من أين تأتى الأشياء الحيّة ... كلّ المادة الحيّة تمرّ بسيرورة تغيّر ، تنشأ و تتوالد و تندثر . بينما الحياة سيرورة ، الحياة و الموت تخوضان صراعا مستمرّا و تتحوّلان الواحدة إلى الأخرى فى كلّ وقت . إذا لم تستطع البرجوازية و البروليتاريا أن تتحوّلا الواحدة إلى الأخرى ، كيف يمكن عبر الثورة أن تصبح البروليتاريا المهيمنة و البرجوازية المهيمن عليها ؟...

أخفق ستالين فى رؤية العلاقة بين نضال الأضداد و وحدة الأضداد ".(96)

كانت لهذا أهمّية خاصة حينذاك لأنّها كانت فترة إضطرابات فى الصين كما فى عدد من البلدان الإشتراكية ناجمة عن مقاومة الرجعيّين للإشتراكية و عن التوجّهات البيروقراطية و نواقص أخرى فى سياسات الحزب و الدولة فى هذه البلدان . من هنا من الأهمّية بمكان التمييز و التعامل الصحيحين مع نوعي التناقضات المختلفة - التناقضات فى صلب الشعب و التناقضات بين الشعب و الرجعيّين - المتداخلة . التناقضات العدائيّة و غير العدائيّة هي أضداد لكنّها كذلك تماثل و يمكن أن تتحوّل الواحدة إلى الأخرى .

حينها ، ركز ماو بوجه خاص على أنّ التناقضات غير العدائية / التناحرية يمكن أن تتحوّل إلى تناقضات تناحريّة إذا لم تعالج بطريقة صحيحة . و فى نفس الخطاب المستشهد به مطوّلا أعلاه ، ركّز ماو على نقطة أنّ فى تلك الظروف وجد الصراع الطبقي فى الصين تعبيرا على مستوى كبير ، فى التناقض فى صلب الشعب . (97) ما كان يشدّد عليه هو أنّ الرجعيّين الأعداء كانوا سيستفيدون من نواقص معيّنة و ظروف صعبة لإيجاد عدم إستقرار واسع و حتى إنتفاضة فى جزء من قطاعات الشعب ضد الحزب و الدولة .

هنا لم يكن يحاول أن يذكر أنّ التناقض الرئيسي لم يزل بين البروليتاريا و البرجوازية الذى هو عموما تناقض تناحري (و لو أنّ فى ظروف الصين كان صحيحا أن يعالج التناقض مع البرجوازية الوطنية بصفة غير عدائية طالما كان ذلك

ممكنا) . بالفعل ، فى أواخر سنة 1957 ، نقد ماو تسى تونغ بصراحة الصياغة التى وقعت الموافقة عليها فى المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الصيني (1956) القائلة بأنّ التناقض الرئيسي كان بين النظام الإشتراكي المتقدّم و قوى الإنتاج المتأخّرة وهي صياغة تحريفيّة مناهضة للخطّ الصحيح حول أن التناقض الرئيسي كان بين البروليتاريا و البرجوازية و أنّ حربة الثورة موجّهة ضد الأخيرة .(98) . و ما يودّ ماو التوصّل إليه بالتركيز على أنّ الصراع الطبقي وجد التعبير عنه بصفة واسعة فى تناقضات فى صفوف الشعب هو التقدّم بالثورة و هزيمة مقاومة العدوّ ، هو ضرورة التمييز و المعالجة الصحيحة لكلا النوعين من التناقضات فى المجتمع . كما قيل فى خطاب جانفي 1957 الذى مرّ بنا أعلاه " **كيفية معالجة التناقض بين الشعب و العدوّ و معالجة التناقض فى صفوف الشعب داخل المجتمع الإشتراكي هو فرع من العلم حريّ بالدراسة عن كثب** " . (99)

و ألقى ماو خطابا عظيما حول المسألة فى الشهر اللاحق (فيفري 1957) ، " **حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين صفوف الشعب** " . فى ذلك الخطاب أعاد ماو قول :

" **تعتبر الفلسفة الماركسيّة أنّ قانون وحدة الأضداد هو القانون الجوهري للعالم . و لهذا القانون بعد عالمي إذ ينسحب على الطبيعة و المجتمع الإنساني و الفكر** ". (100)

وأسترسل ليلحّ على أنّ :

" **بين مظهري التناقض يوجد فى آن معا ، الوحدة و الصراع ممّا يدفع الأشياء و الظواهر إلى الحركة و التغيّر**"(101) و نقد " **يرفض العديد من الناس الإعتراف بتواصل التناقضات فى المجتمع الإشتراكي و بالنتيجة حين يواجهون التناقضات الإجتماعيّة لا يكونون صارمين و لا يقومون بأيّة مبادرة ، إنّهم لا يفهمون أن المجتمع الإشتراكي يصبح أكثر وحدة و يتعزّز عبر السيرورة اللامتناهية من المعالجة و الحلّ الصحيحين للتناقضات** " .(102)

و طبّق ماو تسى تونغ قانون أنّ مظهرا التناقض يمكن أن يتحوّلا كلّ منهما إلى نقيضه ، فى ظروف معيّنة. و عنى ذلك حينها أنّ الإضطرابات الحاصلة ينبغى أن تعالج جدليّا . إنّها أمور سيّئة و هذا مظهرها الرئيسي الذى حدّد طبيعتها لكن يمكن أن تتحوّل إلى شئ جيد لأنّها تضمّنت مظهرا إيجابيّا فقد كشفت نواقص الحزب و الدولة و أخطائهما جاعلة من الممكن إصلاحها . عبر هذه السيرورة ، إذا ما عولجت بطريقة صحيحة ، ستتعزّز الوحدة صلب الشعب ، بما فى ذلك العلاقات بين القيادة و المقودين و ستتوطّد أكثر الدولة الإشتراكية بينما يكون المعادون للثورة قد صاروا أكثر عزلة و أكثر إنحصارا بالفعل . و لكن إذا عولجت بطريقة غير صحيحة ، يتعمّق الإنفصال بين الجماهير و سيسمح للعدوّ أن يزداد قوّة بينما تضعف الدولة الإشتراكية و ربما وقعت الإطاحة بها .

قانون تحوّل الضدين الواحد إلى الآخر يعنى كذلك و ليس فقط أنّه بإمكان البروليتاريا أن تصبح القوّة المهيمنة فى المجتمع فى حين تصبح البرجوازية مهيمَن عليها و العكس يمكن أن يحصل أيضا . بعبارات أخرى ، يمكن كذلك أن تخسر البروليتاريا السلطة و يمكن للبرجوازية أن تعوّضها كطبقة مهيمنة .

يشير " **حول المعالجة الصحيحة**... " إلى هذا الخطر . و فعلا فى هذا الخطاب و لأوّل مرّة فى تاريخ الحركة الشيوعية العالميّة تقع الإشارة تصريحا أنّه حتى بعد تركيز الملكيّة الإشتراكية تواصل البرجوازية التواجد و يتواصل الصراع الطبقي و" **مسألة من سينتصر الإشتراكية أم الرأسمالية لم تحدد بعدُ** " .(103)

و بالطبع مثّل هذا تطويرا آخر أعمق لفهم ماو تسى تونغ ذاته للفلسفة . و كرّس نظرة مختلفة - و متطوّرة و أصحّ - نسبة لتلك التى قدّمها فى " **فى التناقض**" فى ما يتعلّق بالتناقض ، و التناقض التناحري فى المجتمع الإشتراكي . فى ذلك العمل السابق إستشهد ماو ب(و بداهة عبّر عن إتّفاقه مع) مقولة لينين :" **إن التعادي و التناقض شيئان مختلفان كلّ الإختلاف . ففى ظلّ الإشتراكية سيتلاشى التعادى ، أمّا التناقض فيظلّ قائما** " . (104)

كان هذا الخطّ السائد فى الإتّحاد السوفياتي و الحركة الشيوعيّة العالميّة عند كتابة " **فى التناقض**" غير أنّ ذلك جانب الصواب إذ هو تحليل سديد للشيوعيّة و ليس كذلك بالنسبة للإشتراكيّة . حدّد ماو تسى تونغ هذا الخطأ بفضل مواصلة تطبيق المادية الجدليّة على التناقضات فى المجتمع الإشتراكي و على قاعدة تلخيص تجربة الصين ذاتها إلى جانب التجربة (الإيجابية و السلبية) للإتّحاد السوفياتي . إنطوى " **حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين صفوف الشعب** " أوّل إقرار صريح ، لا لبس فيه ، في تاريخ الحركة الشيوعيّة العالميّة ، بشأن تواصل وجود الطبقات و الصراع الطبقي بما فى ذلك و بصورة خاصة وجود التناقض التناحري بين البروليتاريا و البرجوازية فى المجتمع الإشتراكي ، إثر تحويل الملكيّة . و هذا برمّته دليل أعمق على حقيقة الماديّة الجدليّة و أنّ فهم ماو تسى تونغ للفلسفة الماركسيّة و تطويرها كان معتمدا على وحدة جدلية و جاء مع تطوّرات المجتمع لا سيما تطوّر الصراع الطبقي الذى يستمرّ فعلا فى ظلّ الإشتراكية .

وعي الإنسان ، الدور النشيط :

فى الواقع ، كان الصراع الطبقي فى الصين حادّا للغاية حينها ، و قد إشتدّت حدّته فى السنة الموالية أي سنة 1958 . فكانت تلك سنة حركة تركيز الكمونات الشعبيّة التى ظهرت فى الريف الصيني كجزء حيوي من القفزة الكبرى إلى الأمام . و فى تناقض مع التحريفيّين فى صفوف الحزب الشيوعي ، قاد ماو حركة الجماهير و صاغ الخطّ العام لبناء الإشتراكية الذى لخّص التجربة السابقة لتلك الحركات و وفّر أوسع قيادة و دفعا للصراع داخل الحزب الشيوعي الذى تركّز على هذه المسائل و كان محتدما أيّما إحتدام . و كان صحيحا على الجبهة الفلسفيّة حيث وجّه التحريفيّون من جديد تهمة المثاليّة لماو تسى تونغ و ركّزوا هجومهم على مبدأ التماثل بين الفكر و الوجود .

صرّح يانغ هسين شان ، " السلطة " الفلسفيّة للقيادة التحريفيّة ، بوضوح أنّه " لا وجود للتماثل بين الفكر و الوجود " (105) . و إتّهم ماو و ثوريين آخرين بالدفاع عن أنّ " الفكر و الوجود شئ واحد " (106) . وعلاوة على ذلك :" أنكر يانغ هسين شان كلّيا السيرورة الضروريّة لحصول الإنسان على المعرفة الموضوعية للظواهر . فبالنسبة له من المثاليّة القول " لا يتطابق الذاتى مع الموضوعي " . و إنطلاقا من هذا الخطإ ، إستعمل تكتيكات الهجوم على نقطة مع إهمال كامل للبقيّة و غالي بفضاضة فى التراجعات المؤقّتة و المنعزلة التى من الصعب تفاديها فى عملنا اليومي ، ناعتا إيّاها جميعها ب " المثاليّة " . وقد هاجم بشراسة ما سمي ب" الأخطاء" أثناء القفزة الكبرى إلى الأمام و أرجع السبب إلى تماثل الفكر و الوجود و إلى الدور النشيط للوعي الإنساني الذى ينشأ أشياء عديدة إلخ . وقد قدّم عرضا كبيرا لدفاعه عن الماديّة فى حين كان واقعيّا يستعمل الميتفيزيقا و المثاليّة لمعارضة حركة الإنعكاس النشيطة و الثوريّة ". (107)

لقد رأينا أنّ تماثل مظهري التناقض هو أحد مظهري التناقض و الآخر هو صراع الأضداد . و رأينا أيضا أن تماثل مظهري التناقض لا يعنى البتّة أنّهما الشئ ذاته بل يعنى بالأحرى أنّهما مرتبطان، مشروطان و متداخلان الواحد مع الآخر. و فوق ذلك ، يعنى أنّ فى ظروف معيّنة يمكن أن يتحوّلا الواحد إلى الآخر . فى العلاقة بين الفكر و الوجود يعنى هذا أنّ الوجود يمكن أن يتحوّل إلى فكر و العكس صحيح . و إنكار هذا يعدّ بجلاء ميتافيزيقيّا بما أنّه يجعل من المظهرين مطلقين و مفترقين مطلقا الواحد عن الآخر. وهو فضلا عن ذلك مثاليّة لأنّ الوجود إذا لم يستطع أن يتحوّل إلى فكر ، إذا لم تستطع المادة أن تتحوّل إلى وعي فبالتالى من أين ياتى الفكر و ما هو منبعه ؟

عرض ماو مباشرة هذه المسألة فى هجوم مباشر على الجبهة الفلسفية ، فى نصّ مختزل ، قصير بعنوان " **من أين تأتى الأفكار الصحيحة ؟** " المكتوب فى 1963 . فيه كرّر ماو و شرح مراحل سيرورة المعرفة و حدّد بصورة مركّزة أنّ :

" هنالك ضمن رفاقنا العديدين الذين لم يفهموا بعدُ نظريّة المعرفة هذه . حين يسألون عن منبع أفكارهم و موقفهم و سياساتهم و طرقهم و مخطّطاتهم و إستخلاصاتهم و الخطابات الفصيحة و المقالات الطويلة ، يعتبرون السؤال غريبا و لا يمكن الإجابة عليه . و لا يفهمون أيضا أن المادة يمكن أن تتحوّل إلى وعي و يمكن للوعي أن يتحوّل إلى مادة رغم أنّ مثل هذه القفزات من ظواهر الحياة اليوميّة ". (108)

متحدّثا عن قضيّة تناسب الذاتي و الموضوعي ، قضيّة الوعي الذى يعكس تماما العالم المادي و يقدّر بالتالي على توجيه ممارسة تغيير العالم ، أشار ماو تسى تونغ ليس إلى أنّه يجب أن يوجد تراكم للمعرفة الحسّية قبل أن يمكن تحليلها

و تلخيصها إلى عقليّة فحسب و إنّما أيضا إلى أنّ تحويل هذا إلى حركة ، عند القيام بقفزة من الوعي إلى المادة ، هنالك مقاومة قوى رجعيّة لا سيما فى تغيير المجتمع . كتب :

" خلال الصراع الإجتماعي ، تمرّ القوى التى تمثّل الطبقة المتقدّمة أحيانا بهزائم لا لأنّ أفكارها غير صحيحة بل لأنّها لا تملك فى ميزان القوى فى الصراع المخاض القوّة التى تملكها الرجعيّة فهي بالتالي تمنى بالهزيمة المؤقتة لكنّها تتّجه نحو الإنتصار طال الأمد أم قصُر". (109)

عندما وُجدت تراجعات و أخطاء فى أثناء القفزة الكبرى إلى الأمام ، كان سببها الأساسي فى تلك الفترة مقاومة القوى الرجعية فى الصين و فى الحزب الشيوعي الصيني على وجه الخصوص و كذلك الإتحاد السوفياتي (حاول التحريفيّون السوفيات بنشاط تخريب القفزة الكبرى إلى الأمام بسحب الإعانة و العمّال المختصّين ، مبقين على عديد المشاريع غير تامّة ...إلخ) . و إرجاع هذه الصعوبات إلى " الدور النشيط للوعي الإنساني " و " المثالية الذاتية " للثوريّين ، بمن فيهم ماو ، قلب للأشياء رأسا على عقب و هجوم على النشاط الواعي للجماهير . وكان هدف التحريفيّين أيضا إنكار الدور الحيوي للخطّ الثوري لقيادة الجماهير فى تغيير المجتمع و أيضا إنكار الإنتصارات الحقيقيّة التى تحقّقت واقعيّا بفضل نهوض القفزة الكبرى إلى الأمام .

لقد شرح ماو تسى تونغ المبدأ الفلسفي الرئيسي المعنيّ هنا فى " **فى التناقض**" حيث كان فى الوقت نفسه يقاتل الماديّة الميكانيكية و يبرز أنّ قانون تحوّل الأضداد الواحد إلى الآخر ينطبق لا فقط على قوى وعلاقات الإنتاج بل كذلك على الممارسة و النظرية . و لفت النظر بخاصة إلى أنّه مع أنّ الممارسة هي الرئيسيّة نسبة للنظرية عموما ، فإنّ هناك حالات تعكس فيها العلاقة و " **عندما ينبغى القيام بعمل ما (و هذا ينطبق على أيّ عمل كان) لكنّه لم ترسم بعد سياسة عامة أو طريقة أو خطّة أو سياسة محدّدة ، فإنّ رسم كلّ هذه يصبح العامل الرئيسي الحاسم .** "(110)

هنا أبرز ماو الأهمّية العظمى للخطّ و السياسة إلخ التى هي من صنف الوعي و التى يمكن أن تتحوّل إلى مادّة ، إلى ممارسة ثورية . و بصفة عامة ، هذه هي العلاقة الجدليّة بين الوعي و المادة ، التماثل بينهما و من هنالك إمكانيّة تحوّل الواحد إلى الآخر . هذا مبدأ ماركسي- لينيني عظيم الدلالة و كان محور صراع محتدم فى صفوف الحزب الشيوعي الصيني منذ القفزة الكبرى إلى الأمام .

فى 1959 ، فى خضم النضال ضد بنغ تاه هواي بشأن القفزة الكبرى إلى الأمام ، صرّح ماو أنّ التجريبية غدت الخطر الأساسيّ . و فعلا ، طوال عدّة سنوات قبل ذلك كان قد شدّد على أنّ التحريفية ، الإنتهازية اليمينية ، كانت تمثّل خطرا أكبر من الدغمائية . و إنعكست هذه التحريفية فى الهجمات على " الدور النشيط للوعي الإنساني " وعلى " تماثل الفكر و الوجود " و بشكل عام على أهمّية النظريّة و الخطّ و الوعي . فكان كلّ هذا محاولة لخنق حركات الجماهير التى مثّلت حقيقة تحويل خطّ ماو الثوري المرسوم إنطلاقا من الصراع الطبقيّ صينيّا و عالميّا ، إلى قوّة مادية جبّارة غيّرت وجه الصين و خاصة ريفها الشاسع .

<u>الصراع و الخلاصة :</u>

على إمتداد سنوات من الصراع المحتدم حول " القفزة الكبرى إلى الأمام "، قام ماو تسى تونغ فى 1962 بتحليل تاريخي مفاده أنّ المجتمع الإشتراكي مرحلة إنتقاليّة تدوم طوال السيرورة التى تتضمّن الطبقات و الصراع الطبقي و خطر إعادة تركيز الرأسمالية (و كذلك تهديد الهجوم الخارجي للطبقات المعادية) . و صار ذلك هو الخط الأساسي للحزب الشيوعي الصيني على طول المرحلة الإشتراكية . فمثّل تقدّما تاريخيّا فى الماركسية - اللينينية أتى ثمرة التطبيق اللامع لقانون الجوهري للجدلية ، التناقض ،على المجتمع الإشتراكي . طبّق ماو هذا القانون على الظروف المادية و الإيديولوجية فى ظلّ الإشتراكية فبيّن كيف تفرز هذه الظروف و التناقضات التى تميّز الحركة فى المجتمع الإشتراكي منذ بدايته إلى نهايته البرجوازية و بإستمرار.

و إذا ما وجدت البرجوازية و البروليتاريا و شكّلا تناقضا - فى الواقع التناقض الرئيسي - طوال المرحلة الإشتراكية بالتالى لا يجب فقط أن يوجد صراع بينهما ، بل يجب كذلك أن توجد إمكانيّة تحوّلهما الواحد إلى نقيضه ، بكلمات أخرى ، إمكانيّة أنّ تغتصب البرجوازية السلطة من البروليتاريا و تعيد تركيز الرأسمالية .

مرّة أخرى ، هاجم التحريفيّون بشراسة هذه النظريّة الرياديّة لماو تسى تونغ و خطّه . و فى 1958 ، هاجم يانغ هسيان شان متّبعا تكتيكا جديدا ، ماو و القيادة البروليتاريّة فى الحزب على أنّها تتحدّث فقط عن الصراع بين الأضداد و لا تنبس بكلمة عن وحدتها و صار يانغ بطل وحدة الأضداد و دعا إلى " إستعمال وحدة الأضداد " . (111)

و أمسى هجوم يانغ هجوما مكثّفا بصورة خاصة فى بداية ستينات القرن العشرين أي سنة 1961-1962 عندما إلتقى الهجوم السوفياتي و الكوارث الطبيعيّة و الخيانة التحريفيّة من داخل الحزب الشيوعي الصيني و تداخلت لتشكّل عراقيلا أمام مضيّ الصين قدما نحو الشيوعية متجاوزة الطريق الإشتراكي بثبات . عندئذ شدّد يانغ على أنّ وحدة الأضداد كانت تعنى " النقاط المشتركة " و أنّ للشعب الصيني و الثورة الصينيّة " نقاطا مشتركة " مع الإمبريالية الأمريكيّة و " نقاطا مشتركة مع بعض الإختلافات " مع التحريفية السوفياتية " .

هذه هي " **نظرية مزج الإثنين فى واحد** " (أو الإثنان فى واحد) وهي تتعارض كلّيا مع المفهوم الذى إستعمله ماو لتلخيص الجدليّة ، إزدواج الواحد ، الذى صاغه قبل ذلك بقليل .

فى 1964 ، أعلن يانغ و ليوتشاوتشى و أرهاط أخرى من التحريفيّين فى قيادة الحزب الشيوعي الصيني صراحة عن نظريّتهم الرجعيّة ، مزج الإثنين فى واحد ، و كانت الغاية منها توفير قاعدة فكريّة فلسفيّة لخطّهم التحريفي : " نهاية الصراع الطبقي ". لمعارضة خطّ ماو و فى محاولة منه مغالطة الشعب ، مزج يانغ إثنان فى واحد ، وعوض إزدواج الواحد عكس الأمر و قدّم مزج الإثنين فى واحد . و أعلن أنّ ل" مزج الإثنين فى واحد " وإزدواج الواحد " " المعنى ذاته."(112)

و هنا بالضبط تتنزّل أهمّية مسألة الخلاصة و دورها فى التناقض إذ عبّر يانغ عن أنّ التحليل يعنى " إزدواج الواحد " فى حين أنّ الخلاصة تعنى " مزج الإثنين فى واحد " .(113) و مؤدّى هذا فى تحليل التناقض من الصحيح النظر إلى مظهريه المتناقضين لكن عند التفتيش عن معالجة (أو واقعيّا حسب رأيه الوفاق بين) التناقض يجب مزج المظهرين فى واحد فيوحد فى " نقطة مشتركة ". و هذا متناقض مع الفهم الصحيح ، الجدلي الذى يرى أنّ :

" الفلسفة الماركسية تعلّمنا أنّ التحليل والخلاصة قانون موضوعي للأشياء و فى الآن ذاته طريقة للشعب لكي يفهم الأشياء . يبيّن التحليل كيف أنّ الوحدة تنقسم إلى جزئين مختلفين و كيف أنّها متشابكة فى صراع ، و تبيّن الخلاصة كيف يهيمن عبر الصراع بين المظهرين المتناقضين ، واحد على الآخر أو يهزمه و يلغيه و كيف أنّ تناقضا قديما يحلّ و ينشأ تناقض جديد و كيف أنّ شيئا قديما يُلغى و شيئا جديدا ينتصر . فى بضع كلمات، الخلاصة تعنى الواحد يبتلع الآخر ." (114)

ليس الإختلاف هنا ، جوهر هذا الصراع المخاض فى مجال الفلسفة ، نقاشا أكاديميا مثلما قد يبدو و إنّما هو صراع خطّين متعارضين جوهريّا هما الخطّ الثوري لمعالجة التناقض عبر الصراع ، و الخطّ الرجعي الساعي للتوفيق بين الضدّين عبر ربط التقدّمي بالرجعيّ والمتقدّم بالمتخلّف و الجديد بالقديم و الصحيح بالخاطئ إلخ . و فى ظل الإشتراكية على نحو خاص، يتّخذ هذا الصراع تعبيره السياسي المكثّف بما هو صراع الخطّ الماركسي - اللينيني المتبنّى للصراع الطبقي بإعتباره مفتاح العلاقة و الخطّ التحريفي و شعاره " إنتهاء الصراع الطبقي" .

و ينطبق خطّ الخلاصة على جميع التناقضات ، العدائية منها و غير العدائية . فى كلتا الحالتين ، المظهر الجديد ، الصاعد ، فى النهاية " يبتلع " المظهر القديم المتداعي . ما يختلف هو فقط وسيلة الإبتلاع . فالبروليتاريا تبتلع البرجوازية بخوض صراع طبقي ضدّها و إفتكاك السلطة السياسيّة منها و ممارسة دكتاتوريّتها عليها و مواصلة الصراع الطبقي ضدّها فى ظروف دكتاتوريّة البروليتاريا . إنّه تناقض عدائي و يعالج بوسائل عدائيّة . و من جهة أخرى ، فى ما يتعلّق بالتناقض بين

الصحيح و الخاطئ فى صفوف الشعب ، فيعالج بطرق غير عدائيّة ، عبر الصراع الإيديولوجي . لكن فى هذه السيرورة لا يزال الصحيح يبتلع الخاطئ . و ينسحب الأمر ذاته على التناقضات غير العدائيّة الأخرى . الخلاصة عبر الصراع هو القانون الكوني المتأتّى عن قانون وحدة الأضداد .

دون هذه الرؤية الصحيحة تتحوّل الخلاصة - " إزدواج الواحد "- إلى إنتقائية ، إلى إعتراف بمظهري التناقض مع محاولة التوفيق بينهما ، توفيق بين شيأين متنافرين ، بكلمات أخرى ، تتحوّل إلى " إثنين فى واحد" و بكلمات شعبية فى هذا البلد يعبّر عن ذلك ب " هنالك جانبان لكلّ قصة " يعنى لا يمكنك فصل الصحيح عن الخاطئ و الجيّد عن السيئ إلخ .

تطرّق ماو تسى تونغ إلى ذلك فى " **ملاحظات نقديّة** " حول كتاب الإقتصاد السياسي السوفياتي فقال **إنّ الحديث عن التناقضات على أنّها " ضدّية " حتّى فى ظلّ الإشتراكية " لا يتّفق مع قوانين الجدليّة التى ترى أنّ كلّ التناقضات "ضدّية " . أين هي التناقضات الممكن التوفيق بينها ؟ بعض التناقضات تناحريّة وبعضها غير تناحري لكن لا ينبغى أن نقول إنّه توجد تناقضات " ضدّية " و أخرى غير ضدّية ."** (115)

و تطرّق ماو لمسألة الخلاصة و إنعكاساتها السياسيّة فى خطاب عظيم عن الفلسفة سنة 1964 . ما هي الخلاصة ؟ سأل و أجاب :

" لقد شاهدتم جميعا كيف أنّ الضدّين ، الكومنتنغ و الحزب الشيوعي الصيني وقعت بينهما خلاصة على أرض الواقع . حدثت هذه الخلاصة على النحو التالي : تقدّمت جيوشه فإلتهمناها ، أكلناها قطعة بعد الأخرى . لم يكن الأمر مزج الإثنين فى واحد كما يقول يانغ ، لم تكن الخلاصة ضدّين يتعايشان سلميّا . لم يكونوا يريدون التعايش السلمى بل كانوا يريدون إلتهامنا... بعد التحليل كيف نلخّص ؟ إذا أردتم الذهاب إلى مكان ما تذهبون مباشرة ، نحن نبتلع جيشكم لقمة فلقمة ... هذه هي الخلاصة ... شئ يلتهم آخر ، السمك الكبير يلتهم الصغير، هذه هي الخلاصة . لم يوضع هذا أبدا فى الكتب . لم أضع ذلك أبدا هكذا فى كتب أنا أيضا . من جهته يانغ هسيان تشو يعتقد أنّ الإثنين يمزجان فى واحد و أنّ الخلاصة هي العلاقة العضويّة بين الضدّين . أين هي العلاقات العضويّة فى هذا العالم ؟ يمكن أن توجد علاقات بين الأشياء غير أنّ فى الأخير يتعيّن أن تنفصل لا وجود لشئ لا ينفصل . "(116)

لو سحبنا ذلك على الصراع الطبقي لألفينا أنّ هذا هو حال البروليتاريا و البرجوازية و إذا لم تلخّص البروليتاريا البرجوازية عبر الصراع ، إذا لم تنفصل عبر معالجة التناقض بينهما مفرزة إنتصار البروليتاريا و إلغاء كافة الطبقات و ظهور المجتمع الخالي من الطبقات فبالتالي كيف يمكن أن توجد أيّة شيوعية ؟

<u>قانون وحدة الأضداد هو القانون الأساسي للجدلية :</u>

فى ذات الخطاب حول الفلسفة ، عبّر ماوتسى تونغ عن تطوير أعمق للجدليّة الماركسيّة إذ قال إن " **إنجلز تحدّث عن ثلاث قوانين لكن بالنسبة إلّي لا أعتقد فى إثنين منهما** " و هنا يلمح ماو إلى تحوّل الكمّية إلى النوعيّة و كلّ إلى نقيضه و نفي النفي اللذان تحدّث عنهما إنجلز ، إلى جانب وحدة الأضداد ، كقوانين ثلاثة أساسيّة فى الجدليّة (أنظروا مثلا " **ضد دوهرينغ** " جزء 1 ، الفلسفة) .

عن الكمّية و النوعيّة ، قال ماو إنّ " **تحوّل النوعي و الكمّى كلّ إلى نقيضه هو وحدة أضداد نوعيّ كمّي**" (117) و أضاف " **نفي النفي لا وجود له بالمرّة ، خلاصة القول هو أن وضع التحوّل النوعي و الكمّي كلّ إلى نقيضه و نفي النفي فى نفس مستوى قانون وحدة الأضداد هو " تثليث " و ليس توحيدا . القانون الأكثر أساسيّة هو وحدة الأضداد** " . (118)

بكلمات أخرى ، أن يقال إنّ هذه القوانين الثلاثة كلّها متساوية فى كونها قوانين أساسيّة للجدليّة قول فى جوهره تجاوز لقانون أنّه يجب أن يوجد تناقض رئيسي واحد من بينها يكون أساسيّا وهو وحدة الأضداد . و مثلما فسّر ماو ، تحوّل الكمّية إلى النوعيّة و العكس هو ذاته تناقض بين الكمّية و النوعيّة و لا يمكن أن يوضع فى نفس مستوى قانون التناقض . و لكن لماذا يؤكد ماو أنّ " لا وجود لنفي النفي " ؟ تفسيره هو التالي :

" تأكيد ، نفي ، تأكيد ، نفي ... فى تطوّر الأشياء ، كل حلقة فى سلسلة الأحداث هي فى آن تأكيد و نفي . المجتمع العبوديّ نفي المجتمع المشاعي البدائي و لكنّه بالنسبة للمجتمع الإقطاعي مثّل بالعكس تأكيدا . مثل المجتمع الإقطاعي نفي المجتمع العبودي لكنّه كان فى المقابل تأكيدا بالنسبة للمجتمع الرأسمالي . و المجتمع الرأسمالي كان نفي المجتمع الإقطاعي لكنّه فى المقابل تأكيدا نسبة للمجتمع الرأسمالي . و المجتمع الرأسمالي كان نفيا للمجتمع الإقطاعي بيد أنّه فى المقابل تأكيد نسبة للمجتمع الإشتراكي ". (119)

هنا يمكن أن يبدو أنّ ماو ليس بصدد نكران نفي النفي بقدر ما هو يقوم بتطبيقه إلاّ أن ما هو بصدد تطبيقه هو قانون إزدواج الواحد. و ما يريد التوصّل إليه هو أنّ فى السيرورة التى هو بصدد عرضها ، تطوّر المجتمع الإنساني إلى حدّ الآن - عبر مراحل من مجتمع المشاعيّة البدائيّة إلى الإشتراكية - كيف مثّل الإقطاع مثلا نفي النفي بالنسبة للمجتمع البدائي؟ أو الرأسماليّة نفي النفي بالنسبة للعبوديّة ؟ و الإشتراكية نفي النفي بالنسبة للإقطاعيّة ؟

صحيح أنّ الأشياء فى تطوّر المجتمع يمكن أن توجد و توصف على شكل نفي النفي . مثال ما إستعمله ماركس فى " **رأس المال** "(م 1) و دافع إنجلز (فى " **ضد دوهرينغ** ") عن أنّ الملكيّة الخاصة لوسائل الإنتاج تنفيها الملكية الرأسمالية لوسائل الإنتاج التى هي بدورها تنفى من قبل الملكية الإشتراكية و هذه الأخيرة تعطى الملكية الخاصة للفرد لكن فى ما يتعلّق بوسائل الإستهلاك فقط ، و على أساس الملكية الإشتراكية للإنتاج تماشيا مع الإنتاج الإشتراكي . و يمكن لمثال آخر أشار إليه إنجلز أن يعتبر نفي النفي : نفي الملكية العامة فى المجتمع البدائي من قبل ظهور المجتمع الطبقي و بدوره ينفى المجتمع الخالى من الطبقات المجتمع الطبقي ، منتهيا مرّة أخرى إلى الملكية العامة لكن على أساس تراكم هائل لقوى الإنتاج خلال فترة المجتمعات الطبقيّة بين المجتمع المشاعي البدائي و المجتمع الشيوعي . أمثلة أخرى يمكن أن نعثر عليها فى الطبيعة و المجتمع و الفكر.

لكن مجدّدا هل يمكن أن يقال إنّ هذا يدلّل على أنّ نفي النفي هو أحد قوانين الجدليّة التى تنطبق على كافة السيرورات فى الطبيعة و المجتمع و الفكر ؟ كلاّ . فى بعض السيرورات أو بعض مراحل سيرورة ، حلّ التناقض يمكن أن يوصف كنفي النفي غير أنّه ليس ثمّة قانون يؤسس السيرورة و يحدّدها و يفعل فيها سوى وحدة الأضداد ، دافعا بإستمرار إلى ظهور التناقضات الجديدة و حلّها. هذا ما يعنيه ماو تسى تونغ حين قال إنّه لا وجود لنفي النفي .

لنأخذ مثال الحياة و الموت . كافة الأشياء الخاصة تأتى إلى الوجود و تضمحلّ ، كلّ الأشياء الحيّة تصبح حيّة ثم تتوقّف عن الحياة . لكن كيف يكون إضمحلالها أو توقّفها عن الحياة نفيا للنفي الأصلي الذى أوجدها أو الحياة ؟ نفي النفي يمكن أن يصف ما يحدث لبعض الأشياء عبر حلقة حياتها مثل الحبّة التى يستشهد بها إنجلز فى " **ضد دوهرينغ**" (التى تصبح نبتة تولد بدورها عديد الحبوب) غير أنّ إنجلز يعترف حتى فى هذه الحال بأنّ الحبّة تتحوّل إلى نبتة فقط فى ظروف معيّنة و أنّ نفي النفي الأوّلي ليس بيانا لنفي النفي كقانون جدليّ بل بالفعل وحدة الأضداد هو القانون الأساسيّ للمادية الجدليّة .

حبّة - نبتة - حبّة (حبّات) هو وحدة أضداد الحبّة و النبتة . يقول إنجلز إنّه بالطبع إذا ما حطّمت الحبّة لن تصبح نبتة . لكن حبّة محطّمة تبيّن أيضا قانون التناقض : هنالك وحدة و صراع الأضداد . الحبّة و القوّة المحطّمة و هنالك الحلّ الحبّة المحطّمة . هنا لا وجود لنفي النفي بل هنالك قانون التناقض .

بعد ما قاله ماو فى الإستشهاد السابق ، نلاحظ أنّه يعارض إعتبار نفي النفي قانونا جدليّا لأنّ ذلك يجرّ إلى أو هو جزء من نظرة غير صحيحة للخلاصة فبالنسبة لهذه النظرة ، الخلاصة ليست إلتهام مظهر لمظهر آخر عبر الصراع مفرزا تناقضا جديدا يكون فيه المظهر الرئيسي للقديم قد تغيّر ، بل شئ يعيد عناصر الشئ الذى وقع نفيه (لكن على مستوى مختلف و أرقى نوعيّا) و يذهب إلى إعتبارها النتاج النهائي للتطوّر - أو على الأكثر نقطة بداية السيرورة ، مرّة أخرى (و إن كان ذلك على مستوى أرقى) . و إذا ما غدا نفي النفي قانون تطوّر المجتمع من المجتمع المشاعي البدائي إلى الشيوعية ، إذا ما تمّ التركيز عليه كقوّة محرّكة فى التقدّم نحو الشيوعية ، لن يكون للتناقض الداخلي الأساسي للرأسمالية (و الإشتراكية) بين البروليتاريا و البرجوازية (و لا التناقضات الداخلية الأساسيّة للأنظمة السابقة) هو القوّة المحرّكة و إنّما السيرورة :

أطروحة المشاعية البدائية ، نقض الأطروحة ، المجتمع الطبقي ، الخلاصة ، الشيوعية . نكرّرها هذه نظرة ليست صحيحة لسيرورة القوى المحرّكة لتطوّر المجتمع نحو الشيوعية و ليست عمليّة خلاصة .

بالضبط إثر الإستشهاد بتطوّر المجتمع لشرح سبب عدم إعتبار نفي النفي قانونا جدليّا ، يعود ماو إلى مسألة : " **ما هي الخلاصة ؟** "(120) و يجيب :

" **فى كلمة ، الواحد يلتهم الآخر ، الواحد يطيح بالآخر ، طبقة تضمحلّ و تظهر طبقة أخرى ، مجتمع يضمحلّ و يظهر مجتمع آخر** "(121) هذا هو القاون الأساسي فى الجدلية ، قانون التناقض و هذه هي الطبيعة الحقيقيّة للخلاصة و دوره فى حركة الأشياء بإستمرار من سيرورة إلى أخرى و من المستوى الأدنى إلى المستوى الأعلى فى تصاعد لولبيّ لا متناهي .

و ختاما بشأن موضوع نفي النفي ، نقول إنّه إذا ما جعل منه قانونا جدليّا سينحو نحو الدفاع عن الميتافيزيقا . و بالطبع ينبغى أن نؤكد بجلاء أنّ إنجلز دافع عن الجدليّة كنقيض للميتافيزيقا و من الأكيد جدّا أنّه دافع عن نظرة جدليّة للتطوّر التاريخي ، بعيدة كلّ البعد عن الميتافيزيقا غير أنّ الجدليّة الماركسيّة تطوّرت بتطوّر المجتمع و سيتّجه نفي النفي إلى تمثيل " نظام مغلق " للتطوّر المنتهى إلى الشيوعية و إلى الدفاع عن نظرة ستاتيكية / سكونية إطلاقية للشيوعية ذاتها كنهاية نفي النفي و " مملكة التناسق الكبير ". فى تعارض مع ذلك ، صرّح ماو فى خطابه حول الفلسفة ، سنة 1964:

" **ستبقى الشيوعية لمئات السنين . لا أعتقد أنّه لن توجد تحوّلات نوعيّة فى ظلّ الشيوعية و أنّها لن تنقسم إلى مراحل بفعل التغيّرات النوعيّة ! لا أعتقد ذلك ! ...هذا غير معقول على ضوء الجدلية** ". (122)

و أهمّية ذلك لا سيما فى الصين آنذاك كانت بأكثر مباشرة مرتبطة بالإشتراكية منها بالشيوعية لأنّ بعض الشيوعيّين كانوا يقدّمون الإشتراكية كشئ مطلق ، ستاتيكي / سكوني ، ناظرين إليه بالفعل كإفراز نهائي لتطوّر المجتمع ، النفي النهائي للمجتمع السابق . فعلّق ماو قائلا :

" **الإشتراكية بدورها ستضمحلّ و لن يكون صحيحا أن لا تضمحلّ لأنّه حينئذ لن توجد شيوعية** " .(123)

<u>الثورة الثقافية و مواصلة الصراع :</u>

أراد التحريفيّون هم أيضا أن يقضوا على الإشتراكية لكن ليس بالتقدّم صوب الشيوعية إذ كانوا يدعون إلى و يعملون بنشاط من أجل إعادة تركيز الرأسمالية . و كانت المجموعة التحريفيّة بخاصة المجتمعة حول ليوتشاوشى و قادة كبار آخرين متّفقين معه ، كانت تملك قيادة عامة داخل الحزب الشيوعي و جهاز الدولة . كانوا يسيطرون على أجزاء هامة من البنية الفوقيّة و كانوا يهيمنون أو لهم كبير التأثير على جزء مهمّ من الإقتصاد . لو كان الوضع ليدوم أطول ، لنجح هؤلاء التحريفيّون فى إغتصاب السلطة فى البلاد بأسرها و دفع ثورة مضادة و إعادة تركيز الرأسمالية لذا كان لزاما القيام بشئ و جرى القيام باللازم .

إنّها الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى التى تحوّلت فى 1966 إلى نهوض ضخم للجماهير الصينيّة تحت قيادة ماو تسى تونغ و القيادة البروليتارية فى الحزب ضد أتباع الطريق الرأسمالي آنذاك بقيادة ليوتشاوتشى و آخرين متحالفين معه . وكشف هذا النهوض الجماهيري للثورة الثقافية و ضرورته بصورة هائلة عن المبدأ المادي الجدلي الذى عرضه ماو فى " **فى التناقض** " فى صراعه ضد المادية الميكانيكيّة . **"عندما يعوق البناء الفوقي ، كالسياسة و الثقافة ، تطوّر القاعدة الإقتصاديّة ، فإنّ التجديدات السياسية و الثقافيّة تصبح العامل الرئيسي الحاسم ."**

إذا لم تحطّم هيمنة البرجوازية (أتباع الطريق الرأسمالية) على أجزاء كبيرة من البنية الفوقية - بما فى ذلك الثقافة والتربية و جزء كبير من الحزب و جهاز الدولة - لم يكن من الممكن الدفاع عن الأساس الإقتصادي الإشتراكي و تطويره . إذا لم يقع ذلك لتمكّن أتباع الطريق الرأسمالي من القيام بتغيير كلّي فى البنية الفوقية و تعويض دكتاتورية البروليتاريا بدكتاتورية البرجوازية و من ثمّة تحويل القاعدة الإقتصاديّة إلى قاعدة رأسماليّة و تعويض علاقات الإنتاج الإشتراكيّة بعلاقات

رأسماليّة فى المجتمع ككلّ و تركيز الرأسماليّة على الأصعدة كافة . وهذه هي السيرورة التى حصلت فى الإتّحاد السوفياتي بصعود خروتشوف و زمرته إلى السلطة و بتركيز خطّهم التحريفي فى المجتمع بأسره ، كما لخّص ذلك ماو .

و مثّلت الثورة الثقافية كذلك خطأً ثوريّا فى تطبيق مبدأ الخلاصة كنقيض للفلسفة الرجعيّة لمزج الإثنين فى واحد . مثّل " **إعتبار الصراع الطبقي العلاقة المفتاح** " نقيضا ل" **إضمحلال الصراع الطبقي** " و خلاصة الجماهير بقيادة الزعماء البروليتاريين فى الحزب و إلتهامها للقيادة البرجوازية داخل الحزب .

و لم يكن هذا سوى مرحلة فى السيرورة الطويلة الممتدّة بين الرأسمالية و الشيوعية و لم يكن ليحلّ التناقض الجوهري بين البروليتاريا و البرجوازية . تمّ تحطيم قيادة برجوازية و جرت الخلاصة بيد أنّ قيادات أخرى ستبرز كلبّ و كمركز قيادة برجوازية فى المجتمع طالما أنّ البرجوازية موجودة على طول المرحلة الإنتقالية . لذلك لم يقل ماو إن الصراع الطبقي سيستمرّ فحسب بل أيضا إنّ كلّ بضعة سنوات سيوجد صراع كبير ، و نزاع لتحديد من سيمسك السلطة . إضافة إلى هذا قال ماو إنّ ثورة ثقافية واحدة لن تحلّ مشكل منع إعادة تركيز الرأسمالية .

كان هذا مرّة أخرى تطبيقا خلاقا للمادية الجدليّة . و قد جرى التحقّق منه فى الممارسة العمليّة حيث ظهر أوّلا لين بياو و آخرون لتهديد البروليتاريا فى صراع من أجل السلطة ، باحثين عن قلب الثورة الإشتراكية عموما لغاية إعادة تركيز الرأسمالية . و هنا تكمن الأهمّية العميقة لنظريّة ماو العظيمة و الخطّ الأساسي لمواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا ، هذه النظريةّ المشعّة بنورها .

سيحتج البعض قائلين إذا أعيد تركيز الرأسمالية فى الصين فذلك يبيّن أنّ نظريّة ماو حول مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا و الثورة الثقافية التى حوّلت هذه النظريّة إلى قوّة مادية ضخمة على مستوى الجماهير كانت بالأساس خاطئة . ينمّ هذا النوع من التفكير عن التجريبيّة و النسبيّة فصحّة هذه النظريّة لا ترتهن بالنتائج المباشرة فى وضع معيّن . لقد تعمّقت و تحقّقت فى الممارسة و فى صراع مئات الملايين جماهير الشعب الصيني و سيزداد تحقّقها مستقبلا عبر النضال الثوري فى الصين و غيرها من البلدان . و من المفيد هنا التذكير بمقولة ماو :

" **فى الصراع الإجتماعي تتعرّض القوى الممثّلة للطبقة المتقدّمة أحيانا إلى هزائم لا لأنّ أفكارها غير صحيحة بل لأنّها فى ميزان القوى فى الصراع لا تملك القوّة التى لدى القوى الرجعيّة ، تتعرّض إلى هزيمة مؤقّتة و لكنّها ستنتصر طال الزمن أم قصر**". (124)

و يظلّ هذا حقيقة مطلقة .

حقيقة مطلقة أخرى هي أنّ ماوتسى تونغ قاد الجماهير الصينيّة فى مواصلة النضال الثوري فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا و مواصلة الثورة الثقافية من خلال عدّة أشكال من النضال ، إلى آخر رمق فى حياته . و جزء حيويّ من هذا الصراع كان مجدّدا النضال على الجبهة الفلسفيّة ، بالخصوص بين المادية الجدلية من جهة و الميتافيزيقا و المادية الميكانيكية من جهة أخرى .

و على سبيل المثال ، واحدة من النقاط التى وقع التركيز عليها ضمن حملة نقد لين بياو و كنفيشيوس خلال السنوات الأخيرة لحياة ماو كانت خوض النضال ضد " عقيدة الوسيلة " التى رفعها كنفيشيوس و أتباعه فى الصين عبر العصور . و مضمون هذه العقيدة جوهريا نفس مضمون النظريّة الرجعيّة ل" مزج الإثنين فى واحد " . وقد عارضت " المضي إلى الأطراف " و نادت بالوفاق بين الضدّين أكثر من حلّ التناقض بينهما عبر الصراع . حيويّة مطلقا كانت الهزيمة الإيديولوجية التى مُنيت بها هذه العقيدة عبر خوض الصراع الطبقي كعلاقة مفتاح ومعارضة "إضمحلال الصراع الطبقي" فى البلاد و الوفاق و الإستسلام إلى الأعداء الطبقيّين عالميّا .

الصراع غير المنتهى :

عموما خلال الفترة الأخيرة من حياته ، أعاد ماو التشديد بإستمرار على ضرورة الصراع . و جلب الإنتباه إلى أنّه " **دون صراع لا وجود للتقدّم** " و وضع بعمق سؤالا كانت الإجابة عنه بديهيّة " **هل يمكن لشعب يعدّ 800 مليون نسمة أن يدبّر أموره دون صراع ؟** " . و صرح متوجّها لأولئك الذين أنكروا أهمّية الثورة الثقافية وضرورتها و عارضوا الأهداف الحقيقية لأولئك الذين يدافعون عن " إضمحلال الصراع الطبقي " ضد مواصلة الثورة ، صرّح :

" **ما هو هدف الثورة الثقافية ؟ خوض الصراع الطبقي . قدّم ليوتشاوتشى نظريّة إضمحلال الصراع الطبقي لكنّه هو ذاته لم يكف عن خوض الصراع الطبقي . و كان يريد حماية زمرة خونته و أتباعه المحلّفين . . و أراد لين بياو الإطاحة بالبروليتاريا و حاول القيام بإنقلاب . هل إضمحلّ الصراع الطبقي ؟** "(125)

وهو يسجّل هذه الحقيقة العميقة -الحاجة إلى مواصلة الثورة - مبرزا أهمّيتها الكبرى والبعيدة المدى ، قال ماو تسى تونغ :

" **هل سنحتاج إلى ثورة بعد مائة سنة من الآن ؟ هل سيحتاج بعدُ إلى ثورة بعد ألف سنة من الآن ؟ ثمّة على الدوام حاجة إلى ثورة . فثمّة دائما قطاعات من الناس يشعرون أنّهم مضطهَدون ، الضبّاط الصغار و الطلبة و العمّال و الفلاحون و الجنود و لا يريدون أن يضطهِدهم البيروقراطيّون لهذا يريدون الثورة . ألن توجد بعد تناقضات بعد 10آلاف سنة من الآن ؟ ستوجد بعد .** "(126)

هنا من جديد ، يلفت ماو الإنتباه إلى أنّه حتى فى ظلّ الشيوعية ستوجد بعدُ تناقضات و صراعات لحلّ التناقضات و تحوّلات نوعيّة (قفزات و بهذا المعنى ثورة . و مثلما أعرب عن ذلك فى 1971 :

" **إنّنا نغنّى النشيد الأممى منذ خمسين عاما و قد وجد فى حزبنا أناس حاولوا عشر مرّات زرع الانشقاق ، فى رأيى هذا يمكن أن يتكرّر عشر مرّات ، عشرين ، ثلاثين مرّة أخرى . ألا تعتقدون ذلك ؟ أنا أعتقد ذلك على كل حالّ . ألن توجد صراعات حين ندرك الشيوعية ؟ أنا ببساطة لا أعتقد ذلك . إنّ الصراعات ستستمرّ حتى حينها ، لكن فقط بين الجديد و القديم و بين الصحيح و الخاطئ .** " (127)

لماذا ركّز ماو كلّ ذلك التركيز على هذا الموضوع وإعتبر أنّه حتّى بعد آلاف السنين سيظلّ التناقض والصراع موجودين؟ الهدف كان توجيه ضربة للخطّ القائل إنّ الصراع الطبقي ، الثورة يمكن و يجب أن تصل إلى نهاية . فبالنسبة للتحريفيّين فى قمّة الحزب و الدولة ، أتباع الطريق الرأسمالي بصورة خاصّة ، مضت الثورة بعيدا بما فيه الكفاية و جعلت منهم "أساقفا " و لا شئ يمكن أن يكون أهمّ من ذلك و التطوّر ليس فى حاجة و لا ينبغى أن يذهب أبعد من ذلك . و يرتبط هذا وثيق الإرتباط بالمسألة التى سلّط عليها ماو الضوء سنتين قبل وفاته :

" **لماذا تحدّث لينين عن ممارسة الدكتاتوريّة على البرجوازية ؟ من الجوهري توضيح هذه المسألة . فنقص فى الوضوح حول هذه المسألة سيقود إلى التحريفية . يجب أن تعرف هذا الأمّة بأسرها .** " (128) جوهريّا ما يرمى إليه ماو تسى تونغ هنا هو أنّ هدف دكتاتوريّة البروليتاريا هو بلوغ الإنتقال إلى الشيوعية و عبر دكتاتورية البروليتاريا ، يمكن للبروليتاريا أن تحكم و أن تخوض الصراع الطبقي ضد البرجوازية فى المرحلة الإشتراكية الإنتقالية لغاية التقّدم نحو الشيوعية . دون مواصلة الثورة و مواصلة خوض الصراع الطبقي ضد البرجوازية فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا ، لن تتمكّن البروليتاريا من الإستمرار فى الحكم و الإستمرار فى التقدّم صوب الشيوعية .

و على العكس ، إذا إعتبرت دكتاتورية البروليتاريا كافية فى حدّ ذاتها و إعتبر أنّ هدفها هو فقط ضمان النظام و تطوّر الإنتاج ، بالتالي ستتحوّل إلى نقيضها ، ستتحوّل إلى دكتاتورية البرجوازية (الجديدة). و يحدث هذا بفعل الطبيعة الإنتقالية و المتناقضة للإشتراكية و تواصل بقايا المجتمع الطبقي الإستغلالي عبر المرحلة الإنتقالية للإشتراكية ممّا يفرز بإستمرار برجوازية و قادة برجوازيين داخل الحزب كتعبير مركّز عن ذلك .

و يلتقى هذا مع الفهم الصحيح الذى صاغه ماركس فى رسالة منه لويدماير فى 1852 ، حيث لخّص ماركس بصورة مقتضبة مسألة دكتاتورية البروليتاريا :

" و فيما يخصّنى ليس لى لا فضل إكتشاف وجود الطبقات فى المجتمع المعاصر و لا فضل إكتشاف صراعها . فقد سبقنى بوقت طويل مؤرّخون برجوازيّون بسطوا التطوّر التاريخي لصراع الطبقات هذا ، و إقتصاديّون برجوازيّون بسطوا تركيب الطبقات الإقتصادي . و ما أعطيته من جديد يتلخّص فى إقامة البرهان على ما يأتى :

1- أنّ وجود الطبقات لا يقترن إلاّ بمراحل تاريخية معيّنة من تطوّر الإنتاج ،
2- أنّ النضال الطبقي يفضى بالضرورة إلى دكتاتورية البروليتاريا ،
3- أن ّهذه الدكتاتورية نفسها ليست غير الإنتقال إلى القضاء على كلّ الطبقات و إلى المجتمع الخالي من الطبقات..." (129)

و تكتسي جميع تلك النقاط الثلاث التى عرضها ماركس أهمّية كبرى غير أنّه عقب إرساء دكتاتورية البروليتاريا و فى ظروف ضرورة المحافظة عليها و الإعتراف بها (فى كلمات حتّى من قبل التحريفيين)، تكتسى النقطة الأخيرة أهمّية خاصة و تصبح مركز صراع حاد . سيعمل التحريفيّون من أجل إنكار هذه النقطة الأخيرة أو جوهرها و معناها لا سيما كما طوّرها ماو و تحديدا الحاجة إلى مواصلة الثورة لإنجاز الإنتقال إلى الشيوعية .

يتحدّث التحريفيّون طبعا عن الشيوعية و الحاجة إلى بلوغها و لكنّهم يعالجون المسألة ميتافيزيقيا و تبعا للمنهج المادي الميكانيكى أي يتناولوا مسألة تطوير قوى الإنتاج فحسب ولا يتناولون الإشتراكية فى حدّ ذاتها كتناقض يمكن أن يتحرّك فى إتّجاه أو آخر على المدى القصير رغم أنّ حلّه النهائي لا يكون إلاّ بالتقدّم صوب الشيوعية .

ولا يعترفون بأنّ الإشتراكية تمثّل صراعا بين الجديد أو المظاهر الصاعدة الشيوعية داخلها و القديم أو المظاهر المتداعية الرأسمالية الباقية فى المرحلة الإشتراكية . بإختصار يعزلون الإشتراكية عن الشيوعية : " الشيوعية مسألة مستقبليّة و طريقة الوصول إليها هي الإبقاء على النظام الصارم و القيام بأيّ شئ لدفع الإنتاج لكي يتطوّر الإقتصاد فى يوم ما إلى ما فيه الكفاية حينها يمكننا الحديث عن إدخال الشيوعية. " هذه هي النظرة التحريفية وبخاصة نظريتها " نظرية قوى الإنتاج " و" إضمحلال صراع الطبقات " ، هذه ميتافيزيقيّتها او ماديّتها الميكانيكيّة ، بالشكل الذى إتّخذته حيث تمّ تركيز الإشتراكية و حيث صارت ضرورة الإشتراكية جزءا من الوعي الشعبي .

<u>الإشتراكية كشئ مطلق تعنى إعادة تركيز الرأسمالية :</u>

فى الجزء الأوّل من هذا المقال بيّنّا كيف أنّ إنجلز حلّل الطريق التى تحوّلت بها الجدلية الهيجليّة إلى ميتافيزيقا . أعلن نظام هيجل الفلسفي ، فى تضارب مع طريقته الجدليّة ، نهاية الجدليّة فى تحقّق الفكرة المطلقة فى نظام هيجل الفلسفي فى حدّ ذاته. و سياسيّا عبّر عن ذلك فى فكرة أنّ الملكيّة الدستورية التى وعد بها " وليام غ. الثالث " لبروسيا كانت أعلى و آخر شكل من المجتمع . ملاحظا مثل هذه الظاهرة ، لخّص ماو تسى تونغ أنّ هنالك توجّه يتكرّر بالنسبة للشيوعيّين إلى تحويل الماركسيّة و النظام الإشتراكي إلى شيئين مطلقين ممّا يقود إلى التحريفيّة مثلما قال منذ بداية 1957:

" ... **كيف يمكن ان نعتبر ماركسية إدّعاء أنّ النظام الإشتراكي و كذلك علاقات الإنتاج و البنية الفوقيّة الإشتراكيّين لن يضمحلّوا ؟ أليس هذا دوغما مثاليّة ، دين يدّعى خلود الإله .** "(130)

سيتطرّق ماو إلى هذا الموضوع المرّة تلو المرّة طوال حياته الباقية ومن ذلك ما شدّد عليه فى " ملاحظاته النقدية " لكتاب الإقتصاد السياسي السوفياتي ، عند نقده لمفهوم " التعزيز النهائي" للإشتراكية :

" **للإقتصاد الإشتراكي سيرورة ولادة أو تطوّر خاصين . هل يعقل أنّه لن توجد سيرورة تغيّر أخرى ، فى المستقبل ؟ كيف يمكن أن نقول إنّ هذين الشكلين من الملكية [ملكية الدولة و الملكية الجماعية] سيتعززان نهائيا و على الدوام ؟ هل**

يمكن لأصناف المجتمع الإشتراكي مثل التوزيع حسب العمل والإنتاج السلعي و قانون القيمة إلخ أن تظلّ خالدة ؟ هل يعقل أنّها تولد و تتطوّر فحسب و انّها لا تموت و لا تتغيّر؟ هل يعقل أن لا تكون كافة هذه الأصناف أصنافا تاريخيّة كغيرها من الصيغ ؟ إنّ المرور من الإشتراكية إلى الشيوعيّة حتميّ . و من الطبيعي أن تموت خلال هذه السيرورة بعض الأشياء التى وجدت أثناء المرحلة الإشتراكية . " (131)

التحريفيون بالضبط هم الذين جعلوا من هذه الأصناف الإشتراكية و من الإشتراكية ذاتها شيئا مطلقا . لقد عارضوا الفهم المادي الجدلي القائل بأنّه لكي تموت هذه الأشياء يجب أن يجري صراع و أنّه يجب تحديد العناصر الرأسماليّة فى هذه الأشياء فى كلّ لحظة إلى الحدّ الممكن تبعا للظروف المادية و الإيديولوجيّة . و لا يمكن أن توسّع و أن تبنى ثمّ فى يوم ما دون أيّ شئ تموت فجأة . التفكير بهذه الطريقة هو تفكير فلسفة "مدرسة ديبورين " الملخّصة أعلاه أنّ التناقض يظهر فقط فى مرحلة معيّنة و أنّ الصراع ليس ضروريّا لحلّ الخلافات .

باتت هذه القضايا محور صراع حاد فى أواخر سنوات حياة ماو ، لمّا دعى إلى تحديد أشياء مثل التوزيع حسب العمل و الإختلاف بين العمل الفكري و العمل اليدوي و نطاق عمل قانون القيمة إلى آخره وهي أشياء عادة ما توصف بعبارة " الحق البرجوازي " . رغب التحريفيّون بدل ذلك فى توسيع هذه الأشياء و قاموا بنشاط بمحاولات منع تحديدها . فقال ماو إنّ مثل هؤلاء الناس ليسوا شيوعيّين حقيقيّين بل أتباع الطريق الرأسمالي .

إنّ التوجّه إلى رؤية الإشتراكية كشئ مطلق ستاتيكي / سكوني يمكن أن يوجد لدى ستالين و يتوافق مع النزعة نحو الميتافيزيقا فى معالجة الفلسفة الماركسيّة . لكن هذا التوجّه صار ميزة رئيسية و جوهريّة للتحريفيّين فى الصين و فى الإتّحاد السوفياتي ذاته (و بلدان أخرى) . لا يمثّل مثل هؤلاء ، بصرف النظر عن نواياهم الحسنة أو الخبيثة و بصرف النظر عن إدّعاءاتهم الدفاع عن الإشتراكية و حتى إمكانيّة تحقيق الشيوعية ،لا يمثّلون البروليتاريا بل البرجوازية فى المجتمع الإشتراكي و لا يقفون إلى جانب التطوير الفعلي للإشتراكية كمرحلة إنتقالية (إلى الشيوعيّة) بل إلى جانب إعادة تركيز الرأسمالية . يجسّد مثل هؤلاء البرجوازية داخل الحزب ، لبّ قيادة القوى الرجعيّة فى المجتمع الإشتراكي .

و تخضع هذه السيرورة ذاتها بالطبع لقوانين الجدليّة فهناك تناقض داخل كلّ الشيوعيّين بين إيديولوجيا البروليتاريا من جهة و إيديولوجيا البرجوازية من جهة أخرى و فى ظروف معيّنة يمكن لهذين المظهرين أيضا أن يتحوّل كلّ إلى نقيضه . يمكن أن يتحوّل الشيوعيّون إلى نقيضهم . و الثوريّون فى مرحلة معيّنة و فى ظروف معيّنة يمكن أن يصبحوا معادين للثورة فى مرحلة أخرى و فى ظروف مغايرة .

فى تاريخ الثورة الصينية ، أمر ذو دلالة كبيرة هو كون بعض الثوريّين خلال مرحلة الديمقراطيّة الجديدة تحوّلوا إلى معادين للثورة فى المرحلة الإشتراكية خاصة مع تعمّق الثورة الإشتراكية . لمّا كان برنامج الثورة الديمقراطية الجديدة (يعنى ثورة برجوازية ديمقراطية من نوع جديد) ، كانت لدى هؤلاء نزعة نحو مماثلة نوع الثورة بإيديولوجيا الحزب الشيوعي رغم معارضة ماو و آخرين لكن بتقدّم الثورة و فى المرحلة الإشتراكية غدت الحاجة إلى القطع الراديكالي مع الإيديولوجيا البرجوازية ملحّا أكثر . و بطبيعة الحال ، قامت غالبيّة عناصر الحزب الشيوعي بعمليّة القطع هذه بيد ان البعض لم يقوموا بذلك . فإنتقلوا من مساهمين فى الثورة و حتى قادة لها إلى معارضين لها و تحوّلوا من برجوازيين ديمقراطيّين إلى أتباع للطريق الرأسمالي . و بوجه خاص بالنسبة للذين وجدوا فى مواقع قياديّة كان هذا التناقض الإيديولوجي مرتبطا بأنّهم كانوا يمسكون بمواقع سلطة كبيرة فى المجتمع بعد إفتكاك السلطة السياسية .

فى خضم مواصلة الصراع ، فى السنة الأخيرة من حياته ، نبّه ماو إلى هذه الظاهرة و لخّصها كالتالي :

" بعد الثورة الديمقراطية لم يقف العمّال و الفلاّحون الصغار و المتوسّطون مكتوفي الأيدى . كانوا يرغبون فى الثورة . و من جهة أخرى ، لم يرغب عدد من عناصر الحزب فى مواصلة الثورة ، بعضهم تراجع و عارض الثورة . لماذا ؟ لأنّهم صاروا موظّفين سامين و حاولوا المحافظة على مصالح الموظّفين السامين ". (132)

ما يرمى إليه ماو تسى تونغ ليس أنّ جميع الموظّفين السامين سيصبحون حتميّا تحريفيّين ، و لو أنّ البعض سيفعل ذلك فى كلّ مرحلة من مراحل الثورة ، لكن إلى أنّه إذا لم يواصلوا القيام بالثورة ضد البرجوازية ، إذا لم يواصلوا المساهمة فى الصراع للتقدّم نحو الشيوعيّة ، فإنّهم يتحوّلون إلى برجوازيين هم ذاتهم ، فى تفكيرهم و وجودهم و يحاولون إعادة تركيز الرأسمالية . و مثلما أنف شرحه ، ثمّة أساس مادي و إيديولوجي لهذا على طول المرحلة الإشتراكية .

و يعدّ تحوّل البرجوازيين الديمقراطيين إلى معادين للثورة ، إلى أتباع الطريق الرأسمالي و بصورة خاصة فى الثورة الصينية ، بديهيّا مظهرا من مظاهر الثوريّين الذين يتحوّلون إلى معادين للثورة ومن أعضاء الحزب الشيوعي و بخاصة القيادات العليا الذين يتحوّلون إلى أتباع الرأسمالية . و بشكل أعمّ لا ينبغى النظر إلى مبدأ إفتكاك السلطة السياسيّة و ممارستها كغاية فى حدّ ذاته وإنّما كضرورة لمواصلة القيام بالثورة . إنّ الذين يتبنّون نظرة أنّ الإشتراكية مطلقة و غاية فى حدّ ذاتها يدافعون عن أنّ هدف الإشتراكية هو السماح لهم ب " التمتّع بالحياة الهنيئة " أو على الأقلّ " الإستقرار" و المحافظة على الأكاليل [أكاليل النصر] و سيمسون محافظين و يخافون تقدّم الثورة و حتى سيعارضونها . و بالنسبة لقادة الحزب الشيوعي فسيتحوّلون إلى جزء من البرجوازية فى الحزب و يحاولون إستغلال موقعهم القيادي لا لقيادة الجماهير فى الصراع من أجل الشيوعية و إنّما لتعزيز إستغلال الجماهير و القيام بإعادة تركيز الرأسماليّة و يتحوّلون هم ذاتهم إلى البرجوازيين الحاكمين .

وإهتمّ ماو تسى تونغ بهذه القضيّة و هذا الخطر بالخصوص فى السنوات القليلة الأخيرة من حياته وإستند تحليله لها على المنطق المادي الجدلي . لكن بعض الناس عارضوا أن تكون " البرجوازية موجودة بالضبط داخل الحزب الشيوعي " بتعلّة أنّ الجماهير لن تتّبع الحزب لأنّه سيكون كالقول بأنّ الحزب ليس طليعة البروليتاريا بل حزبا برجوازيّا . هذا من جديد ميتافيزيقا .

كما شرح ماو فى " **فى التناقض** " ، تتحدّد طبيعة الشئ ، طبيعة التناقض بالمظهر الرئيسي . وجود البرجوازية - لا كلّها بل مركزها - فى صفوف الحزب الشيوعي فى المجتمع الإشتراكي ، لا يغيّر فى حدّ ذاته من طبيعة الحزب من بروليتاري إلى برجوازي و لا من طبيعة المجتمع ، من مجتمع إشتراكي إلى مجتمع رأسمالي . فقط إذا أصبحت البرجوازية فى الحزب فى موقع مهيمِن و أصبح الخطّ التحريفي يتحكّم فى كلّ شئ ، حينها فقط يتحوّل الحزب من حزب بروليتاري إلى حزب برجوازي و إذا ما حدث هذا التحوّل فإنّ البرجوازية تحوّل المجتمع الإشتراكي إلى مجتمع رأسمالي .

و مجدّدا خطّ ماو هنا خطّا ماديّا جدليّا . لو لم توجد البرجوازية داخل الحزب حتّى حين يكون مظهره الرئيسي ، و من ثمّة طبيعته ، بروليتاري فإذن كيف يمكن أن يتحوّل الحزب من حزب بروليتاري إلى حزب برجوازي ؟ يعزى ذلك إلى تماثل الأضداد و صراعها ففى ظروف معيّنة يمكن أن يتحوّل المظهر إلى الآخر . التناقض بين ممثّلي البروليتاريا و ممثّلي البرجوازية قائم على إمتداد حياة الحزب حتّى عندما لا تكون البروليتاريا و حزبها فى السلطة . إلاّ أنّه مع إفتكاك السلطة و مشركة الملكية ، تتغيّر طبيعة التناقض تبعا لذلك إذ يتطوّر الأساس بالنسبة للقادة فى الحزب ليغدو التناقض بين القادة و المقودين تناقضا بين مستغِلّين و مستغَلّين وبمستطاع العناصر البرجوازية أن تصير مستغِلّة فعلا حتّى و إن لم تكن تتحكّم فى الحزب و السلطة فى المجتمع برمّته . ألا يُعدّ إنكار هذا الواقع برمّته و العمل كما لو أنّ البرجوازية تظهر فجأة داخل الحزب فتغتصب السلطة العليا تكريسا لمفاهيم مدرسة ديبورين ؟ أليس ميتافيزيقا و مثاليّة فى تناقض مع خطّ ماو المادي الجدلي ؟

لأنّ البرجوازية تفرز بإستمرار فى ظلّ الإشتراكيّة و لأنّ العناصر البرجوازية الإستغلاليّة تظهر بإستمرار فى صفوف الحزب كنواة البرجوازية و قادة القوى الإجتماعيّة الرجعيّة فى المجتمع الإشتراكي ، لخّص ماو الصراع الطبقيّ ضد البرجوازية بإعتباره العلاقة المفتاح و يجب خوضه تماما طوال المرحلة الإشتراكية و هدفه الجوهري هو أولئك فى السلطة أتباع الطريق الرأسمالي ، البرجوازية فى الحزب . و لأنّ بعد عدّة سنوات سيقوم القادة البرجوازيّون بمحاولة شاملة لإغتصاب السلطة ، ينبغى أن يجري صراع كبير كلّ بضعة سنوات . و مثلما أعرب عن ذلك ماو فى 1966 ، مع بداية الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى :

" الفوضى الكبرى على الأرض تُفضى إلى نظام كبير . و هكذا مرّة أخرى كلّ سبع أو ثمان سنوات ، سيظهر وحوش و شياطين محدّدين بطبيعتهم ذاتها ، سيظهرون . " (133)

تناقض ، صراع ، ثورة

هذا ما يعكس مجدّدا ما هو ذو أهمّية أكبر و ليس فقط تعليل أنّ الصراعات الكبرى ستتكرّر كلّ بضعة سنوات بل الموقف المادي الجدلي ، النظرة و المنهج اللّذان خوّلا بناء هذا الموقف . النظام ، حتى " النظام الكبير " لا يمكن أن يكون مطلقا و إنّما يكون فحسب مؤقتا ، مشروطا ، نسبيّا . و التناقض و الصراع و الثورة شامل و غير مشروط و مطلق .

بعيدا عن أن تكون مثاليّة ، نظرة ماو الجدليّة ماديّة تماما. و كما قال هو نفسه " **الماديّون الصرحاء لا يخافون** ".
الشيوعيّة حتميّة ، أكّد ماو ، إلاّ أنّه للتقدّم نحوها ، و لمواصلة التقدّم حتّى بلوغها ، الصراع دائم الضرورة . الظهور المستمر للتناقضات و معالجتها عبر الصراع ، هذا هو النظام ، السيرورة و الحركة التصاعديّة أبدا لجميع الأشياء . فى أثناء أيّة سيرورة ، بما فى ذلك بالتأكيد زلزال من قبيل التقدّم نحو الشيوعيّة ، ستوجد عوائق و تراجعات لكنّها تكون مؤقتة حيث سيعوّض الجديد القديم و سيعوّض التقدّمي الرجعي وهذا قانون لا يقاوم .

و مثلما صرّح بذلك ماو وهو يطبّق القانون على الصراع الطبقي ، فى أوج الإنتصار الشامل للثورة الديمقراطية الجديدة و تحرير الصين :

" ما أشدّ إختلاف منطق الإمبرياليّين عن منطق الشعب . إثارة إضطرابات ففشل ، فإثارة جديدة ففشل جديد ، و هكذا حتى الهلاك ، ذلك هو المنطق الذى يتصرّف بموجبه الإمبرياليّون و جميع الرجعيّين فى العالم إزاء قضيّة الشعوب ، و هم لن يخالفوا هذا المنطق أبدا . إنّ هذا قانون ماركسيّ . و نحن حين نقول إنّ " الإمبرياليّة شرسة جدّا " ، إنّما نعنى أنّ طبيعتها لن تتغيّر أبدا، و أنّ الإمبرياليّين لن يُلقوا أبدا سكّين الجزّار التى يحملونها ، و لن يصيروا بوذا إلى يوم هلاكهم . و نضال ففشل ، فنضال جديد ففشل جديد ، فنضال جديد أيضا ، وهكذا حتّى النصر ، ذلك هو منطق الشعب ، و هو أيضا لن يخالف هذا المنطق أبدا . و هذا قانون ماركسيّ آخر . لقد إتّبعت ثورة الشعب الروسي هذا القانون ، كما تتّبعه ثورة الشّعب الصينيّ أيضا ." (134)

هذه هي المساهمة الحقيقية الخالدة لماوتسى تونغ فى الفلسفة الماركسيّة و عامّة فى الصراع الثوريّ على هذه الجبهة و فى علم تحرير البروليتاريا و مهمّتها التاريخية . / .

الهوامش :

1/ الصراع الحالي حول مسألة تماثل الفكر و الوجود ، ضمن " **ثلاثة صراعات كبرى على الجبهة الفلسفيّة الصينيّة** ".
2/ ماو تسى تونغ " **خطاب حول المسائل الفلسفيّة** " فى " **ماو يتحّدث إلى الشعب** " ، ستوارد شرام ، ص202 ، الطبعة الفرنسية .
3/ المصدر نفسه ، ص204 .
4/ إنجلز " **فيورباخ و نهاية الفلسفة الكلاسيكيّة الألمانيّة** " ، فصل " **من هيجل إلى فيورباخ** ".
5/ م ن (المصدر نفسه).
6/ م ن.
7/ م ن.
8/ م ن.
9/ م ن ، فصل " **فلسفة الدين و فلسفة الأخلاق عند فيورباخ** ".
10/ م ن.

11/ م ن.
12/ م ن.
13/ توطئة " **فيورباخ و نهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانيّة** ".
14/ ماركس ، " **أطروحات حول فيورباخ** " .
15/ م ن.
16/ م ن.
17/ م ن.
18/ إنجلز ، " **فيورباخ ...** " ، فصل " **المثالية و المادية** " .
19/ ماركس ، " **أطروحات حول فيورباخ** " .
20/ م ن.
21/ ماركس و إنجلز ، " **معارضة فيورباخ للنظرة المادية بالمثالية** " ، الأعمال المختارة م 1 .
22/ ماركس ،" **أطروحات حول فيورباخ** " .
23/ م ن .
24/ ماركس ، " **بؤس الفلسفة** " بالأنجليزية .
25/ لينين ، " **مذهب النقد التجريبي و المادية التاريخية** " ، مختارات فى 10 أجزاء ، م 4 ، [دار التقدّم بالعربيّة ، ص425].
26/ إنجلز ، " **فيورباخ...** ".
27/ م ن .
28/ إنجلز ، " **الإشتراكية الطوباويّة و الإشتراكيّة العلميّة** " ، ص63 طبعة دار التقدّم بالعربيّة ، مكتبة الإشتراكيّة العلميّة .
29/ أنظر، " **ضد البراغماتية** " ، مجلّة " **الشيوعي** " عدد 2 ، م 2 .[مجلّة الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية]
30/ لينين ، " **المادية و مذهب النقد التجريبي** " ، ص20 بالأنجليزية .
31/ م ن ، ص20 .
32/ م ن ، ص 29 .
33/ م ن ، ص30-41 .
34/ م ن ، ص 335 .
35/ م ن ، ص 260-261.
36/ م ن ، ص336-337 .
37/ م ن ، ص 336 .
38/ م ن ، ص335 .
39/ لينين ، " **الماركسية و التحريفية** " .
40/ لينين ، " **حول مسألة الديالكتيك** " .
41/ / م ن.
42/ م ن .
43/ م ن .
44/ م ن .
45/ ماو تسى تونغ ، " **فى التناقض** "، م 1 من المؤلفات المختارة باللغة العربية ، ص 479 ، دار النشر باللّغات الأجنبيّة ، بكين .
46/ " **نقد الإقتصاد السياسي** " ، ضمن " **ماوتسى تونغ و بناء الإشتراكية** "(ص 177) نشر سوى 1975 ، بالفرنسية .
47/ " **تاريخ الحزب الشيوعي السوفياتي (البلشفي)** " ، عن لينين فى " **حول مسألة الديالكتيك** " .
48/ لينين ، " **حول مسألة الديالكتيك** " .
49/ لينين ، " **كتاب هيجل علم المنطق** " بالأنجليزية ، الأعمال الكاملة ، المجلّد 38 ، ص233.
50/ م ن . ص 359-360 .
51/ " **تاريخ الحزب الشيوعي السوفياتي (البلشفي)** " بالأنجليزية ، ص 110 .

52/ م ن. ص 110.
53/ م ن .ص 111.
54 / ماو تسي تونغ ، م5، ص397 بالأنجليزية .
55/ ماو تسي تونغ " **حول الممارسة العملية** " ، م1، ص 431 – الطبعة العربية.
56/ م ن ، ص435 .
57/ م ن ، ص435 .
58/ م ن ، ص435 .
59/ م ن ، ص435 .
60/ م ن ، ص436 .
61/ لينين " **كتاب هيجل علم المنطق** " (أيضا ذكره ماو في " **حول الممارسة العملية** " م 1، ص437 - بالعربية) .
62/ م ن ، ص 437 .
63/ م ن ، ص437 .
64/ م ن ، ص445 .
65/ م ن ، ص449 .
66/ م ن ، ص 451 .
67/ لينين " **المادية و مذهب النقد التجريبي** " أعمال مختارة ، م 4 ، ص165 ، دار التقدّم ،الطبعة العربية .
68/ م ن ، ص 168 .
69/ ماو تسي تونغ " **حول الممارسة العملية** " ، م 1 ، ص449 – الطبعة العربية .
70/ م ن ، ص449 .
71/ م ن .
72/ ماو تسي تونغ " **في التناقض** " ، م1 ، ص 453 – الطبعة العربية .
73/ م ن ، ص500 .
74/ م ن ، ص459 .
75/ م ن ، ص460 .
76/ م ن ، ص461 .
77/ م ن ، ص463 .
78/ م ن ، ص491 .
79/ م ن ، ص496-497 .
80/ م ن ، ص465 .
81/ م ن ، ص466 .
82/ م ن ، ص497 .
83/ م ن ، ص498 .
84/ م ن ، ص468-469 .
85/ م ن ، ص466 .
86/ م ن ، ص466 .
87/ م ن ، ص466 .
88/ م ن ، ص 460 .
89/ م ن ، ص480-482-483 .
90/ م ن ، ص483 .
91/ م ن ، ص483 .
92/ م ن ، ص484 .
93/ م ن ، ص487-488 .
94/ " **محادثات مع ماو يوان- هسين** "، ستوارد سشرام " **ماو يتحدث إلى الشعب** " ، ص229 ، طبعة فرنسية / منشورات الصحافة الجامعية الفرنسية ،1977.

95/ ماو " **خطاب فى ندوة تشاغتو** "مارس 1958 ، شرام ، " **ماو يتحدث إلى الشعب** " ، ص 101.
96/ ماو تسى تونغ ، م 5 ، ص398-399 ، الطبعة الفرنسية .
97/ م ن ، ص409 .
98/ م ن ، ص544.
99/ م ن ، " **خطابات فى ندوة الكتاب العامين** " ، م 5 - بالفرنسية .
100/ م ن ، ص426 .
101/ م ن ، ص426 .
102/ م ن ، ص426 .
103/ م ن ، ص444.
104/ ماو ، م1 ، ص500.
105/ " **ثلاثة صراعات كبرى على الجبهة الفلسفية فى الصين** " بالأنجليزية .
106/ م ن ، ص 45 .
107/ م ن ، ص 39 .
108/ ماو ، " **من أين تأتى الأفكار الصحيحة ؟** " بالأنجليزية.
109 م ن .
110/ ماو ، م1 ، ص 487 – الطبعة العربية .
111/ " **ثلاثة صراعات على الجبهة الفلسفية فى الصين** ".
112/ م ن .
113/ م ن .
114/ م ن .
115/ " **نقد الإقتصاد السوفياتي** " ضمن " **ماوتسى تونغ و بناء الإشتراكية** "، ص108، الطبعة الفرنسية . سوي باريس، 1975 .
116/ ماو " **خطابات حول الفلسفة** " شرام ،" **ماو يتحدّث إلى الشعب** " ، ص 212 .
117/ م ن ، ص214 .
118/ م ن ، ص214 .
119/ م ن ، ص214 .
120/ م ن ، ص214 .
121/ م ن ، ص214 .
122/ م ن ، ص215 .
123/ م ن ، ص215 .
124/ ماو ، " **من أين تأتى الأفكار الصحيحة ؟** " بالأنجليزية .
125/ ماو ، " **يومية الشعب** " 6 أفريل 1976 ، نشر بيكين عدد 15 بداية 1975- بالأنجليزية .
126/ ماو ، " **نشرة بيكين** " عدد 21 ماي 1976 ، ص 9 – بالأنجليزية .
127/ ماو تسى تونغ ، إستشهاد من " **حول القاعدة الإجتماعية للين بياو المعادية للحزب** " ، بيكين 1975 .
128/ " **و خامسهم ماو** " ، ص 196 و 209 .[لريموند لوتا] .
129/ ماركس ، ذكره لينين فى " **الدولة و الثورة** "، ص 35 ، دار التقدم ، موسكو .
130/ ماو ، م5 ، ص 409 .
131/ ماو " **نقد الإقتصاد السوفياتي** " ضمن " **ماو تسى تونغ و البناء الإشتراكي**" ص 90- 91، سوي ، باريس 1975 .
132/ ماو من " **وخامسهم ماو** " ، ص 371 .
133/ م ن .
134/ ماو ، م4 ، ص 544 – الطبعة العربية.
==
==
==

(3)

مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا

الفصل السادس من كتاب " مساهمات ماوتسى تونغ الخالدة " لبوب أفاكيان .
نشرت الفصول بداية كمقالات فى مجلة " الثورة " بين أفريل 1978 و جانفي 1979 .

مقدّمة :

فى مقتطف شهير للينين حول دكتاتورية البروليتاريا ، شّدد على أنّ " **الأمر الرئيسي فى تعاليم ماركس هو النضال الطبقي. هذا ما يقال و ما يكتب بكثرة كثيرة . بيد أن هذا غير صحيح . و عن عدم الصحة هذا تنتج ، الواحد بعد الآخر ، التشويهات الإنتهازية للماركسية و ينتج تزويرها بحيث تصبح مقبولة للبرجوازية ... و من لا يعترف بغير نضال الطبقات ليس بماركسي بعد ، و قد يظهر أنه لم يخرج بعد عن نطاق التفكير البرجوازي و السياسة البرجوازية ... ليس بماركسي غير الذى يعمّم إعترافه بالنضال الطبقي على الإعتراف بديكتاتورية البروليتاريا . و هذا ما يميّز بصورة جوهرية الماركسي عن البرجوازي الصغير (وحتى الكبير) العادي** ." (1)

و اليوم لا أقل من زمن لينين ، يمثّل الموقف الصحيح تجاه دكتاتورية البروليتاريا أعمق إختلاف بين الفهم الماركسي و الفهم غير الماركسي و مرشد للعمل فى علاقة بالمجتمع و التاريخ . بخاصة ، يحدّد الإختلاف السياسي الأعمق بين الماركسية و التحريفية . و بالضبط فى هذا المجال العام جدا قام ماو تسى تونغ بأكثر مساهماته الخالدة و الأكثر أهمية فى الماركسية – اللينينية و القضية الثورية للبروليتاريا العالمية .

لقد عمّق ماو التحليل الماركسي – اللينيني لما هي دكتاتورية البروليتاريا ، عمّقها بطريقة مطلقة الضرورة بتبيان كيف يتواصل صراع الطبقات فى ظل الإشتراكية و كيف يجب على الطبقة العاملة أن تخوض الصراع فى ظل هذه الظروف الجديدة ، كيف تواصل الثورة فى ظل دكتاتورية البروليتاريا .

و مثلما زمن كتابة مقتطف لينين أعلاه ، المهمّة المفتاح بالنسبة للماركسيين كانت الدفاع عن دكتاتورية البروليتاريا ، اليوم المهمّة الحيوية بالنسبة للماركسيين – اللينينيين هي إستيعاب الفهم المعمّق لمواصلة الثورة فى ظل دكتاتورية البروليتاريا و الدفاع عنه لأنّه أعظم مساهمة من مساهمات ماو تسى تونغ .

نظرية دكتاتورية البروليتاريا :

طبعا ، المفهوم الأساسي لدكتاتورية البروليتاريا لم يأت لا مع ماو و لا مع لينين بل كان جزءا من الماركسية منذ البداية . ماركس ذاته هو الذى طرح بعمق هذه المسألة فى رسالة ، بالأحرى منذ بداية تطوّره كماركسي :

" وفيما يخصنى ليس لى لا فضل إكتشاف وجود الطبقات فى المجتمع المعاصر و لا فضل إكتشاف صراعها . فقد سبقنى بوقت طويل مؤرخون برجوازيون بسطوا التطور التاريخي لصراع الطبقات هذا ، و إقتصاديون برجوازيون بسطوا تركيب الطبقات الإقتصادي . و ما أعطيته من جديد يتلخص فى إقامة البرهان على ما يأتى :
1- إن وجود الطبقات لا يقترن إلا بمراحل تاريخية معينة من تطوّر الإنتاج ،
2- إن النضال الطبقي يفضى بالضرورة إلى دكتاتورية البروليتاريا ،
3- إن هذه الديكتاتورية نفسها ليست غير الإنتقال إلى القضاء على كل الطبقات و إلى المجتمع الخالي من الطبقات ..."
.(2)

تجدر الإشارة إلى أن هذا قد كتب قبل أن يقوم ماركس بعمله العظيم و الممنهج فى الإقتصاد السياسي ، و أن ما يتحدث عنه هنا هو مساهمته فى إكتشاف القوانين العامة للتطوّر التاريخي للمجتمع الإنساني و ليس مساهماته فى حقل الإقتصاد السياسي . و فى خصوص هذا الحقل من قوانين التطوّر التاريخي للمجتمعات يؤكد عليه ماركس فى المقتطف أعلاه هو

مبدأ أساسي صيغ أولا وركّزعليه بإستمرار ماركس و إنجلز و من ذلك ما نجده فى ختام الفصل الثاني من **" بيان الحزب الشيوعي " :**

"... السلطة السياسية بالمعنى الصحيح هي السلطة المنظمة لطبقة من أجل إضطهاد طبقة أخرى . فإذا كانت البروليتاريا، فى نضالها ضد البرجوازية ، تبنى نفسها حتما فى طبقة ، و إذا كانت تجعل نفسها بواسطة الثورة طبقة حاكمة ، ثم بصفتها طبقة حاكمة ، تهدم بالعنف و الشدّة علاقات الإنتاج القديمة ، تهدم فى الوقت نفسه ظروف وجود التناقض و التناحر بين الطبقات و تهدم الطبقات بصورة عامة ، و بذلك تهدم أيضا سيادتها ذاتها من حيث هي طبقة ." (3)

ما يؤكد عليه ماركس و إنجلز هو أن دكتاتورية البروليتاريا هي **وسيلة** و ليست غاية فى حدّ ذاتها ، وسيلة الإنتقال إلى الشيوعية ، المجتمع الخالي من الطبقات . و هذا لا يقّلل فى شئ من ضرورة سلطة البروليتاريا . و مع ذلك يشدّدان على أنّها ضروريّة تماما لتحقيق الهدف الرئيسي للثورة البروليتارية أي القضاء على **كلّ** الإختلافات الطبقية . و أكّد على ذلك ماركس فى مقتطف شهير :

" هذه الإشتراكية هي إعلان تواصل الثورة ، الدكتاتورية الطبقية للبروليتاريا كنقطة إنتقال ضرورية نحو القضاء على كلّ الإختلافات الطبقية ، نحو القضاء على كل علاقات الإنتاج التى تقوم عليها ، نحو القضاء على كل العلاقات الإجتماعية التى تتناسب مع علاقات الإنتاج هذه ، نحو تثوير كل الأفكار التى تفرزها هذه العلاقات الإجتماعية " (4)

و الدفاع عن دكتاتورية البروليتاريا مسألة حيوية و حجر الزاوية فى الماركسية ذلك أنه دون تركيز هذه الدكتاتورية و ممارستها ، من المستحيل بالنسبة للبروليتاريا أن تحقق مهمّتها التاريخية ، الشيوعية **." نريد تحطيم الطبقات "** قال إنجلز **" ما هي وسيلة تحقيق ذلك ؟ الوسيلة الوحيدة هي الهيمنة السياسية للبروليتاريا "** (5) .

<u>كمونة باريس :</u>

لكن رغم أن الإعتراف بدكتاتورية البروليتاريا جزءا لا يتجزأ من الماركسية من البداية فهذا لا يعنى أن هذا المبدأ أكثر من أي جزء آخر من الماركسية ، يمكن أن يتطوّر كلّيا مرّة واحدة و بصرف النظر عن الصراع الطبقي الضاري بين البروليتاريا و البرجوازية . بداية ، فى 1850 ، كان ماركس يقرّ فقط بضرورة السلطة الطبقية (دكتاتورية) البروليتاريا ، دون محاولة التنبئ بأي شكل بالضبط ستتّخذه . و حتى هذا الإقرار الأولي كان نتيجة تلخيص الصراع الطبقي . كما أشار لينين :

" لقد إستخلص ماركس من كامل تاريخ الإشتراكية و النضال السياسي أنّه لا بد للدولة أن تزول و أن الشكل الإنتقالي لزوالها (الإنتقال من الدولة إلى اللادولة) سيكون " البروليتاريا المنظمة فى طبقة سائدة " . و لكن ماركس لم يأخذ على عاتقه إكتشاف الأشكال السياسية لهذا المستقبل . لقد إقتصر على تتبع التاريخ الفرنسي بصورة دقيقة ، على تحليله و على إستخلاص الإستنتاج الذى قادت إليه سنة 1851 : تقترب الأمور من تحطيم آلة الدولة البرجوازية . " (6)

و مع تقدّم الممارسة الثورية الحالية للطبقة العاملة ، كان ممكنا و ضروريا بالنسبة للفهم النظري الماركسي أن يتقدّم أيضا . و تقدّم الصراع الثوري للبروليتاريا محدثا قفزة نوعية فى 1871 مع أول إفتكاك للسلطة من قبل الطبقة العاملة ، كمونة باريس .

ولدت كمونة باريس فى أواخر الحرب الفرنسية البروسية ، حين إستسلمت البرجوازية الفرنسية لبروسيا .غير أن عمال باريس المسلّحين بعدُ لخوض الحرب إنتفضوا و إفتكّوا السلطة فى باريس مكرّسين الدفاع عن المدينة ضد كلّ من الغزاة البروسيين و البرجوازية الفرنسية التى فرّت إلى فرساي و أقامت حكومة رجعيّة و عملت على التعاون مع الجيش البروسي فى مهاجمة باريس . و مثلما أعلنت اللجنة المركزية للحرس الوطني للعمّال ، فى بيانها فى 18 مارس 1871:

" إن بروليتاريى باريس أدركوا ، إذ رأوا تهافت الطبقات السائدة و خيانتها ، أنه قد أزفت الساعة التى يترتب عليهم فيها أن ينقذوا الوضع بأن يأخذوا بأيديهم إدارة الشؤون العامة ... لقد أدركوا أن هذا الواجب الآمر ملقى على عاتقهم و أن من حقهم الأكيد أن يجعلوا أنفسهم سادة لمصائرهم الخاصة و يأخذوا السلطة الحكومية فى أيديهم " .(7)

و إعتقد ماركس أن الكمونة لن تنجح فى إفتكاك السلطة . قبل سنة ، أشار إلى أن الظروف لم تكن مناسبة لإنتفاضة العمال الفرنسيين ، و قد فكر بعد إفتكاك السلطة ان البروليتاريا ستهزم بعد فترة . لكن حين وقف العمّال و" هبّوا لمهاجمة السماء!" (حسب تعبيرماركس) ، قدّم لهم المساندة الكلية و المطلقة ، محرّكا الجمعية العالمية للعمال ، و صرّح قائلا عن الحكومة : **" أية مرونة ، أية مبادرة تاريخية ، أية مقدرة على التضحية ،عند هؤلاء الباريسيين ! ...إن التاريخ لم يعرف حتى الآن مثالا على بطولة كهذه "**. (8)

و فى الوقت الذى كان يساندها فيه كأمجد نقطة بلغتها الطبقة العاملة فى صراعها الثوري ، قام ماركس أيضا و بصرامة بدراسة الكمونة لغاية إستيعاب دروسها التاريخية الكبرى ، لا سيما في ما يتّصل بالشكل الذى ستتّخذه سلطة البروليتاريا . و مثلما عبّر عن ذلك لينين :

" و عندما إندلعت حركة البروليتاريا الثورية الجماهيرية أخذ ماركس ، رغم إخفاق هذه الحركة ، رغم قصرها ، رغم ضعفها البيّن ، فى دراسة ما إكتشفته من أشكال " . (9)

و كانت تلك الأشكال عديدة ، غنية و حيويّة . تشكّلت الكمونة ذاتها ، حسب إشارة ماركس ، بالخصوص من العمال أو ممثلين للطبقة العاملة معترف بهم ". ثم إنه **" كان يراد بالكمونة أن تكون لا هيئة برلمانية ، بل هيئة عاملة تتمتع بالسلطتين التشريعية و التنفيذية فى الوقت عينه..."** .(10)

كانت كافة عناصر الكمونة و الضباط يتلقون أجرا و تمّ حلّ قوى الجيش و البوليس و عوّضت بالحرس الوطني الذى تشكّل من جميع المواطنين القادرين جسديّا . وأوقفت منح الدولة للكنيسة . و أغلقت حوانيت البيادق . و جُوبهت الجريمة بالقوة الحديدية لعمل المساجين ذاتهم و باتت الشوارع آمنة بالنسبة للمواطنين العاديين . و أُلغي الكراء . و أُسقط أساطين فندوم وهو معلم للعدوانية و الشوفينية الفرنسية . و غدا التعليم مجانيا و مفتوحا أمام الجميع . و صُودرت المصانع التى هرب أصحابها الرأسماليون و سيّرها العمّال على نحو تعاوني . وأُلغي العمل بالليل .

و طوّرت البروليتاريا أشكالا جديدة من خلال دكتاتوريّتها القصيرة و المجيدة فى باريس ، قبل أن يقع تحطيمها بأكثر الوسائل وحشيّة و فظاعة إنتقاميّة على أيدى البرجوازية الفرنسية .

و بالطبع لا تكتسى جميع هذه الأشكال قيمة متساوية حيث منها ما هو " بداية مخطئة " و منها الصحيح تمام الصحّة فى ظروف آنذاك لكن ليس نموذجا ضروريا لمجتمع إشتراكي على المدى البعيد ، فى حين أن البعض الآخر سيكون بالفعل مميّزا لأيّ مجتمع يطلق عليه فعلا نعت إشتراكي . غير انه بغض النظر عن كل الجزئيات الخاصة بسمات الكمونة ، برز أمر لخّصه ماركس على النحو التالي :

" كانت ، من حيث الجوهر ، حكومة الطبقة العاملة ، كانت نتاج كفاح طبقة المنتجين ضد طبقة المستملكين ، كانت الشكل السياسي الذى إكتشف أخيرا و الذى كان يمكن فى ظلّه إنجاز التحرير الإقتصادي للعمل ... إن حكم المنتجين السياسي لا يمكن أن يقوم جنبا إلى جنب مع تخليد عبوديّتهم الإجتماعية . و لذلك كان لا بدّ أن تقوم الكمونة بدور أداة لتحطيم الدعائم الإقتصادية التى يعتمد عليها وجود الطبقات ذاته و بالتالى السيطرة الطبقيّة . و مع تحرير العمل سيغدو الجميع عمّالا و سيكف العمل المنتج عن أن يكون خاصة طبقة معيّنة ." (11)

و مجددا ، بعبارات أخرى ، الشئ الهام بشأن دكتاتورية البروليتاريا هو طابعها **كشكل إنتقالي** نحو الشيوعية . و لغاية تعزيز سلطتها فى البداية و لغاية التقدّم نحو الشيوعية ، على الطبقة العاملة أن **تُحطِّم** جهاز الدولة البرجوازية القديمة

و بيروقراطيتها الحاكمة و شرطتها و جيشها و نظامها القضائي و السجن إلخ . كما أشار ماركس و إنجلز فى مقدّمتهما للطبعة الألمانية الجديدة ل**" بيان الحزب الشيوعي"** فى 1872:

" ...و بوجه خاص برهنت الكومونة أن " الطبقة العاملة لا تستطيع أن تكتفي بالإستيلاء على آلة الدولة جاهزة و أن تحركها لأهدافها الخاصة "..." (12)

<u>نقد برنامج غوتا :</u>

المواضيع ذاتها تأتى إلى المقدّمة بأكثر صراحة فى عمل آخر لماركس فى هذا المجال ، **" نقد برنامج غوتا "** ، وهو نقده (نشر فقط بعد وفاة ماركس) لمشروع برنامج حزب العمّال الإشتراكي الألماني (الذى سيتحوّل فى ما بعد إلى الحزب الإشتراكي الديمقراطي) الذى كان نتاج وحدة حزبي الطبقة العاملة فى ألمانيا ، واحد لأنصار فرديناند لاسال و الآخر لأنصار (تقريبا) ماركس .

فى هذا العمل ، سجّل ماركس بصفة واضحة ما سمّاه " مرحلتي المجتمع الشيوعي " التى صارت مذّاك تسمى الإشتراكية من جهة و الشيوعية من الجهة الأخرى . لقد أكّد :

" بين المجتمع الرأسمالي و المجتمع الشيوعي تقع مرحلة تحوّل المجتمع الرأسمالي تحولا ثوريّا إلى المجتمع الشيوعي. و تناسبها مرحلة إنتقال سياسيّة أيضا ، لا يمكن أن تكون الدولة فيها سوى الدكتاتورية الثورية للبروليتاريا ..." (13)

و علاوة على التشديد من جديد على الطابع الإنتقالي للإشتراكية و على أن هذا الإنتقال سياسيّا يجب أن يتميّز بدكتاتورية الطبقة العاملة ، بيّن ماركس أيضا أن الإختلاف الحاسم بين الإشتراكية و الشيوعية هو درجة التنظيم الإقتصادي . و يمكن أن يُعبّر عن هذا الإختلاف فى شكل مقولتين أو شعارين . مقولة المجتمع الإشتراكي " من كل حسب قدرته إلى كل حسب عمله " و هذا يتطابق مع المستوى العام لتطوّر علاقات الإنتاج التى تميّز المجتمع الإشتراكي (الذى هو بدوره محدّد فى الأخير بمستوى تطوّر قوى الإنتاج) . و هذا يعنى أنّه مع إعطاء المؤونة لأولئك الذين لا يستطيعون بالفعل العمل إلخ و بعد وضع جزء معيّن من الإنتاج جانبا للمراكمة من أجل الخدمات العامة و هكذا دواليك ، عموما يأخذ كلّ شخص بحساب السلع الإستهلاكية ما يعادل ما ساهم به من عمل . فى كافة المجتمعات الإشتراكية التى وجدت ، جرى تبادل العمل بالسلع الإستهلاكية إلى حدّ الآن عبر النقد / المال بمعنى أن يحصل العمّال على أجور نقدا بها يقتنون هذه السلع الإستهلاكية .
و هذا فى حدّ ذاته علاقة سلعيّة وهو مظهر للوضع الذى لم تمحى فيه بعدُ العلاقات السلعية فى المجتمع ككلّ ، بالدرجة التى لا يزال فيها قانون القيمة ساري المفعول (قانون أن قيمة السلع يحدّدها وقت العمل الضروري إجتماعيا لإنتاجها) و يمارس تأثيرا على توزيع وسائل الإنتاج و كذا على توزيع وسائل الإستهلاك (السلع الإستهلاكية) .

فى ظل الإشتراكية ، بسبب تحويل الملكية من النظام الرأسمالي إلى النظام الإشتراكي ، يجرى تحديد عمل قانون القيمة و لن تظل بعدُ قوّة العمل ذاتها سلعة . لن يظلّ فى مستطاع بعض الناس ملكية ثروة عمل الآخرين على أساس الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج و عوض ذلك يكون دخل كلّ شخص فقط حسب العمل الذى يساهم به طالما أن علاقات الإنتاج الإشتراكية القائمة سارية المفعول . لكن حتى حينها ، يمثّل تواصل العلاقات السلعيّة إلى جانب بقيّة من العلاقات الإقتصادية الرأسمالية تناقضا يمكن أن تمسك به العناصر البرجوازية فى محاولة لإعادة تركيز الرأسمالية .

و حتى لو لم يعد توزيع السلع الإستهلاكية فى ظلّ الإشتراكية ، بشكل سلعي تام ، طالما أنّه مرتكز على تبادل قيم متساوية ، كما فسّر ماركس ، **" نواجه هنا نفس المبدأ الذى ينظّم تبادل البضائع طالما أنّه تبادل قيم متساوية** ..."(14).
و هذا المبدأ هو الذى يشير إلى أن المجتمع لم يتجاوز بعدُ كليا بقايا العلاقات الرأسمالية ، رغم أنّه أنجز قفزة نوعية نسبة إلى الرأسمالية بتحقيق الملكية الإشتراكية . قال ماركس : **" و هكذا فإن الحق المتساوى يظلّ هنا ، من حيث المبدأ ، الحقّ البرجوازي "**.(15)

و هذه المساواة هي أيضا برجوازية بما أنّها لا تزال مساواة **شكلية** .

و مثلما كتب ماركس : " **إن هذا الحق المتساوى هو حق غير متساو لقاء عمل غير متساو ... فهو إذن ، من حيث الجوهر ، حق قائم على عدم المساواة ، ككلّ حقّ .** " (16)

سيختلف أناس متباينون فى قدراتهم و فى إستعداداتهم الطبيعية و فى قدرة تحمّل العديد منهم و ما إلى ذلك . لذلك فى الواقع الفعلي رغم المساواة الشكلية ، سينال شخص أكثر من الآخر ، سيكون أغنى من الآخر .

إنه الحق البرجوازي ، هذه المساواة التى لا تزال شكلية ، برجوازية و بالتالى ، فعلا لا يزال غير متساو وسيقع تجاوزه بالتقدّم نحو المجتمع الشيوعي ، مجتمع فيه كما وضع ماركس ، يسود مبدأ "من كل حسب كفاءته ، و لكل حسب حاجياته ".

بيد أن هذا الإنتقال إلى الشيوعية لا يمكن أن يتحقق فى الحال أو كليا مرّة واحدة مثلما أشار ماركس بحسم :
" إن ما نواجهه هنا ، إنما هو مجتمع شيوعي لا كما تطور على أسسه الخاصة بل بالعكس ، كما يخرج لتوه من المجتمع الرأسمالي ، أي مجتمع لا يزال ، من جميع النواحى ، الإقتصادية و الأخلاقية و الفكرية ، يحمل سمات المجتمع القديم الذى خرج من أحشائه " . (17)

بإختصار يقدّم ماركس هنا الإختلاف الأساسي بين الإشتراكية و الشيوعية و بالتالى ما يجب أن تكون الإشتراكية فى حركتها إلى **الأمام** . و يتأتى من تحليل ماركس أن الغاية العامة لدكتاتورية البروليتاريا يمكن أن تتلخص فى جملة واحدة : القضاء على الحق البرجوازي . قدّمها ماركس كمسألة فى آن تجاوزللإختلافات الإجتماعية و التأثيرات الإيديولوجية الباقية من الرأسمالية و تحقيق الوفرة المادية الضرورية للشيوعية ، مع أن هذين الشيئين بديهيا وثيقا الإرتباط . و صاغ ذلك كما يلى :

" و فى الطور الأعلى من المجتمع الشيوعي ، بعد أن يزول خضوع الأفراد المذل لتقسيم العمل و يزول معه التضاد بين العمل الفكري و العمل الجسدي ، و حين يصبح العمل ، لا وسيلة للعيش و حسب ، بل الحاجة الأولى للحياة أيضا ، و حين تتنامى القوى المنتجة مع تطوّر الأفراد فى جميع النواحي ، و حين تتدفّق جميع ينابيع الثروة العامة بفيض وغزارة ، ـ حينذاك فقط ، يصبح بالإمكان تجاوز الأفق الضيّق للحق البرجوازي تجاوزا تاما ، و يصبح بإمكان المجتمع أن يسجّل على رايته : من كل حسب كفاءاته ، و لكل حسب حاجياته ! " (18)

لكن " سمات المجتمع القديم " لا تواصل تواجدها فحسب و إنما تفرز بإستمرار برجوازية جديدة و الإنتقال إلى الشيوعية مرحلة طويلة عبرها ستوجد الطبقات و الصراع الطبقي والقوّة القيادية المحرّكة للمجتمع نحو الشيوعية هي الصراع الطبقي للبروليتاريا ضد البرجوازية . و التناقض الرئيسي طوال المرحلة الإشتراكية هو التناقض بين البروليتاريا و البرجوازية و الصراع بين هتين الطبقتين هو المفتاح ،هذا ما كان على ماو شرحه وهو ما لم يفهمه ماركس بحكم تجربته الحياتية القصيرة مع كمونة باريس كمثال ملموس لسلطة الطبقة العاملة منه طوّر إستنتاجاته النظرية (إضافة للدروس العامة التى إستخلصها من الرأسمالية و المجتمعات الطبقية السابقة) في ما يتصل بطبيعة الدولة عموما و بدكتاتورية البروليتاريا بخاصة . هذا الفهم تطوّر فقط فى ما بعد ، لا سيما من قبل لينين و ماو – الأوّل كشكل جنيني و الثاني كخطّ ممنهج – على أساس التجربة الأعمق فى الممارسة الحالية لدكتاتورية البروليتاريا و إنطلاقا من إستخلاصات ماركس .

<u>إنجلز كمواصل للماركسية :</u>

طبعا كان إنجلز أقرب معاون لماركس حين كان هذا الأخير على قيد الحياة ، و مواصلا للماركسية و مدافعا عنها إثر وفاته. و ينسحب هذا على موضوع الحال ، دكتاتورية البروليتاريا .

زمن كان كلاهما على قيد الحياة ، مثلا، نقد إنجلز أيضا بعنف برنامج غوتا لإنحرافه عن بعض المبادئ الماركسية الحيوية. و بعيد وفاة ماركس بقليل لم يدافع إنجلز عن المبدأ الماركسي لإضمحلال الدولة فقط ، بل أشار كذلك إلى أن :

" فى الوقت نفسه ، إعتبرنا على الدوام أنه لأجل بلوغ هذا الهدف وغيره من أهداف الثورة الإشتراكية العتيدة أهم بكثير، يتعيّن على طبقة البروليتاريا أن تستولي قبل كل شئ على سلطة الدولة السياسيّة المنظمة و أن تقمع بواسطتها مقاومة طبقة الرأسماليين و تنظّم المجتمع تنظيما جديدا . " (19)

و من جديد فى 1890، رأى إنجلز أنّه من الضروري التأكيد بشدّة ، فى علاقة بالشعب الألماني ، على طابع الإشتراكية كمجتمع إنتقالي و مجتمع فى سيرورة تحوّل و تغيّر . لقد كتب **ضد** الذين يرون :
"المجتمع الإشتراكي كشئ قار مستقرّ كلّيا " و ركّز على :

" إن ما يسمى " المجتمع الإشتراكي " ليس ، حسبما أعتقد ، شيئا ما أعطي مرّة واحدة و إلى الأبد ، بل ينبغى إعتباره ، مثله مثل كل نظام إجتماعي آخر ، قابلا لتغيّرات و تحوّلات دائمة . " (20)

و أخيرا هنالك مثال إعادة تأكيد إنجلز على هذا الفهم المركزي فى مقدّمته للطبعة الألمانية الثالثة ل **" الحرب الأهلية فى فرنسا "** المنشور فى 1891 لإحياء الذكرى العشرين لكمونة باريس :

" فى الآونة الأخيرة شرع رعب ناجم عن كلمتي " دكتاتورية البروليتاريا " يستبدّ من جديد بالتافهين الضيّقى الأفق من الإشتراكيين- الديمقراطيين . هل تريدون أن تعرفوا ، أيها السادة المحترمون ، كيف تبدو هذه الدكتاتورية ؟ إنظروا إلى كومونة باريس . فقد كانت ديكتاتورية البروليتاريا . " (21)

من البديهي أن إنجلز يوجّه هنا صفعة حادّة لبعض التوجّهات فى الحزب الإشتراكي الديمقراطي الألماني ، توجّهات كانت ستفرز ، بعد خمس سنوات بالضبط ، تحريفية " إدوارد برنشتاين" التامة الشكل . إنّه ذو دلالة أن يوجه إنجلز صفعة إلى مراكز هذه التيّارات بصدد مسألة الإعتراف بدكتاتورية البروليتاريا .

غير أنّه مثلما تم تناول ذلك سابقا ، و مثلما سنعمّق تاليا ، بينما كان إنجلز يعترف بضرورة دكتاتورية البروليتاريا و يشدد بقوّة على هذه النقطة فى صراع ضار ضد التحريفيين آنذاك ، لم يقرّ شأنه فى ذلك شأن ماركس بتواصل الصراع الطبقي و دوره المركزي ، لفترة طويلة فى ظل الإشتراكية ، و لم يقرّ بأن المسألة ليست فحسب مسألة ممارسة دكتاتورية على الطبقات المستغِلة المطاح بها ، و لكن أيضا مسألة مواصلة الصراع الطبقي بالخصوص ضد البرجوازية الجديدة الإفراز . لقد إعتنيا بمهمّة **" قمع مقاومة طبقة الرأسماليين و إعادة تنظيم المجتمع تنظيما جديدا "** (حسب كلمات إنجلز) كمهمّة يمكن أن تتحقّق بأسرع و (أسهل) ممّا تكشّف عليه الحال . بإختصار ، مرّة أخرى ، بينما مثّلت مساهمات ماركس و إنجلز النظرية عموما كما بصدد دكتاتورية البروليتاريا بالخصوص أساسا ، ظلّت مهمة تشييد صرحها و تطويرها مهمّة قائمة الذات .

لينين :

كان لينين قادرا على قيادة الثورة الروسية المظفّرة لأنّه بقي ملتصقا بصلابة بالماركسية . و بعد ذلك ، طوّرها فى وجه السرطان التحريفي الذى نخر الحركة الثورية للعمّال فى بداية عشريات القرن العشرين . و لهذا مظهران فمن ناحية كان يعنى تطبيق الماركسية على الواقع الملموس المتحرّك أبدا و مظهره الرئيسي كان حركة الرأسمالية فى مرحلة جديدة هي الإمبريالية . و من ناحية ثانية ، كان يعنى الدفاع الصارم – حتى البعث – عن بعض المبادئ الماركسية الجوهرية التى كان التحريفيون يحاولون قبرها أو " نسيانها ".

عمل لينين الأول في ما يتعلق بدكتاتورية البروليتاريا كان يرتكز على ما قام به أولا فى **" الدولة و الثورة "** أين أشار إلى أنّه نظرا لنموّ التحريفيّة و تأثيرها : **" يتلخّص واجبنا قبل كلّ شئ فى بعث تعاليم ماركس القيمة بشأن الدولة "** (22)
و قام بحث لينين فى هذا الكتاب على تقديم تاريخ (أعمق ممّا أسلفنا الذكر) لتطوّر نظرة ماركس و إنجلز للدولة . و فى سيرورة سرد هذا التطوّر هنالك عديد النقاط التى أبرزها لينين كنقاط أساسية بالنسبة لتعاليم ماركس و إنجلز حول الدولة .

أوّلا ، كما رأينا فى مقتطف بداية هذا المقال ، أشار لينين بقوّة إلى أنّ الإعتراف بدكتاتورية البروليتاريا كان محلّ خلاف هام بين الماركسية و شتى ألوان الإيديولوجيا البرجوازية بما فى ذلك التحريفية .

ثانيا ، شدّد على أن هذا الإعتراف يعنى لا أقلّ من الدفاع عن الثورة العنيفة من جانب الطبقة العاملة و تحطيم جهاز الدولة البرجوازية .
ثالثا ، شدّد أيضا على الطابع الإنتقالي للإشتراكية .

و أخيرا ، شدّد لينين على ما قاله ماركس عن إستمرار الحق البرجوازي :

" و عليه ، إن " الحق البرجوازي " فى الطور الأول من المجتمع الشيوعي (الذى يسمى عادة بالإشتراكية) لا يلغى بصورة تامة ، بل يلغى بصورة جزئية ، فقط بالمقدار الذى بلغه الإنقلاب الإقتصادي ، أي فقط حيال وسائل الإنتاج . ف "الحق البرجوازي " يعترف بها ملكا خاصا لأشخاص منفردين . أما الإشتراكية فتجعلها ملكا عاما . بهذا المقدار ليس غير ، يسقط "الحق البرجوازي" .
و لكنّه يبقى مع ذلك فى جزئه الآخر ، يبقى بصفة ضابط (محدّد) لتوزيع المنتوجات و توزيع العمل بين أعضاء المجتمع ." (23)

و بُعيد ذلك ، يشير لينين إلى الأساس الإقتصادي لإضمحلال الدولة إضمحلالا تاما و الذى يتطلّب :

" ... تطوّر الشيوعية إلى حدّ عال يزول معه التضاد بين العمل الفكري و العمل الجسدي ، و يزول بالتالى ينبوع من أهمّ ينابيع اللامساواة الإجتماعية الراهنة ، مع العلم أنّه ينبوع تستحيل إزالته فورا إستحالة تامة بمجرد تحويل وسائل الإنتاج ملكا إجتماعيا ، بمجرد مصادرة أملاك الرأسماليين " . (24)

هذا تحليل عميق لبعض العوامل الأساسية للإنتقال من الإشتراكية إلى الشيوعية . و أحد نتائجه ستبرز أن هذه الفترة الإنتقالية ، الإشتراكية ستمتدّ على فترة طويلة نسبيا ، مثلما لاحظ ذلك لينين هنا ، و أن القاعدة الإقتصادية الشيوعية لن تتحقق بأي حال من الأحوال بمصادرة الرأسماليين و إنما فقط بحلّ التناقض بين العمل اليدوي و العمل الفكري (بقول هذا كان لينين يقتفى خطى ماركس و إنجلز اللذان أشارا إلى أن تقسيم العمل إلى عمل فكري و عمل يدوي هو أساس الطبقات) و من الواضح أن تجاوز **هذا** التناقض (بين العمل الفكري و العمل اليدوي) سيمتد على فترة تاريخية طويلة نسبيا .

مع ذلك ، فى أجزاء أخرى من **" الدولة و الثورة "** ، يبدو أن لينين فكّر أن فترة دكتاتورية البروليتاريا ستكون نسبيا قصيرة . و هذه النظرة إلى أن الإنتقال إلى الشيوعية سيكون نسبيا سريعا ، توجد بوضوح كبير لدى ماركس و إنجلز . و مثال ذلك الجمل التالية فى **" ضد دوهرينغ "** ، التى يستشهد بها لينين أيضا :

" فالبروليتاريا تستولى على سلطة الدولة و تحوّل وسائل الإنتاج قبل كل شئ إلى ملكية الدولة . و لكنها بذلك تقضى على نفسها كبروليتاريا ، و بذلك تقضى على كل الإختلافات الطبقية و التناقضات الطبقية و معها تقضى على الدولة كدولة ." (25)

و ورد هذا كذلك فى موقف شهير لماركس حيث قال :

" فبعدما كانت هذه العلاقات أشكالا لتطوّر القوى المنتجة ، تصبح قيودا لهذه القوى ، و عندئذ يفتح عهد ثورات إجتماعية . فإن تغيّر الأساس الإقتصادي يزعزع كل البناء الفوقي الهائل على صورة مختلفة من السرعة أو البطء ". (26)

هذا صحيح كوصف عام للإنتقال من نظام إستغلال إلى آخر (مع أنه حتى فى هذه الحالات هنالك عامة فترة طويلة من التغيّرات الكمّية قبل القفزة النوعيّة النهائية نحو التركيز الصارم للنظام الجديد) . لكن فى ما يتعلق بالإنتقال من الرأسمالية إلى الشيوعية ، يخطأ هذا الموقف خطأ مزدوجا :

أوّلا ، لا يعترف بما فيه الكفاية بصعوبة و تشعّب مخطّط طبيعة الصراع من أجل تحويل البناء الفوقي ، ذاهبا إلى رؤية هذه السيرورة بإنتظارية نسبيّة رابطا سلسلة التغيّرات بالقاعدة الإقتصادية .

ثانيا ، يقلص من سيرورة تحوّل القاعدة الإقتصادية ذاتها بما يعنى ليس فقط التغيّر فى نظام الملكية لكن أيضا إلغاء تقسيم العمل المميّز للمجتمع الطبقي و بقايا الرأسمالية فى نظام التوزيع .

و خلاصة القول ، فى حين يتحدث ماركس و إنجلز عن ضرورة تجاوز " **التبعيّة العبوديّة للفرد حيال تقسيم العمل** " و التجاوز الكلّي لا فقط لأفق الحق البرجوازي ، و فى حين أكّدا بصيغة أعمّ على أن الثورة الشيوعية كانت نوعيا مغايرة لكل الثورات السابقة لها ، و يجب أن نتحدّث عن قطيعة راديكالية مع كلّ علاقات الملكية التقليدية و كل الأفكار التقليدية ، مع ذلك قد قلّصا من أهمية الزمن – و الصراع – الذى تستغرقه عملية القطيعة الراديكالية .

ومثلما سبقت الإشارة يعزى هذا إلى أن ماركس و إنجلز و لينين أيضا عندما ألّف " **الدولة و الثورة** " (أوت – سبتمبر 1917 بالضبط قبل ثورة أكتوبر) كانوا يحلّلون المسألة قبل أية تجربة واسعة ملموسة لحكم البروليتاريا . نتيجة لذلك أمكنهم بصحّة إدراك المظاهر الأساسية و إتجاه المجتمع الإشتراكي لكنّهم لم يستطيعوا أن يتنبّؤوا ببعض أهم المظاهر و التناقضات .

يقول لينين متحدثا عن تحليل ماركس للدولة سنة 1852 :

" إن ماركس الأمين لفلسفته المادية الديالكتيكية يأخذ كأساس الخبرة التاريخية التى أعطتها السنوات العظمى ، سنوات ثورة 1848-1851 و تعاليم ماركس هنا ، كشأنها أبدا ، هي تلخيص للخبرة على ضوء نظرة فلسفيّة عميقة و معرفة واسعة للتاريخ " .(27)

بكلمات أخرى ، من مبادئ المادية الجدلية أن النظرية عموما و بصفة شمولية تلخّص الممارسة . هذا مظهر من أن الممارسة هي أوّليّة نسبة للنظرية . هذا مبدأ أساسي للمادية . يمكن للإنسان ان يستوعب الواقع المادي فى الفكر و أن يلخّصه نظريّا لكن الفكر الإنساني ، مع أنه يستطيع أن يستوعب قوانين الحركة – الديالكتيك – و على هذا الأساس أن يتنبأ بالمستقبل ، لا يمكنه أن يقارب بكل معنى الكلمة الأشياء التى ستظهر فقط فى المستقبل . بصيغة أخرى ، متسلّحا بعلم صحيح (هو ذاته إفراز الخلاصة النظرية للممارسة) يمكن للإنسان أن يستوعب جوهر الشئ و من هنالك سيرورة تطوّره العام ، لكن هذا لا يعنى أن خصوصيات التطوّر المستقبلى يمكن أن يقع التنبؤ بها بأي شكل من الأشكال . هذه نقطة شدّد عليها لينين بإستمرار فى " **الدولة و الثورة** " (28) التى عادة ما عبّر عنها أن **الماركسيين ليسوا مثاليين ، يحاولون إختراع مجتمع جديد ، لكنّهم عوض ذلك يلخّصون نظريّات تطوّر المجتمع الجديد من القديم** (29) و كانت هذه النقطة الجوهرية محلّ التشديد الذى صرح بأن الماركسيين ليسوا منجّمين .

و بالطبع لم يعش لينين تجربة عدّة سنوات من دكتاتورية البروليتاريا . و فى ملحقه الشهير ل " **الدولة و الثورة** " لفت لينين النظر إلى أن الكتاب يحتاج أن يتضّمن أيضا فصلا حول " تجربة الثورة الروسية لسنة 1905 و [فيفري] 1917 " لكن قبل أن يتمكن من كتابته قاطعته ثورة أكتوبر 1917 .

و إنطلاقا من الممارسة الثورية للبروليتاريا الروسية بقيادة لينين و الحزب البلشفي ، ممارسة دكتاتوريتها طوال السبع سنوات الباقية فى حياته ، شرع لينين فى إنجاز بعض التطويرات فى الفهم النظري الماركسي للدولة و لممارسة بناء الإشتراكية و تركيز دكتاتورية البروليتاريا .

لقد واجهت الطبقة العاملة السوفياتية أعداءا داخليين و آخرين خارجيين ممّا فرض عليها خوض صراع شرس ضد البرجوازية و المستغِلين الآخرين داخل الجمهورية السوفياتية و كذلك ضد الإمبرياليين و الرجعيين الأجانب الآخرين الذين تجمّعوا سعيا للإطاحة بالدولة البروليتارية الجديدة . و من هذه التجربة إستخلص لينين إستنتاجات هامة للغاية بشأن الطابع المستمر للصراع من أجل التقدّم نحو المجتمع الشيوعي و تواصل وجود البرجوازية و التأثيرات البرجوازية و العلاقات البرجوازية و إعادة إنتاج العناصر البرجوازية فى ظل الإشتراكية – من منابع وسط المجتمع الإشتراكي و منابع عالمية على حد السواء .

و صاغ لينين هذه الإستخلاصات فى عدد من الكتابات فى السنوات الأولى من الجمهورية السوفياتية . إثر سنتين فقط من ثورة أكتوبر ، بدأ لينين يلخّص تجربة حكم الطبقة العاملة فى مقال هام فى جريدة **البرافدا " الإقتصاد و السياسة فى عهد دكتاتورية البروليتاريا " فالطبقات ما تزال باقية و ستبقى طوال عهد ديكتاتورية البروليتاريا و عندما تزول الطبقات ، تصبح الديكتاتورية عديمة الجدوى و لكن الطبقات لن تزول بدون ديكتاتورية البروليتاريا "**.(30)

و الطبقات التى يعنيها لينين هنا هي أوّلا ، البرجوازية الصغيرة و بالأخص الفلاّحين الذين أعارهم لينين إهتماما كبيرا فى هذا المقال و كذلك فى مقالات أخرى ، مناقشا كيف يجب على دكتاتورية البروليتاريا أن تتقدّم بإتجاه القضاء على الإختلافات الطبقية بين الفلاحين و العمّال بالتحويل الممكن للفلاّحين إلى عمّال . ثانيا ، كان لينين يعنى الطبقة الحاكمة السابقة لروسيا و التى قال عنها :

" إن طبقة المستثمِرين ، الملاكين العقاريين و الرأسماليين ، لم تزل و لا يمكن أن تزول دفعة واحدة فى ظلّ ديكتاتورية البروليتاريا . لقد تمّ هزم المستثمِرين و لكنّه لم يتم القضاء عليهم بعد . فلا تزال لهم قاعدة عالمية ، هي الرأسمال العالمي ، هم لها بمثابة فرع تابع . ولا يزال لهم بعض من وسائل الإنتاج ، و لا يزال لهم المال ، و لا تزال لهم علاقات إجتماعية واسعة جدّا . و لقد إزدادت مقاومتهم شدّة مائة مرّة بل ألف مرّة ، و ذلك بسبب من هزيمتهم بالضبط . إن " تفنّنهم " فى تصريف شؤون الدولة و الشؤون العسكرية و الإقتصادية يؤمن لهم تفوّقا هائلا بحيث يصبح وزنهم أكبر بما لا حدّ له من النسبة التى يمثلونها فى مجمل السكان ." (31)

و بعد مرور بضعة أشهر ، يعود لينين لهذه المواضيع فى كتابه المعروف **" مرض "اليساريّة" الطفولي فى الشيوعية "** حيث كان هدف من أهدافه هو تلخيص السنتين و نصف السنة من دكتاتورية البروليتاريا التى مُورست ، و بدأت الإشتراكية فى بناء الجمهورية السوفياتية . فى عمله هذا ، أكّد لينين بوجه خاص على تأثير إنتاج البرجوازية الصغيرة و القوّة العظيمة للعادة و التقاليد فصرّح :

" لقد بقيت الطبقات وهي ستبقى فى كلّ مكان طوال سنوات بعد ظفر البروليتاريا بالسلطة ... إن القضاء على الطبقات لا يعنى فقط طرد الملاكين العقاريين و الرأسماليين ، فهذا ما قمنا به نحن بسهولة نسبيا ، إنّه يعنى كذلك القضاء على منتجى البضائع الصغار ، و هؤلاء لا يمكن طردهم ، و لا يمكن قمعهم ، إنّما يلزم أن نتعايش معهم فمن الممكن (و الواجب) إصلاحهم و تربيتهم على نمط جديد ، و ذلك فقط بواسطة عمل تنظيمي مديد يحقق ببطء و إحتراس ." (32)

هنا يشير بالخصوص إلى الفلاحين فى الريف و كذلك إلى التجاّر الصغار و عناصر أخرى من البرجوازية الصغيرة فى المدن . و إعتبر لينين أن الإنتاج الصغير هو المنبع الأولي لإمكانية إعادة تركيز الرأسمالية وفى مقتطف شهير آخر قال :
" إن الإنتاج الصغير يلد الرأسمالية و البرجوازية بإستمرار ، فى كل يوم و كل ساعة ، و بصورة عفوية و على نطاق واسع . " (33)

بإختصار ، عبّر لينين عن أن أهمّ مخاطر إعادة تركيز الرأسمالية متأتّية من الطبقات الحاكمة المطاح بها و بقاء الإنتاج (على النطاق الصغير) للبرجوازية الصغيرة . و بالتالى كان ينجرّ عن ذلك أن أهمّ مهام دكتاتورية البروليتاريا فى دفع المجتمع الإشتراكي نحو الشيوعية و منع تراجعه نحو الرأسمالية ، كانت تحطيم مقاومة الملاكين العقاريين القدامى و الرأسماليين و القضاء التدريجي على الإنتاج الصغير . و منبع التناقضات الطبقيّة التى ينبغى أن تعالجها البروليتاريا قبل

بلوغ المجتمع الشيوعي الخالي من الطبقات مردّها بقايا الطبقات المستغِلة ، من جهة ، و الفلاحين و العناصر البرجوازية الصغيرة ، من جهة أخرى . و أقرّ بأنه يجب أن تُستعمل طريقتين مختلفتين لمعالجة التناقضين من نوع مختلف – الأول تناحري و الثانى غير تناحري .

هذا هو قوام نظرة لينين لكنّه لا يمثّل كل تحليله للمجتمع الإشتراكي إذ شرع ايضا فى معالجة أعمق لتطوّر برجوازية جديدة داخل المجتمع الإشتراكي . وهكذا فى 1918 قال :

" نعم بالإطاحة بالملاكين العقاريين و البرجوازية نظّفنا الطريق لكنّنا لم نشيّد صرح الإشتراكية . على الأرضيّة النظيفة من جيل من البرجوازية ، ستظهر أجيال جديدة بإستمرار فى التاريخ طالما أن الأرضيّة تسمح لهم بالظهور و طالما تسمح بظهور عدد من البرجوازيين . بالنسبة لأولئك الذين ينظّرون إلى الإنتصار على الرأسماليّين بالطريقة التى تنظر إليه البرجوازية الصغيرة ، فإنّ كلّ واحد منهم ، فى الواقع ، منبع جيل جديد من البرجوازية ." (34)

مع ذلك ، مثلما يمكن أن يلاحظ ، يحدّد لينين الخطر هنا تقريبا كلّيا بتأثير الإنتاج البرجوازي الصغير . و بالفعل فى الخطاب ذاته صاغ موقف أن " **العدوّ الرئيسي خلال الإنتقال من الرأسماليّة إلى الإشتراكيّة هو البرجوازية الصغيرة و تقاليدها و موقعها الإقتصادي** ." (35)

و يجب الإشارة إلى أن لينين ، كما قال بوضوح هنا ، يتحدّث عن الإنتقال من الرأسماليّة إلى الإشتراكيّة ، يعنى من الملكية الرأسمالية إلى الملكية الإشتراكية الذى كانت الجمهورية السوفياتي بصدده . بصيغة أخرى ، لا يعالج لينين هنا مسألة الإنتقال إلى الشيوعية ، (و تترتّب علينا كذلك ملاحظة أن لينين وهو يقول إنّ " العدوّ الرئيسي " هو البرجوازية الصغيرة لا يعنى حرفيّا أنّه يجب التعامل معها بصفة عدائيّة بل أنّ الإنتاج الصغير و التجارة و عقليّة المنتج الصغير التى هي أساسا برجوازيّة ، ستشكّل العراقيل الأصعب تجاوزا .

وسنة بعد ذلك ، ألمح بصورة خاصة إلى أنّ " **البرجوازية الصغيرة التى ظهرت فى بلادنا** " . تحدث عن أن البرجوازية " **تظهر ... ضمن موظّفى الحكومة السوفياتية** " و العديد منهم كانوا فعلا مثقّفين برجوازيّين تمرّسوا فى المجتمع القديم . و يسترسل ليقول " **فقط قلّة قليلة يمكن أن تظهر من صفوفها** " و أن البرجوازية الجديدة تظهر بالأساس **" من صفوف الفلاحين و الحرفيين "** (36)

حينها أخذ لينين يطوّر معاني أن الصراع الذى يؤدى إلى الشيوعية و تحطيم الطبقات سيكون طويلا و معقّدا . و مثال ذلك ما ورد فى " **المبادرة الكبرى** " :

" و واضح أنّه من أجل محو الطبقات تماما ، لا يكفى إسقاط المستثمِرين ، الملاّكين العقّاريين و الرأسماليّين ، لا يكفى إلغاء ملكيّتهم ، إنّما ينبغى أيضا إلغاء كل ملكيّة خاصة لوسائل الإنتاج ، ينبغى إزالة الفرق بين المدينة و الريف كما ينبغى إزالة الفرق بين العمل اليدوي و العمل الفكري ، و إنّها لمهمة طويلة النفس ."(37)

وهنا بجلاء يفصح لينين عن أن فترة الإشتراكية إنتقالية و أنّه يجب بإستمرار التحرّك بإتّجاه الشيوعيّة و أن دكتاتورية البروليتاريا لا يترتّب عليها فقط أن تحطّم مقاومة المستغِلين السابقين و إلغاء الإختلاف بين العامل و الفلاّح بل يجب كذلك أن تعالج جميع التناقضات المفرزة للطبقات ، و بالنتيجة ستستغرق دكتاتورية البروليتاريا فترة تاريخية مديدة .

و فى نفس المقال ، تفحّص لينين أيضا مظهرا آخر من الطبيعة الإنتقاليّة للإشتراكيّة بما هي مجال حرب بين الشيوعية التى تكافح من أجل التطوّر و الرأسمالية التى تقاوم القضاء عليها . و بصورة خاصة ، يلفت لينين الإنتباه إلى بعض " غايات " المجتمع الشيوعي المستقبلي و التى راحت تتطوّر فى المراحل الأولى من الإشتراكية فى الجمهورية السوفياتية . و كان ذلك على وجه الخصوص زمن الأسابيع الشيوعية (السبوت الشيوعية) و التى ساهم أثناءها العمّال بعمل تطوّعيّ للتقدّم فى البناء الإشتراكي للمجتمع بأسره ، ليس على أساس أنّهم سيجازون بعلاوات وأنّهم مضطرّون بالسلاح ، و ليس لأنّهم أرادوا رؤية وحدتهم تترعرع أو تستفيد ، لكن على أساس أن العمّال كانوا فعلا فى السلطة و كانوا يعيدون صنع المجتمع لصالحهم

هم ، و عمّال "السبوت الشيوعية " هؤلاء كانوا بوجه خاص تقودهم النظرية الشيوعية و رؤية المهمة التاريخية فى تحقيق الشيوعية .

و إنطلاقا من موقفهم الواعى فى الحفاظ على سلطة الطبقة العاملة و تغيير المجتمع ككلّ ، طفق العمّال الأوعى طبقيّا يقومون بهكذا أيّام عمل دون أي مقابل و مثلما قال لينين لا لأجل مصالحهم القريبة المدى بل لأجل مصالهم البعيدة المدى ، لأجل المجتمع برمته . (38)

و لخّص لينين أنّ هذا كان هشّا لكنّه هدف فى غاية الأهمّية بالنسبة لمستقبل المجتمع الشيوعي و باكورة علاقات إنتاج مستقبليّة (شأنها شأن البناء الفوقي ، لا سيما الإيديولوجي) الذى سيرسى عبر المجتمع .

و شرع لينين لاحقا ، على أساس من الممارسة المحدودة لدكتاتورية البروليتاريا إلى حينذاك ، شرع فى فحص عدّة مظاهر من هذه الدكتاتورية التى ستُطوّر فى المستقبل بصورة أعمق و أشمل من قبل ماو تسى تونغ إستنادا إلى تجربة تاريخية أغنى و أعمق لدكتاتورية البروليتاريا . و لاحظ لينين أن مهمّة هذه الدكتاتورية هي تحطيم الطبقات و التوصّل إلى الشيوعية و أنّها ستقتضى صراعا طويلا و معقّدا (يتطلّب إستخدام وسائل شتّى و سيتّخذ أشكالا شتّى أيضا بغية معالجة التناقضات الكامنة التى تولّد الطبقات (لا سيما التناقض بين العمل الفكري و العمل اليدوي).

و فى نفس الوقت ، نجد أكثر من جزء من النظرة التى سيطوّرها فيما بعد ماو تسى تونغ و فحواها أن خلال الفترة الإنتقالية الإشتراكية تظل هنالك طبقات متناحرة و صراع تناحري بين البروليتاريا و البرجوازية .

ستالين :

كاف هو الفهم الذى صاغه ماو تسى تونغ على أساس تلخيص التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا فى الإتحاد السوفياتي و الصين و فى عدّة بلدان أخرى . بيد أنّه قبل المضيّ مباشرة إلى التطوير الذى قام به ماو لنظرية و ممارسة الثورة فى هذا المجال بأكثر أهمّية ، من المهمّ شرح دور ستالين بخاصة فى مسألة الدفاع عن دكتاتورية البروليتاريا و تطبيقها .

ستالين هو الذى قاد الحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي و عبره جماهير الشعب فى الإتحاد السوفياتي فى المحافظة على حكم الطبقة العاملة و بناء الإشتراكية لمدّة ثلاثين سنة . و مع تقديمه القيادة لمثل هذه المهمّة الظرفية فى ظلّ ظروف صعبة للغاية و دون أيّة تجربة تاريخيّة سابقة ، ساهم ستالين مساهمة حقيقية عظيمة و حقيقة أيضا بيد أنّ فى سيرورته إقترف أخطاء بعضها جدّي للغاية . من هنا من الأهمية بمكان تلخيص صحيح لا فقط لمساهمات ستالين بل أيضا لأخطائه بالخصوص بشأن المسألة التى تعدّ حجر الزاوية فى الماركسية و نعنى دكتاتورية البروليتاريا .

فى " **أسس اللينينية** " ، المكتوب بالضبط إثر وفاة لينين فى 1924 ، لخّص ستالين المبادئ الأساسية لمساهمات لينين فى الماركسية بما فى ذلك و كأحد أهم النقاط ، نظرية دكتاتورية البروليتاريا . و عرض ستالين بصيغة سليمة مسألة الإنتقال إلى المجتمع الشيوعي كمسألة صراع ، صراع محتدم ضد جميع بقايا الطبقات الحاكمة للمجتمع القديم و تأثيرات المنتجين الصغار و نظرتهم للعالم ، و صراع يتطلّب تحويل تفكير لا فقط الفلاّحين و كافة العناصر البرجوازية الصغيرة ، بل كذلك تفكير جماهير العمّال بمن فيهم عمّال المصانع . و بيّن ستالين أن هذا الصراع جزء من المهمّة الأساسيّة لدكتاتوريّة البروليتاريا .

و واصل ستالين دفاعه عن مبادئ قيادة الطبقة العاملة فى خوض الصراع الحاد للغاية و المعقّد جدّا ضد الأعداء الطبقيّين داخل الحزب و خارجه على حد السواء . و قاد على وجه الخصوص الصراعات التى ألحقت الهزيمة بتروتسكي و بوخارين و غيرهما ، و بالتحديد قيادتين فى الحزب كان خطّاهما بشكل أو آخر سيقضيان على الإشتراكية و سيعيدان تركيز الرأسمالية فى الإتحاد السوفياتي .

و من الدلالة بمكان قيادة ستالين لخوض نضال تحويل الملكية فى الظروف المعقّدة للإتحاد السوفياتي حيث كان تحويل الملكيّة لا يشمل تعويض العلاقات الرأسمالية بالعلاقات الإشتراكية فحسب بل كذلك يشمل التقدّم عبر عديد أطوار الحركة التعاونيّة ، من بقايا الإقطاعيّة إلى نطاق واسع من الملكية الإشتراكية فى الريف . لكن بعد أن تمّ التحويل الإشتراكي للملكية بالأساس فى نصف الثلاثينات ب و أواخرها خاصة ، إنتهى ستالين إلى إستخلاصات خاطئة جدّيا فيما يخّص طبيعة المجتمع السوفياتي و التناقضات التى ميّزته .

و تجسّدت هذه الأخطاء على سبيل المثال فى المقتطف التالي من تقرير ستالين " **حول مشروع دستور الإتحاد السوفياتي** " المقدّم سنة 1936 :

" **هكذا الإنتصار للنظام الإشتراكي فى كلّ مجالات الإقتصاد صار الآن أمرا واقعا . و ما معنى هذا ؟ معناه أن إستغلال الإنسان للإنسان ألغي ، قضي عليه ... هكذا وقع الآن إلغاء كافة الطبقات الإستغلالية النهائي** ".(39)

و إستطرد ستالين ليقول إن :

" **الطبقة العاملة لا تزال موجودة و كذلك طبقة الفلاّحين و المثقّفين لكن الخطوط المميّزة بين الطبقة العاملة و الفلاّحين و بين هذه الطبقات و المثقّفين بصدد الإمحاء** ".(40)

و قاد هذا التحليل ستالين إلى أن يقول فى تقريره إلى المؤتمر 18 فى 1939 إن :

" **ما يميّز المجتمع السوفياتي فى يومنا هذا عن أيّ مجتمع رأسمالي هو أنه لم يعد يحتوى طبقات متناحرة ، متصارعة ، إن الطبقات الإستغلالية أُلغيت فى حين يعيش العمّال ، و الفلاّحون و المثقّفون الذين يكوّنون المجتمع السوفياتي و يعملون بتعاون رفاقي** ". (41)

يجب ان ندرك بوضوح بعد تجربة الثورة الصينية و الخلاصات النظرية لماو تسى تونغ أن هذا خاطئ . ذلك أن الطبقات المتناحرة تواصل الوجود فى ظلّ الإشتراكية و ما يميّز الإشتراكية عن الرأسمالية ليس إضمحلال الطبقات المتناحرة و إنّما هو كون الطبقة العاملة هي الطبقة الحاكمة عوض أن تكون طبقة مضطهدة .

لكن إنطلاقا من تحليله الخاطئ فى أواسط الثلاثينات و أواخرها إتّخذ ستالين موقفا كان يذهب إلى إعتبار أن السبب الوحيد لمواصلة دكتاتورية البروليتاريا هو محاصرة الإتّحاد السوفياتي من قبل الأعداء و الإمبراليين ، و وجد آخرون فى الحزب السوفياتي قالوا بما أنّه (فرضيا) لم تعد توجد طبقات متناحرة فى الإتحاد السوفياتي بالتالى يتعيّن القضاء على الدولة . غير أنّه عند الردّ عليهم أعرب ستالين ، وهو يشاطرهم رأيهم الخاطئ حول عدم وجود طبقات متناحرة فى الإتحاد السوفياتي ، بأن نظرتهم بيّنت " إستهانة بقوّة و مغزى آليّة الدول البرجوازية المحيطة بنا و أجهزة تجسّسهم ..." (42).

و خلُص ستالين حتى إلى أنّه يمكن للإتحاد السوفياتي أن يتوصّل ، بالأحرى قريبا ، إلى الشيوعية ذاتها ، لكن حتى حينها ستبقى الدولة السوفياتية قائمة الذات " إذا لم يتم القضاء على المحاصرة الرأسمالية .. ". (43)

طبعا ، كان ستالين على حق مطلقا فى دفاعه عن دكتاتورية البروليتاريا ضد الذين أرادوا القضاء عليها و كان أيضا على حق فى إشارته إلى أن الدولة السوفياتية كانت ضروريّة للحفاظ على مكاسب الإشتراكيّة ضد الإمبرياليّين الأجانب . بيد أنّه كان ذى نظرة إحادية الجانب و جوهريا غير سليمة فى الإشارة إلى هذه العوامل و بالتالى فى رؤية الصراع الداخلي و التناقضات داخل المجتمع السوفياتي كإفراز لنشاطات العناصر الأجنبية و ليس كإفراز للحركية الداخلية للمجتمع الإشتراكي ذاته .

هكذا يمكن رؤية أن ستالين من ناحية ، دافع بصرامة عن ضرورة دكتاتورية البروليتاريا إلّا أنّه من ناحية ثانية ، خلال هذه الفترة بالذات ، لم يكن الأساس النظري أصلا صحيحا ممّا جعله يرتكب أخطاءا جدّية فى التفكير . بهذا المعنى

بمستطاعنا أن نقول إنّ أخطاء ستالين لا تعزى إلى إنحراف جدّي عن إستنتاجات لينين الخاصة بدكتاتورية البروليتاريا بقدر ما تعزى إلى أنّه لم يطبق بطريقة سديدة الماركسية ـ اللينينية لتحليل الظروف الجديدة التى برزت فى الإتحاد السوفياتي مع المشركة (الجوهرية) للملكية وهي ظروف لم يكن لينين ذاته (كما الماركسيين السابقين) أساس لتحليلها بالملموس ، بما أنّها لم تنشأ حينها . و عندما عالج ستالين هذه الظروف التاريخية الجديدة ، خرج بإستخلاصات غير صحيحة ، جزئيا ، بفعل أنّها كانت فعلا جديدة لكن أيضا بفعل قسط من الميتافيزيقا و المادية الميكانيكية فى رؤيته . جوهريا ، ركّز ستالين بصفة إحادية الجانب على نظام الملكيّة و أخفق فى معالجة المظاهر الأخرى لعلاقات الإنتاج و البنية الفوقيّة و إنعكاساتها على نظام الملكيّة بصفة كافية و سليمة . و نجم عن هذا إستنتاج خاطئ (عبّر عنه بأكثر وضوح فى المؤتمر 18 للحزب فى 1939) أن مشركة الملكية تقضى على الطبقات المتناحرة و على **الأساس الداخلي** لإعادة تركيز الرأسمالي فى الإتحاد السوفياتي .

فى إرتباط بهذه الأخطاء ، لم يستند ستالين بما فيه الكفاية على الجماهير و عوّل كثيرا على الطرق البيروقراطية . و نتيجة كلّ هذا إقترف ستالين أخطاء كذلك فى ما يتصل بالإطاحة بالمعادين للثورة . نظرا لتحليله للمجتمع الإشتراكي ، كان ستالين يفكّر فى أن كافة المعادين للثورة ينبغى أن يتأتوا بالأساس من منابع رأسماليّة أجنبيّة أكثر منها من التناقضات الداخلية للإشتراكية . لهذا أخفق ستالين جزئيا ، فى التعويل على الشعب بما فيه الكفاية لكشف و إظهار المعادين للثورة إلى النور و عوّل تقريبا كلّيا على جهاز المخابرات السوفياتية . و لكونه لم يفهم بصفة صحيحة منبع النشاط المعادي للثورة
(لرؤيته أن مصدره خارجي فقط) ، قام بعدد من الأخطاء فى معالجة المسألة و عادة ما وسّع هذه المهمّة على نحو خاطئ و خلط بين التناقضات فى صلب الشعب و التناقضات بين الشعب و العدوّ .

و خلال الجزء الأخير من حياته ، بدأ ستالين يسعى إلى تحليل بعض التناقضات الخاصة التى لم تزل موجودة فى ظلّ الإشتراكية و فى الإتحاد السوفياتي بشكل خاص . و جرى ذلك بصورة خاصة فى إحدى أعماله الأخيرة **" القضايا الإقتصادية للإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي "** . لقد سبق و أن عرضنا مظاهر قوّة هذا المؤلف و مظاهر ضعفه ... و ما تجدر ملاحظته هو أن ستالين يركّز هنا على أن التناقض بين قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج يظلّ قائما فى ظلّ الإشتراكية و أنّه إذا لم يعالج بطريقة صحيحة فإنّه يمكن أن يصبح تناقضا عدائيّا و حتّى أن يوفّر قاعدة لظهور العناصر الرأسمالية التى تعود بالمجتمع إلى الوراء . بيد أن ستالين لم يتطرّق إلى التناقض المستمر بين البنية التحتيّة و البنية الفوقيّة و أكثر من ذلك لم يلخّص أن التناقض بين قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج و البنية التحتيّة و البنية الفوقيّة لا يمثّل فقط التناقض الأساسي فى المجتمع الإشتراكي بل إنّه يجد تعبيره أيضا خلال الإشتراكية ، رئيسيّا فى وجود البرجوازية و البروليتاريا و الصراع بيهما كتناقض طبقي عدائي .

<u>التحليل الصيني لستالين :</u>

بقيادة ماو تسى تونغ ، قام الحزب الشيوعي الصيني و بصفة جدّية و شاملة بتقييم لمسألة دور ستالين فى الحركة الشيوعية العالميّة متبيّنا كلاً من إصاباته و أخطائه ؟ و هكذا بعد " التقرير السرّي " السيّئ الصيت الذى قدّمه خروتشاف للمؤتمر 20 للحزب سنة 1956 و الحملة المعادية لستالين التى تلته و التى نظّمها مغتصب الحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي التحريفي ، لخّص تحليل الحزب الشيوعي الصيني الدروس الحيويّة فى تلك الساعة الحاسمة فيما يخص تجربة دكتاتورية البروليتاريا فى الإتحاد السوفياتي و قيادة ستالين لها .

و إتّخذ هذا التلخيص شكل مقالين فى " يومية الشعب " (5 أفريل و 29 ديسمبر 1956) . و رغم أن التحريفيّين فى الصين قد نجحوا فى تمرير بعض من خطّهم فى هذين المقالين (بالخصوص الأول) اللّذان يحتويان بعض المواقف التى يمكن أن توضع موضع تساؤل وهي خاطئة تماما (مثل الموقف بصدد يوغسلافيا)، عموما يدافع هذان المقالان عن ستالين و بوضوح يذودان عن دكتاتورية البروليتاريا . يركّزالمقال **" حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا "** على أن التناقضات تظلّ موجودة فى ظلّ الإشتراكيّة ، و أن الخط الجماهيري هو مفتاح الطرق الصحيحة الشيوعية فى القيادة .
و يعالج المقال الثاني **" مزيدا حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا "** وهو أطول ، عديد المواضيع ، لكن غايته الأساسيّة هي التأكيد بأنّه رغم أن ستالين إقترف أخطاء ، فإنّه كان ثوريّا كبيرا ، إصاباته أكثر من أخطائه وهي المظهر الرئيسي فى تقييمه ، و الهجوم على الذين كانوا يستعملون نقد ستالين لمحاولة القضاء على دكتاتورية البروليتاريا ، من

الواضح أن هذا الهجوم يتوجّه لا فقط ضد خروتشاف لكن أيضا ضد معاضديه من التحريفيين فى الصين ، و الذين كانوا يتّجهون إلى القيام بالضبط بذلك (44) .

و هذا جلي أيضا من خلال إحدى كتابات ماو تسى تونغ الأخرى فى السنة ذاتها ، " **العشر العلاقات الكبرى** " حيث صرّح :

" فى الإتحاد السوفياتي ، أولئك الذين كانوا يوما يرفعون ستالين إلى السماء ، رموا به الآن دفعة واحدة إلى المزبلة . هنا فى الصين يتّبعهم بعض الناس . و رأي اللجنة المركزية أن أخطاء ستالين تقدّر فقط بنسبة 30 بالمائة من مجمل أعماله و إصاباته تقدر بنسبة 70 بالمائة و أن كلّ الأشياء مأخوذة بعين الإعتبار ، كان ستالين مع ذلك ماركسيا عظيما . على أساس هذا التقييم كتبنا " حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا " .(45)

ثم فى نفس السنة ، فى نوفمبر 1956 ، يفصح ماو عن الأمور بطريقة أجلى :

" أريد أن أقول بضعة كلمات بشأن المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي . أعتقد أن هنالك "سيفان" ، واحد هو لينين و الآخر هو ستالين . تخلى الروس عن السيف ستالين . و كوملغا و بعض الناس فى المجر أمسكوا بذلك الموقف ليتبعوا الإتحاد السوفياتي و ليعارضوا ما سمّي الستالينية . و الأحزاب الشيوعية لعديد البلدان الأوروبية بصدد نقد الإتحاد السوفياتي و قائدهم فى ذلك هو توغليياتي . و الإمبرياليون بدورهم يستخدمون هذا السيف لضرب الشعب . و دولاس، مثلا، رفعه لبعض الوقت . هذا السيف لم تقع إعارته ، لقد تخلّوا عنه . و نحن الصينيون لم نتخلّى عنه . أوّلا ، نحن ، ندافع عن ستالين ، و ثانيا نحن ننقد فى نفس الوقت أخطاءه و قد كتبنا مقال " حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا " ، على عكس بعض الذين حاولوا تشويه ستالين و تحطيمه ، نحن نعمل تبعا للواقع الموضوعي .

أمّا بالنسبة للسيف لينين ألم يتخلى السوفيات عنه إلى حدّ معيّن ؟ وجهة نظري هي أنّه وقع التخلّى عنه إلى حدّ له دلالته . هل ما زالت ثورة أكتوبر صالحة ؟ هل يمكن أن تستعمل بعدُ كمثال لكل البلدان ؟ ورد فى تقرير خروتشاف للمؤتمر العشرين للحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي إنّه من الممكن إفتكاك سلطة الدولة عن طريق البرلمانية بما يعنى أنّه لم يعد من الضروري لكلّ البلدان التعلّم من ثورة أكتوبر . إذا فُتح هذا الباب فإنّه سيقع التخلّى بصورة كبيرة عن اللينينية " . (46)

و أولى ماو تسى تونغ بالطبع كبير الإهتمام لإنجاز تقييم مفصّل و موضوعي لستالين و مثلما تمّت الإشارة إلى ذلك ، و على قاعدة التقييم الذى توصّل إليه لإصابات ستالين و أخطائه ، حقّق ماو تسى تونغ أعظم مساهماته فى نظرية و ممارسة دكتاتورية البروليتاريا .

لقد قاد ماو تسى تونغ جماهير الشعب الصيني فى تحرير بلادهم من براثن الإمبريالية و الإقطاعية و الرأسمالية البيروقراطية و أحرز إنتصارا تاريخيا بالأساس فى 1949 . وشكل الدولة الخاص التى تركّزت فى الصين على أنقاذ الدولة القديمة سمّي دكتاتورية ديمقراطية شعبية . كان هذا بالفعل (إذا لم تكن بالتسمية) الشكل الخاص الذى إتخذته دكتاتورية البروليتاريا فى الصين مع تأسيس الجمهورية الشعبية بما أن الثورة الصينية كانت فى البداية ثورة **ديمقراطية جديدة** . و بحكم هذا الطابع الخاص للثورة الصينية إكتسى تحالف الطبقة العاملة و الفلاحين الذى مثّل مسألة هامة للغاية بالنسبة للبروليتاريا فى المحافظة على سلطتها و على بناء الإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي ، إكتسى حتى أهمّية أكبر فى الصين حيث الغالبية الساحقة للشعب كانت فلاحين تربطهم علاقات شبه إقطاعية فى المجتمع القديم و حيث كان الريف لفترة طويلة من الزمن المجال المحوري للثورة .

لكن أبعد من هذا ، كان شطرا من الطابع الديمقراطي الجديد للثورة أن بعض القطاعات من الرأسماليين الصينيين – البرجوازية الوطنية – الذين كانوا هم كذلك مضطهَدين من قبل التحالف الإقطاعي الرأسمالي الأجنبي ، يمكن و يجب أن يتّحد معه خلال المرحلة الأولى من الثورة الصينية و حتّى (طالما كان ذلك ممكنا) خلال المرحلة الإشتراكية ، بخاصة طوال سنواتها الأولى . ففى ظلّ هذا الشكل المتميّز من حكم الطبقة العاملة (الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية) ، كان لزاما تحديد تطوّر ، و فى ذات الوقت نفسه ، إستعمال البرجوازية الوطنية . و قد أكّد ماو تسى تونغ فى 1957 أن إلى الحدّ

الممكن كان ضروريا معالجة التناقض مع البرجوازية الوطنية بصفة غير عدائية بمعنى أنّه ينبغى خوض صراع ضدّها كطبقة ملاك خواص و فى الآن ذاته محاولة كسب أكبر عدد ممكن من عناصرها .

و لكون كل هذا و تناقضات أخرى عُولجت بطريقة صحيحة حينذاك ، لم يستطع الرجعيون فى الصين أن ينجحوا بنفس المنهج و المستوى الذى نجحوا به فى بعض البلدان الإشتراكية الأخرى حينها . لنكن أوضح ، فى المجر فى 1956، تمكنت إنتفاضة رجعية من جلب قطاع هام من الجماهير . و إستغل الرجعيّون بعض تجاوزات الجماهير و عملوا على تحويل تحركها إلى إنتفاضة معادية للإشتراكية . و بالفعل ، لمّا برزت عناصر يمينيّة فى الصين فى 1957 و ذهبت مباشرة ضد تقدّم النظام الإشتراكي ، هبّت الغالبية الساحقة من الجماهير سياسيا للدفاع عن الإشتراكية و قد عزل هؤلاء المعادين للثورة و تراجعوا بسرعة نسبيا .

و فى هذه الغضون ، فى 1957-1958 ، جدّ تطوّران غاية فى الأهمية داخل الحركة الشيوعية العالمية و داخل البلدان الإشتراكية . أحدهما كان فى الصين عينها سنة 1956 ، إذ تحقق بالأساس التحويل الإشتراكي لنظام الملكية فعني أن ملكية الدولة تركزت أساسا فى الصناعة ، بينما فى الفلاحة كان يهيمن شكل أدنى من الملكية الإشتراكية فى الريف ، ملكية جماعية للأرض و أعمال إنتاجية كبرى تنجزها مجموعات الفلاحين . و مثّل هذا طبعا تقدّما و إنتصارا كبيرين بالنسبة للثورة الصينية و البروليتاريا فى العالم برمّته .

و فى الفترة ذاتها ، كان يحدث تراجعا كبيرا فى البلد الإشتراكي الأوّل فى العالم ألا وهو صعود التحريفيين بقيادة خروتشاف إلى السلطة و بداية سيرورة القلب الكلّي للثورة فى الإتّحاد السوفياتي و إتّباع الطريق الرأسمالي . و كجزء ضروري و هام للغاية فى دفع سيرورة إعادة تركيز الرأسمالية ، نظّم خروتشاف هجوما على دكتاتورية البروليتاريا . و مثلما رأينا سابقا ، شكّل جزء جوهري من هذا هجوما شرسا و فظّا على ستالين الذى قاد الطبقة العاملة السوفياتية فى تعزيز دكتاتوريّتها و ممارستها . و إلى جانب ذلك ، نظّم خروتشاف هجوما نظريّا أشمل على دكتاتورية البروليتاريا ، مدّعيا أنّه قبلا (فى ظل قيادة لينين و فى السنوات الأولى من قيادة ستالين) كان ذلك ضروريا غير أنّه الآن لا حاجة لذلك و بالتالى يمكن للدولة السوفياتية أن تصبح ما أسماه " دولة الشعب بأسره " ! ، لم تعد جهاز طبقة بل دولة الجميع ، دولة جميع الطبقات فى المجتمع السوفياتي . ما سمّاه خروتشاف " تطويرا خلاقا للماركسية " كان فعلا و طبعا لا أكثر من الشكل المباشر لإيديولوجيا البرجوازية التى تسعى دائما إلى أن تدعى أن الدولة فوق الطبقات ، بالضبط لغاية ممارسة دكتاتوريتها على البروليتاريا و لغاية نزع سلاحها سياسيا .

و مثلما أنفت الإشارة ، نظم الحزب الشيوعي الصيني بقيادة ماو هجوما معاكسا ضد الهجوم على الماركسية – اللينينية ، بالدفاع عن ما حقّقته ، لا سيما عن دور ستالين و كذلك بالدفاع عن النظرية الجوهرية لدكتاتورية البروليتاريا لكن فى نفس الوقت ، كإنعكاس للصراع الدائر رحاه داخل الحركة الشيوعية العالمية و كذلك الصراع الطبقي فى الصين ككلّ . وجد صراع خطّين حاد و محتدم داخل الحزب الشيوعي ذاته فأولئك الذين يوجدون داخل الحزب و بالخصوص فى مستوياته العليا ، الذين يتّبعون الطريق الرأسمالي لقوا بالطبع مساندة لموقفهم فى تحريفية خروتشاف و زمرته و قاوموا بشراسة جهود ماو و قيادات ثورية أخرى فى الحزب الشيوعي الصيني لفضح التحريفية و الصراع ضدها . لذلك ، حينها ، كان ماو تسى تونغ يخوض صراعا محتدما ضد القياديّين التحريفيّين من أمثال ليو تشاوتشى و دنك سياو بينغ ، الذين كانوا يروّجون إلى أن الطبقات و الصراع الطبقي بصدد الإضمحلال فى الصين و بالأساس إلى أنّه لم تعد هنالك حاجة لدكتاتورية البروليتاريا فى الصين أيضا .

و فى إطار هذا الصراع ، صاغ ماو تسى تونغ موقفين من الأهمّية بمكان بشأن الصراع الطبقي فى الصين ذاتها حينها ، كانت لهما أيضا إنعكاسات أكبر على ما تمّ التوصل إليه بصدد المرحلة الإشتراكية ككلّ . أجرى ماو تحليلا هاما :
" و بغية توطيده [النظام الإشتراكي الجديد] بشكل نهائي ، يجب تحقيق التصنيع الإشتراكي للبلاد و المثابرة على الثورة الإشتراكية فى الجبهة الإقتصادية ، و يجب فى الوقت ذاته القيام ، بشكل متواصل ، بالنضال الثوري الإشتراكي المرير و التثقيف الإشتراكي الشاق فى الجبهتين السياسية و الإيديولوجية ... إن النضال لتدعيم النظام الإشتراكي ، و النضال الذى يتقرّر فيه أيّ من الإشتراكية و الرأسمالية ستنتصر على الأخرى ، سوف يستمرّ فى بلادنا لفترة تاريخية طويلة جدّا. " (47)

و قبل ذلك بشهر ، فى " **حول المعالجة الصحيحة للتناقضات فى صلب الشعب** " ركّز ماو بوضوح على أن :

" **فى الصين ، رغم أن التحويل الإشتراكي قد تمّ فى الأساس فيما يتعلق بنظام الملكية و رغم أن الصراعات الطبقية الواسعة النطاق و العاصفة للجماهير و المميّزة لزمن الثورة إنتهت بالأساس ، لا تزال هنالك بقايا الطبقات الإقطاعية و الكمبرادورية المطاح بها ، و لا تزال هنالك برجوازية و التحويل بالتأكيد بدأ ! الصراع الطبقي لم ينته بأي شكل من الأشكال ، الصراع الطبقي بين البروليتاريا و البرجوازية ، الصراع الطبقي بين القوى السياسية المختلفة ، و الصراع الطبقي بين البروليتاريا و البرجوازية فى الحقل الإيديولوجي سيبقى لفترة طويلة و سيكون متعرجا و أحيانا حتى حادا جدّا . ذلك أن البروليتاريا تبحث عن تحويل العالم حسب نظرتها هي للعالم و كذلك تفعل البرجوازية . فى هذا المضمار مسألة من سينتصر الإشتراكية أم الرأسمالية لم تحسم بعدُ** ".(48)

يكتسى هذان المقتطفان أهمّية كبرى لأنّهما يحملان لأوّل مرّة فى تاريخ الحركة الشيوعية العالمية ، بجلاء أنّ الطبقات و الصراع الطبقي يتواصلان فى ظل الإشتراكية و أن الصراع الطبقي بين البروليتاريا و البرجوازية بوجه خاص يستمر حتى بعد أن يكون التحويل الإشتراكي لنظام الملكية قد أنجز (فى الأساس) ، و سيكون هذا صحيحا لمدّة طويلة ، مع أن الصراع أحيانا يمسى حادا جدا .

ولكن بديهي أنّه بما أن ممارسة البروليتاريا الثورية تظلّ فى جوانب منها فى مراحلها الأوّلية فى هذه الجبهة ، و بما أن ماو تسى تونغ كان فى بداية تلخيص ذلك نظريا ، كان فهمه لهذا كذلك فى المراحل الأولى من تطوّره . و هذا صحيح خصوصا فيما يتصل بفهمه لطبيعة الطبقات و بالخصوص البرجوازية فى ظلّ الإشتراكية ، إلاّ أنّه بإحتداد الصراع الطبقي فى الصين ، كان فهم ماو لهذا الصراع يتعمّق .

و إحتدّ الصراع الطبقي فى الصين حينذاك بالخصوص حول القفزة الكبرى إلى الأمام فهذه الحركة الهامة طبعا أسفرت عن الكمونات الشعبيّة و نهضت خلالها الجماهير الشعبيّة ، لا سيما الفلاحون ، و أحدثوا أشياء جديدة غير مسبوقة فى القيام بالثورة الإشتراكية و البناء الإشتراكي و كانت موضع إتّهام القوى الرجعية المحافظة داخل الحزب و خارجه على حدّ السواء .

لقد ناقشنا القفزة الكبرى سابقا و لن نعيد ما قلناه هنا لكن تجدر الملاحظة إلى مظهر من مظاهر هذه الفترة و توضيحه توضيحا كلّيا هنا و هو ما يستحق عناية خاصة . ففى حين كان ماو يقرّ بأن سلّم الأجور الشامل لأناس ذوى كفاءات مختلفة و إنتاجية مختلفة يحصلون على أجور مختلفة ، يقرّ بأن هذا مظهر من الحق البرجوازي و من ثمة مظهر لا يمكن تفاديه خلال المرحلة الإشتراكية ، كان أيضا يقرّ بأن مهمّة دكتاتورية البروليتاريا هي **تحديد** الحق البرجوازي و جزء من هذه المهمّة هو مواصلة تحديد هذه الإختلافات فى مداخيل الناس . لكن فى الخمسينات و رغم أنف ماو ، وقع فعلا تعميق هذه الإختلافات ، لا سيما فى ما يتّصل بقيادات الحزب و موظّفي الحزب لوقت كامل ، مع إيجاد بون شاسع فى مداخيل شتى درجات الموظّفين و بين الموظّفين و الجماهير .

و ضمن النضال ضد جميع مظاهر هذا الخط التحريفي و السياسات التحريفية عموما ، خلال هذه الفترة عاضد ماو تسى تونغ و ناضل فى سبيل نشر مقال تشانغ تشن تشياو ، وهو واحد من " مجموعة الأربعة " المتعرضة حاليا لأشرس الهجمات فى الصين ، و التى هاجمت إيديولوجيا الحق البرجوازي . يشير المقال إلى أن العديد ممّن يسمّون أنفسهم شيوعيين يعملون مثل البخلاء رافعين من أرقام حساباتهم المالية . إذ كانوا يعاملون أنفسهم كالسلع و لئن قاموا بساعة عمل إضافية من أجل الثورة كانوا يطالبون بأجر إضافي . و قد نجح ماو ، إبان القفزة الكبرى إلى الأمام ، فى قيادة نضال تمكن من القطع و لو جزئيا مع هذا التوجّه .

و طفق ماو تسى تونغ فى خضم تجربة الإنتفاضة الجماهيرية الثوريّة للقفزة الكبرى إلى الأمام ينظر بوضوح أكبر إلى الطبيعة الطبقيّة للصراع و التناقضات فى المجتمع الإشتراكي ذاته و راح يطوّر خطّه الأساسي و نظريّته بشأن مواصلة

الثورة فى ظلّ ظروف تركّزت فيها الإشتراكية بالأساس بمعنى أنّه تمّ تركيز النظام السياسي الإشتراكي و دكتاتورية البروليتاريا و تمّ تحقيق التحويل الإشتراكي للملكية بصورة أساسية .

و إنجرت عن هذا قفزة نوعية فى تفكير ماو تسى تونغ سنة 1962 . ففى أوت و سبتمبر من تلك السنة ، فى الجلسة العامة للجنة المركزية الثامنة للحزب الشيوعي الصيني ، وضع ماو تسى تونغ ما صار يعرف بالخطّ الأساسي للحزب الشيوعي الصيني طوال المرحلة الإشتراكية :

" تمتدّ الإشتراكية على فترة تاريخية طويلة نسبيّا . طوال المرحلة التاريخية للإشتراكية ، تظلّ موجودة الطبقات و التناقضات الطبقية و الصراع الطبقي و كذلك يظلّ موجودا صراع بين الطريق الإشتراكي و الطريق الرأسمالي و خطر إعادة تركيز الرأسمالية . و يجب أن نعترف بالطابع المعقّد و المتشعّب لهذا الصراع . و يجب أن نرفع يقضتنا و أن نقيم تربية إشتراكية . و يتعيّن أن نفهم و نعالج بطريقة صحيحة التناقضات الطبقية و الصراع الطبقي و أن نفرّق بين التناقضات بيننا و بين العدو و التناقضات فى صلب الشعب ، و أن نعالجها بصيغة سليمة . و إلاّ سيتحول بلد إشتراكي كبلدنا إلى نقيضه و يتفسّخ و عندها ستحصل إعادة تركيز الرأسمالية . و من الآن فصاعدا يجب أن نتذكر هذا كلّ سنة ، كلّ شهر ، كلّ يوم لكي يمكن أن يكون لنا فهما بالأحرى صحيح لهذا المشكل و لكي يكون لنا خطّ ماركسي-لينيني"(49).

هذا التحليل المعبّر عنه هنا هو تطوير جديد فى النظرية الماركسية ـ اللينينية فهو تحليل يمثّل تقدّما نوعيا عن أي شئ تحقّق سابقا فى الحركة الشيوعية العالمية .

فى هذا المقتطف يشير ماو تسى تونغ إلى أنّه : " **يجب أن نقوم بتربية إشتراكية** " و فى سنة 1963 ، مواصلا ذلك ، بدأ الحزب ، بمبادرة من ماو ، بحركة التربية الإشتراكية التى كانت الغاية منها محاربة التحريفية و الممارسات البرجوازية و تفكيرها كذلك ، بطرق شتى ، كانت إعدادا للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى . فمن جهة ، أعدّت أرضية للثورة الثقافية و من جهة أخرى كانت محاولة أولى من قبل ماو لتطوير أشكال و طرق جديدة لمواصلة الثورة الثقافية فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا . و خلال هذه السنوات الأولى من الستّينات ، نظّمت البروليتاريا ،لا سيما بقيادة تشيانغ تشنغ هجوما حادا ضد التحريفيين فى ميدان محدّد هو ميدان الفنّ والثقافة و خلال هذه الفترة ، بدأت القوى البرجوازية الجديدة الأكثر إنغماسا و إختفاءا فى المجتمع الصيني الإشتراكي ، تشعر بأنّ وضعها فى غاية الخطر و بالتالى شرعت فى الظهور فى بداياتها ، فى صراعها مع البروليتاريا من أجل حكم المجتمع .

و كذلك ينبغى عدم نسيان أنّ فى الوقت ذاته ، كان الحزب الشيوعي الصيني يخوض صراعا مريرا أمميّا ضد التحريفية السوفياتية . و حينها إندلعت الجدالات المفتوحة بين الحزب الشيوعي الصيني و الحزب الشيوعي السوفياتي ، مع نشر الحزب الشيوعي الصيني ، ضمن أشياء أخرى ، للوثائق الهامة " **إقتراح حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية** " (جوان 1963) و " **تعليق حول الرسالة المفتوحة المركزية للجنة المركزية للحزب الشيوعي الشيوعي السوفياتي** " (سبتمبر 1963 – جوان 1964) ذى التسعة أجزاء . ذو دلالة خاصة الجزء الأخير من " تعليق حول الرسالة ... " ، خاصة لأن فيه يمكن أن نجد بشكل مقتضب الفهم الأساسي الذى كان ماو توصل إليه . حينذاك فيما يتعلّق بالصراع الطبقي فى ظلّ الإشتراكية . ضد الخط التحريفي الصريح الخارج من الإتحاد السوفياتي وقتها ، يركّز " **حول شيوعية خروتشاف الزائفة** ..." على أن الطبقات المتناقضة و الصراع الطبقي يبقيان موجودين فى ظلّ الإشتراكية عموما و أن قلب الحكم الطبقة العاملة ، دكتاتورية البروليتاريا و إعادة تركيز الرأسمالية فى المجتمع الإشتراكي ممكن لا فقط عبر التدخل المسلّح للبرجوازية الأجنبية (مثلما حصل مع كمونة باريس و الجمهورية السوفياتية المجرية فى 1919 ، و ما وقعت محاولته فى جمهورية روسيا السوفياتية بالضبط بعد تأسيسها) ، لكن كذلك حين تسلك دولة دكتاتورية البروليتاريا طريق التحريفية ، و طريق " التحول السلمي " [إلى الرأسمالية] كنتيجة لتفسخ قيادة الحزب و الدولة (50). وينتهى هذا المقال بمجموعة إجراءات يمكن لدولة إشتراكية ، و يجب عليها أن تتّخذها لتجنّب إعادة تركيز الرأسمالية .

لم يستعمل " **حول شيوعية خروتشاف الزائفة**..." كسلاح فى الصراع العالمي بين الماركسية و التحريفية الذى كان يخاض آنذاك فحسب بل أيضا فى ذات نوع الصراع الذى كان يخاض بحدّة داخل الحزب الصيني ذاته كإنعكاس مركّز للصراع الطبقي فى المجتمع ككلّ . هام كذلك لأنه يبيّن من جهة مستوى الفهم الماركسي – اللينيني لدينامية الإشتراكية و الصراع

الطبقي فى ظل دكتاتورية البروليتاريا الذى لم يسبق له مثيل ، و الذى كان يصوغه ماو تسى تونغ و لأنّه من جهة أخرى يبيّن أن تحليل ماو لم يفتأ يتطوّر و أنّه لم يتوصل إلى مستويات جديدة سيبلغها بإرتباط بالثورة الثقافية .

يصرّح المقال :

" فى الإتحاد السوفياتي حاليا ، لم ينمو فقط عددُ عناصر البرجوازية الجديدة كما لم ينم أبدا ، و إنّما تغيّر بالأساس مستواها الإجتماعي . قبل صعود خروتشاف إلى السلطة ، لم تكن تحتل المواقع القيادية فى المجتمع السوفياتي . كانت نشاطاتها محدّدة بطرق شتى ، و كانت محلّ هجوم . غير أنّه منذ أن إنتصر خروتشاف مغتصبا قيادة الحزب و الدولة خطوة خطوة ، صعدت عناصر البرجوازية الجديدة تدريجيا إلى موقع السلطة و الحكومة ، و فى الإقتصاد و الثقافة و مجالات أخرى و مثّلت شريحة متميّزة فى المجتمع السوفياتي ". (51)

و مع ذلك ، رغم عديد الإيضاحات ، بعد ذلك فى تحليله للطبقات و بوجه خاص البرجوازية ، فى ظلّ الإشتراكية ، لم يكن هذا العمل تام الوضوح ، لا سيما فيما يتّصل بدور العناصر البرجوازية داخل الحزب و طبيعتها . و ما كان كذلك واضحا تمام الوضوح فيما يتّصل بمنبع البرجوازية و أساسها المادي فى ظلّ الإشتراكية ، خاصة إثر تركيز الملكية الإشتراكية (فى الأساس).

فى توثيق وجود العناصر البرجوازية فى الإتحاد االسوفياتي ، ركّز على النشاطات غير القانونية مثل المحسوبية و السوق السوداء و التملّك غير القانوني للملكية الجماعية إلخ . و عند تعداد منابع عناصر البرجوازية الجديدة التى تقوم بذلك و بنشاطات أخرى ، يلمح إلى (إضافة إلى الإستغلاليين المطاح بهم و الرأسمالية العالمية) التفسخ السياسي الذى يظهر ضمن الطبقة العاملة و موظفى الحكومة و " المفكرين البرجوازيين الجدد فى المؤسسات الثقافية و التربوية و حلقات المثقفين " و أيضا "عناصر رأسمالية جديدة " " تنتج بإستمرار و بعفوية فى أوساط البرجوازية الصغيرة " (لافتا النظر إلى بقايا الإنتاج على النطاق الصغير و التجارة " (52). غير أنه يحدّد التحريفيين (أتباع الطريق الرأسمالي) فى أعلى مستويات قيادة الحزب و الدولة ، بما فيها الوزارات و المؤسسات الإقتصادية ، كفئة إجتماعية مكوّنة لطبقة برجوازية داخل المجتمع الإشتراكي ذاته و مركز قيادتها بالضبط داخل الحزب الشيوعي . و لا يشدد بما فيه الكفاية على المسألة المحورية و مفادها أنّه يمكن لهؤلاء التحريفيين ، فى الأوساط و القطاعات التى يسيطرون عليها ، حتى فى ظلّ الإشتراكية ، أن يمسكوا بأيديهم و يوسّعوا المظاهر الرأسمالية داخل علاقات الإنتاج الإشتراكية ذاتها – بقايا اللامساواة ، وجود الحق البرجوازي إلخ داخل و بين الوحدات الإقتصادية – لتُحوّل الملكية الإشتراكية إلى مظهر خارجي فقط ، و بهذه الطريقة يتمّ تحويل الملكية الجماعية إلى ملكية خاصة (رأسمال) و بناء قوّتهم فى الإعداد لمحاولة شاملة للإستيلاء على السلطة ، و بعدها إعادة تركيز الرأسمالية فى المجتمع برمّته .

لكلّ هذا و غيره لم يمثّل " **حول شيوعية خروتشاف الزائفة** ..." التطوير التام لتحليل ماو للبرجوازية و خطر إعادة تركيز الرأسمالية فى الريف الإشتراكي و لم يمثّل تطوير وسيلة للصراع ضدّها . بيد أنّه فى هذه الفترة عينها ، أعرب ماو تسى تونغ عن عدد من التعليقات الجادة للغاية و الصائبة ، لا سيما فيما يتعلق بأولئك الموجودين فى مواقع السلطة فى المجتمع الإشتراكي الصيني ، التى تبيّن التوجه الأعمق الذى كان ينزع إليه فكره . فمثلا ، أبدى حينها الملاحظة التالية :
" تحوّلت الكوادر القيادية التى تتبع الطريق الرأسمالي أو هي بصدد التحوّل إلى عناصر برجوازية تمتصّ دم العمال ".
(53). و مسلّطا مزيدا من الضوء على هذا قال بكلمات طبقية فى 1964 :

" الطبقة البيروقراطية من جهة و الطبقة العاملة إلى جانب الفلاحين الفقراء و المتوسطين الأدنى من جهة أخرى هما الطبقتان المتناقضتان تناحريا " (54)

ما يتفوّه به ماو لا يفيد أن جميع من يعمل فى وظيفة أو أي موظف أو كادر هو بيروقراطي يمتصّ دم العمّال و عنصر برجوازي جديد . بالفعل فى الحالات الأهمّ و الأغلب ، كانت علاقاتهم مع العمّال و الفلاّحين علاقات تعاون رفاقي لكن من ناحية أخرى ، وُجدت بعض اللامساواة الفعليّة بينهما . لقد إحتلّوا موضوعيا مواقعا متنوّعة فى النظام الإشتراكي . و أنجز الكوادر ، لا سيما الموظفون القياديّون المتفرّغون ، عملا من طراز مختلف عن عمل جماهير الشعب الكادح ، فنسبيا إحتلوا

مواقعا ذات إمتيازات أكبر و كانوا يتقاضون أجورا أرفع و لديهم نزعة نحو نظرة مختلفة – متجانسة مع نظرة البرجوازية الجديدة – و نحت الظروف المادية لحياتهم نحو تشجيع هذه النظرة المغايرة و تعزيزها. و كان من الضروري خوض صراع لمنع هؤلاء من المضي فى الطريق الرأسمالي فى إنجاز الأشياء و إتباع القادة التحريفيين فى القمّة فى تطبيق الطرق الرأسمالية و سلوك الطريق الرأسمالي .

حينذاك ، فى صيف 1964 ، كانت لماو جملة من النقاشات مع حفيده ماو يوان هسين (الذى كان من أنصار ماو تسى تونغ الأقرب ، و يصفونه الآن ب" نصير وفي " و " مشارك وفي " لما يسمّيه التحريفيون الصينيون " مجموعة الأربعة "- و قد وقع إيقافه و / أو ظاهريا قُتل حين وقع الإنقلاب بعد موت ماو) فى هذه السلسلة من النقاشات يطرح ماو مسألة فى منتهى الأهمية :

" الرئيس : **هل ستدرس الماركسية - اللينينية أم التحريفية ؟**
يوان هسين : **بالطبع أدرس الماركسية - اللينينية .**
الرئيس : **لا تكن بهذه الثقة ، من يدرى ما الذى تدرسه فى الواقع ؟ هل تعلم ما هي الماركسية - اللينينية ؟**
يوان هسين : **الماركسية – اللينينية هي أنّه علينا أن نواصل الصراع الطبقي ، أنّه علينا أن نخوض الثورة إلى النهاية .**
الرئيس : **الفكرة الجوهرية للماركسية - اللينينية هي أنّه علينا أن نخوض الثورة إلى النهاية . لكن ما هي الثورة ؟ الثورة هي أن تطيح البروليتاريا بالرأسماليين و أن يطيح الفلاّحون بالملاك العقاريين و ان تركز تاليا نظاما سياسيا للعمال و الفلاحين و يستمرّ توطيده . الآن ، مهمّة الثورة لم تنته بعدُ ، لم يتحدّد بعدُ من فى النهاية سيلحق الهزيمة بمن . فى الإتحاد السوفياتي، ألا يوجد خروتشاف فى السلطة ، أليست البرجوازية فى السلطة ؟ عندنا كذلك ، فى بعض الأماكن ، تمسك البرجوازية بالسلطة فهنالك فرق إنتاج و مصانع و لجان على مستوى (هسيان- كلمة صينية) و كذلك لجان منطقة و مقاطعة حيث تجد أتباعهم . و هنالك أيضا نواب قادة أقسام الأمن العام من أتباعهم .** " (55)

هنا ما يعرب عنه ماو هو أنّه رغم أن لدينا شكل إشتراكي و أن كلّ واحد يدعى كونه ماركسي – لينيني ، المسألة المحدّدة هي المحتوى ، المضمون ، هل أن الماركسيين و الجماهير الشعبية فى القيادة و يقودون المجتمع فى إتجاه الشيوعية أم هل أن التحريفيين و حفنة من العناصر البرجوازية فى القيادة و يقودون الأشياء فى إتجاه مغاير تماما، نكوصا نحو الرأسمالية ؟

و بالطبع ، يتطلّب التراجع من الإشتراكية إلى الرأسمالية تغيّرا نوعيّا ، يتطلّب السيطرة لا فقط على هذا المجال أو ذاك من الإقتصاد ، هذا أو ذاك الجزء من البنية الفوقيّة ، هذه أو تلك المؤسسة أو قسم الأمن لكن هذا يعنى بالأحرى المسك بالسيطرة على المجتمع ككلّ و تحويله كليّا . لكن ماو يلفت النظر إلى أنّه حتى داخل النظام اشتراكي هنالك جيوب – و ليست جيوب غير ذات أهمية – تسقط تكرارا تحت سيطرة العمل بالنظرة البرجوازية و العمل بأسلوب حياة البرجوازية و طريقة قيام البرجوازية بالأشياء و التى هي وسيلة بالتالى لسياسات و ممارسات البرجوازية و الشروع بالأساس فى تركيز علاقات رأسمالية تحت قناع الماركسية - اللينينية .

و هكذا يثير هذا المسألة الجوهرية التى لم تحل بعد ، مسألة من سيلحق الهزيمة النهائية بمن ؟ فحتىّ فى ظلّ الإشتراكية ، كان ماو تسى تونغ يقول إنّه من الضروري بالنسبة للبروليتاريا **أن تواصل** الإطاحة بالبرجوازية ليس طبعا بمعنى أن للبرجوازية سلطة عليا و أنّها تسيّر المجتمع بأسره لكن بمعنى أنّ على الطبقة العاملة أن تنتفض بإستمرار و تكرارا و أن تتحرك لتقضي على المواقع البرجوازية فى السلطة و هكذا تعيد السيطرة على هذه الأجزاء من سلطة المجتمع التى وقع إخراجها عن سيطرة البروليتاريا . وبطبيعة الحال ستظل توجد أجزاء من المجتمع لم تقدر بعد الطبقة العاملة ، فى وقت معيّن ، على كسب السيطرة الفعليّة عليها ، لذلك فى هذه الأوساط ، يمكن أن تكون المسألة مسألة تركيز سلطة البروليتاريا لأوّل مرّة . و هذا هو الوضع فى الصين بشأن الفن و الثقافة الثوريين .

و صيغت هذه المسألة الجوهرية مباشرة فى جزء مركزيّ من القانون الأساسي للحزب الشيوعي الصيني فى مؤتمريه ، التاسع و العاشر (فى 1969 و 1973) :

" البرنامج الأساسي للحزب الشيوعي الصيني هو الإطاحة الكلّية بالبرجوازية و كافة الطبقات المستغِلة الأخرى و تركيز دكتاتورية البروليتاريا عوض دكتاتورية البرجوازية و ضمان إنتصار الإشتراكية على الرأسمالية . والغاية الأسمى للحزب هي تحقيق الشيوعية "[خط التشديد مضاف]. (56)

و ممّا يشير إلى الدلالة الكبرى لهذه النقطة أن التحريفيّين حين إستولوا على السلطة العليا بعد وفاة ماو تسى تونغ ، قاموا بإعادة صياغة القانون الأساسي للحزب و فيما يخصّ هذه النقطة الجوهرية – البرنامج الأساسي للحزب – نزعوا كلّ ما يتعلّق بالإطاحة من القانون الأساسي و صارت الصياغة الآن تعبّر عن أنّهم س" يلغون البرجوازية و كل الطبقات المستغِلة خطوة خطوة " .(57)

و اليوم قد يبدو للوهلة الأولى أن هذا التغيير ليس بتلك الدلالة أو حتى أن الصيغة الجديدة للبرنامج الأساسي أصحّ . و يمكن أن تكون قد تمّت مهمّة الإطاحة بالبرجوازية و الطبقات المستغِلة الأخرى و أن المهمّة الآن هي القضاء عليها . لكن هذا يحجب أو ينفى فى الواقع شيئا هاما جدّا ألا وهو أنّه طالما أن البرجوازية موجودة لن تسعى فقط للإطاحة بالبروليتاريا و تركيز الرأسمالية و إنّما كذلك ستسعى إلى أن تنجح كجزء من ذلك فى الإستيلاء على أقساط من السلطة حتى فى ظروف تُمسك فيها البروليتاريا بالسلطة فى كلّ المجتمع . و تضحى المسألة أكثر إلحاحا عندما يفهم أنّ مركز قيادة البرجوازية و قادة القوى الرجعية فى المجتمع هم بالضبط التحريفيون داخل الحزب الشيوعي ذاته ، لا سيما فى مستوياته العليا .

لأجل معالجة هذا المشكل و مواصلة توطيد دكتاتوريّتها و التقدّم صوب الشيوعية ، ليس على البروليتاريا مجرّد القضاء على البرجوازية (و عناصر الطبقات الإستغلالية الأخرى) و إنّما عليها بإستمرار أن تسترجع أقساط السلطة التى إستولت عليها البرجوازية . و هذا يعنى الإطاحة بهؤلاء التحريفيين الذين لا يهزمون بسهولة و الذين يحتلّون هذه المواقع من السلطة و الذين يعملون من أجل تركيز الطريق الرأسمالي . بعبارات أخرى ، يعنى القضاء على البرجوازية **الإطاحة** بها تكرارا بتعبئة الجماهير للمسك **من الأسفل** بهذه الأقساط من السلطة التى تستولى عليها البرجوازية بإستمرار فى المجتمع الإشتراكي . هذه هي النقطة التى يشدّد عليها ماو حين يركّز(فى هذه الأحاديث مع حفيده ماو يوان هسين) فى 1964 على أن مسألة من سيطيح بمن لم تحدّد بعدُ .

حينها أوضح ماو ما يمثّل الخطر الأساسي أمام التقدّم المتّصل للإشتراكية نحو الشيوعية و هكذا إلى ما يمثّل الهدف الأساسي للثورة فى مرحلتها الراهنة . متحدّثا بمضمار حركة التربية الإشتراكية التى كانت تتطوّر حينذاك :

" الهدف الأساسي للحركة الراهنة هم مسؤولو الحزب فى السلطة السائرين فى الطريق الرأسمالي " (58)

بكلمات أخرى ، الهدف الأساسي لم يعد البرجوازية فى المجتمع ككلّ أو خارج الحزب بوجه خاص ، بل أصبح الهدف عناصر الحزب فى السلطة السائرين فى الطريق الرأسمالي أو " أتباع الطريق الرأسمالي " كما أمسوا يسمّون .

و بمستطاعنا أن نرى أن هذا تقدّم آخر له دلالة فى فهم الصراع الطبقي فى ظلّ الإشتراكية ، هذا الفهم الذى تعمّق فى سيرورة السنوات القليلة الموالية ، مع إحتداد الصراع الطبقي فى الصين . و طبعا لما نظّم ماو هجوما على التحريفيين فى الحزب جاعلا إيّاهم الهدف الأساسي قام هؤلاء بهجوم مضاد و سعوا بجميع الطرق الممكنة إلى أن يصدّوا الدعاية لسياسات ماو هذه و تبنّيها من قبل الحزب و حيث لم يستطيعوا ذلك سعوا بشتى الطرق أن يصدّوا تجذيرها و بوجه خاص حينها فعلوا ما يقدرون عليه لتغيير وجهة حركة التربية الإشتراكية و تحويلها إلى قتال داخل الجماهير .

<u>الثورة الثقافية :</u>

و راحت الأشياء تبلغ قمّتها و إنفجرت سنتين بعد ذلك مع الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى . هنا لا يسمح المجال بإعادة رواية التاريخ من جديد ، تاريخ هذه الثورة غير المسبوقة و التى هزّت الأرض هزّا ، و مختلف الأحداث و الإلتواءات و المنعرجات التى شهدتها . ما يهمّنا هنا هو أساس الثورة الثقافية و كيف أن النظريّة التى قادتها مثّلت أهم مساهمات ماو تسى تونغ الخالدة فى علم الماركسية – اللينينية .

فى 1967 ، شرح ماو ضرورة هذه الثورة الثقافية بهذه الكلمات :

" فى الماضى خضنا صراعات فى الريف و فى المصانع و فى المجال الثقافي و نظّمنا حركة التربية الإشتراكية . لكن كلّ هذا أخفق فى معالجة المشكلة لأنّنا لم نجد طريقة و وسيلة لإستنهاض أوسع الجماهير فى كافة المجالات لعرض جانبنا الأسود بوضوح و بشمولية و من الأسفل " . (59)

يوفّر هذا الموقف عدّة معطيات منها أن الثورة الثقافية لم يسبق لها مثيل لا بشكل عام أو فى الصين و إنّما فى تاريخ الإشتراكية . و يتضارب هذا الموقف مع جميع " قواعد " ما كان مفترضا أن تكونه الإشتراكية ، ما كان مفترضا أن يكونه الحزب الشيوعي إلخ . و بالطبع هذا صحيح فقط بمعنى سطحي لأن الهدف الوحيد للحزب الشيوعي فى الواقع هو قيادة البروليتاريا فى إنجاز الثورة لتحقيق الشيوعية و هذا ما كان ماو يقود الحزب الشيوعي الصيني لإنجازه . غير أنه كان شيئا يتضارب مع كافة التقاليد و قوّة العادة التى ترسّخت وغدت فعلا حواجزا فى ظلّ الإشتراكية . ترسّخت العادات و التقاليد الإجتماعية بفعل مئات و آلاف السنوات من المجتمع الطبقي و إتباع هذه التقاليد لن يقود إلى مجتمع خال من الطبقات .

و طبعا لم يسبق أن دعى رئيس حزب شيوعي الجماهير للإنتفاض و الإطاحة بأشخاص أقوياء فى الحزب . لكن الثورة لا تسير حسب نموذج سابق و بالفعل داخل الحزب كان هنالك مركز قيادة أتباع الطريق الرأسمالي و لهم آليّتهم الخاصة و مركز قيادتهم فكانت الثورة ضرورية لإزاحتهم من مواقعهم لأجل تجنيب الصين العودة إلى الطريق الرأسمالي .

هكذا ، لخّص ماو أنّه غير كاف الحديث عن المسك بالدور القيادي للحزب إلخ . فالمسألة مسألة تثوير مستمرّ للحزب كجزء من تثوير المجتمع كافة . و طبعا بصورة عامّة ، على الحزب أن ينهض بدوره القيادي . لما كان الحزب يُرجّ إلى عروقه فى الصين و لما كفّ عن الوجود فى عديد المجالات ، لم يتخلّ أبدا عن الوجود قوميا و كانت لماو النيّة المتواصلة لإعادة بنائه . و كانت الثورة الثقافية أيضا طريقة لإعادة بناء الحزب و تعزيزه و القيام بذلك وحدة وحدة ، منطقة منطقة و من الأسفل إلى الأعلى ، بالإستناد إلى حركة الجماهير الشعبية . و لئن لم يتم تثوير الحزب و لم يتم إستنهاض الجماهير لمعرفة أعلى القادة الحزبيين الذين يسعون إلى تحويله إلى حزب برجوازي قصد فضحهم فى وضح النهار و الإطاحة بهم و تمكين الجماهير من النقد و مراقبة الكوادر القيادية عامة ، لئن لم يتمّ ذلك **سيستحيل** الحزب بفعل قوّة العادة و حركة الموظّفين السامين التحريفيين الواعية إلى وسيلة بأيدى البرجوازية و ينتهج "سلميّا " الطريق الرأسمالي بقيادتها .

لخّص ماو هذه النقطة المهمّة للغاية من التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا سواء فى الصين و عالميّا لا سيما الثورة المضادة فى الإتّحاد السوفياتي و طفق يطوّر طرق و وسائل إعادة بناء الحزب و تثويره ، مطهّرا من صفوفه أولئك فى السلطة أتباع الطريق الرأسمالي . و مرّة أخرى ، الطريقة ، الوسيلة التى وجدت كانت بالأساس **التعويل على الجماهير** . و وقعت إعادة بناء الحزب فعليّا بوضع قادة الحزب و عناصره أمام الجماهير ليتلقوا نقدها و يخضعوا لمراقبتها . بهذه الطريقة ، فضلا عن قيادة مركز القيادة البروليتارية فى الحزب و على رأسه ماو ، جرى إصلاح وحدات الحزب فى مستويات عديدة و جرى ربطها تبعا للمبادئ التنظيمية للمركزية الديمقراطية . و مثلما مرّ بنا ، مثّل هذا التصحيح للحزب شأنه شأن الثورة الثقافية ككلّ ، حدثا لم يسبق له مثيل . ذلك أنّه بالنسبة للحزب و كذلك بالنسبة للمجتمع برمّته ، تحدّد ان ما يسمى ب" الطرق العادية " للقيام بالأشياء غير كافية لإقتلاع التحريفيين و رجّ المستويات العليا من الحزب ، بالخصوص إقتلاعهم من الإطار البيروقراطي الذين يتشكّلون ضمنه بصورة تصاعديّة . و لخّص ماو أنّه على الحزب أن يواصل دوره كجهاز قيادة للبروليتاريا ، دوره فى مواصلة الصراع الطبقي فى ظلّ الإشتراكية لكن يمكن كذلك أن يغدو وسيلة لشريحة بيروقراطية تعمل لأجل مصالح برجوازية . فقط تعبئة الجماهير و التعويل عليها ، بقيادة خط ماركسي – لينيني هي الكفيلة بمعالجة هذا المشكل . (و هذا وثيق الإرتباط بتحليل ماو تسى تونغ للبرجوازية فى صفوف الحزب ذاته وهو ما سنتطرق له بالتفصيل لاحقا) .

بفضل هذه الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ، حصلت تغييرات أخرى لا فحسب فى الحزب بل كذلك فى المجتمع برمّته . هنا مرّة أخرى ، أنجزت الطبقة العاملة و الجماهير الشعبية بقيادة ماركسيين شيوعيين ثوريين آخرين تغييرات غير مسبوقة حيث وقع تقليص تقسيمات و إختلافات بين شرائح و قطاعات إجتماعية متغايرة ، بما فى ذلك الإختلافات بين المدينة

و الريف . نهض الشعب بمئات ملايينه مطوّرا و معزّزا علاقات إقتصاديّة و إجتماعيّة جديدة و كذلك مثوّرا الثقافة و تفكير الناس إلخ و أيضا أشكالا متنوّعة من الصراع الخاص بالثورة الثقافية – الدازيباو [نصوص على أوراق بحروف كبيرة تعلق على الجدران] و النقد الجماهيري و العلني للأشخاص فى السلطة و تنظيم ألوية من الشباب غدت تعرف ب" الحرس الأحمر " و ما إلى ذلك .

لقد ساند ماو بحماس صراعات الجماهير و مبادراتها و حثّها دوما على المثابرة على نهوضها الثوري و مثال ذلك كتابته لرسالة إلى الحرس الأحمر يقول فيها إن أعمالهم :

"... تعبّر عن كرهكم لطبقة الإقطاعيين و البرجوازية و الإمبرياليين و التحريفيين و عملاءهم ، كلّ الذين يستغلّون و يضطهدون العمّال و الفلاحين و المثقّفين الثوريّين و الأحزاب و المجموعات الثوريّة و تشهيركم بهم . إنّها تبيّن أنه من حقنا أن نثور ضد الرجعيّين . أنا أساندكم بحماس " (60)

لتقديم القيادة و التوجيه للجماهير فى هذه الصراعات الجماهيرية القائمة ، فى أوت 1966 ، صيغ " **قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني حول الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى**" (جميع الإستشهادات التالية مقتطفة من هذه الوثيقة الحاملة للعنوان ذاته) (61). وقد صيغت هذه الوثيقة المشهورة ب " قرار ال16 نقطة " تحت الإشراف الشخصي لماو تسى تونغ و مثّلت بديهيا إنتصارا لخطّه على المعارضة الشرسة فى الأجهزة القيادية للجنة المركزية للحزب . فى هذا القرار ثمّة عدّة نقاط هامة تستدعى الدراسة الممحّصة من كافة الشيوعيين . و من النقاط التى نبرز هنا النقاط التالية الذكر : يوضح " قرار ال16 نقطة " : " **تتوقف نتيجة هذه الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى على ما إذا كانت قيادة الحزب تقدم على تعبئة الجماهير دون تحفظ أم لا** ." و عنوان هذه الفقرة يمكن أن يعتبر شعار الثورة الثقافية : " **أعطوا الأولويّة للإندفاع و عبؤوا الجماهير دون تحفظ** " . و فى المضمار ذاته تشير الوثيقة ، فى القسم الموالى إلى أن :" **الطريقة الوحيدة فى الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى هي أن تحرّر الجماهير نفسها بنفسها ، و لا يجوز إستعمال أية طريقة تقوم على الإضطلاع بالعمل بدلا عن الجماهير** " . و يعيد " القرار" التأكيد على أن " **الهدف الرئيسي من الحركة الراهنة هو أولئك الذين فى داخل الحزب و يتبوّأون السلطة و يسيرون فى الطريق الرأسمالي** " و يقدّم توجيها أساسيّا حول الحلّ الصحيح لكلّ من التناقضات فى صلب الشعب و مسألة الكوادر و كذا السياسة حيال العلماء و التقنيّين و " العناصر العادية من مجموعات العمل " (مثلا أولئك الذين ليسوا فى السلطة) و يتحدّث عن الخط حول التربية و القوّات المسلّحة . و يركز على الترابط الفعلي بين الثورة و الإنتاج : " **الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى هي قوّة محرّكة جبّارة لتطوير القوى المنتجة الإجتماعية فى بلدنا . و كل تفكير فى معارضة الثورة الثقافية الكبرى بتطوير الإنتاج سيكون خاطئا** ."

و ربّما الأهمّ بالنسبة للموضوع الذى نحن بصدده أن " قرار ال16 نقطة " يتطرّق كذلك للمنظمات التى أوجدتها الجماهير :
" بدأت أشياء جديدة كثيرة تظهر فى الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى . فالجماعات و اللجان و الأشكال التنظيمية الأخرى للثورة الثقافية التى خلقتها الجماهير فى كثير من المدارس و الهيئات ، هي شئ جديد و ذو أهمية تاريخية كبرى. هذه الجماعات و اللجان و المؤتمرات الثوريّة الثقافيّة هي أشكال تنظيميّة جديدة ممتازة تربّى الجماهيرنفسها فيها بقيادة الحزب الشيوعي . إنّها جسر ممتاز لإبقاء حزبنا على صلة وثيقة بالجماهير . إنّها أجهزة سلطة للثورة الثقافية البروليتارية ."

و من خلال سيرورة تطوّر الثورة الثقافية ، أضحت هذه المجموعات اللجان الثورية التى تركّزت فى شتّى مستويات المجتمع . ولاقت إبداعات الجماهير إيّاها بالطبع مساندة ماو . و بالضبط كما كان متوقّعا سعى أتباع الطريق الرأسمالي الذين إستولوا على جزء من السلطة فى الصين آنذاك إلى القضاء عليها فى مستوياتها القاعدية فى المجتمع و إلى تحويلها إلى أدوات برجوازية – بيروقراطية و الإبقاء عليها شكليا .

فى خضم سيرورة الثورة الثقافية لم يقف ماو مكتوف الأيدي بل واصل تلخيص ممارسة الثورة إلى حينها و رسم إستراتيجيا و تكتيك مضيّها قدما . وعرفت الثورة الثقافية ذاتها عدّة منعرجات و إلتواءات خلالها جميعا قدم ماو القيادة للنضال لكن ما سنركز عليه هنا هو السيرورة الشاملة للثورة الثقافية و الدروس النظرية **العامة** التى إستخلصها ماو .

أحد أعمق و أهمّ هذه الدروس هو أنّه ليس كافيا خوض صراع ضد التحريفيين " فى القمّة " فحسب – يعنى فى الأجهزة القياديّة للحزب و الدولة فحسب ، أو " من الأعلى إلى الأسفل " فحسب – يعنى التعامل مع التحريفيين و المضادين للثورة الآخرين بقرار الأجهزة القيادية أوّلا ثمّ القيام بتربية صفوف جماهير الحزب و الجماهير بشأن طرد شخص ما مهما كانت السياسات و المسائل إلخ المتعلقة بالخطّ . عوض ذلك من الضروري مثلما قال ماو إستنهاض أوسع الجماهير و قيادتها فى خوضها الصراع و إلحاقها الهزيمة بالأعداء الطبقيين **من الأسفل** .إنتفاضة جماهير الثورة الثقافية لم يسبق لها مثيل و مثّلت على نطاق واسع و عميق وسيلة و طريقا جديدين فى الإطاحة بأتباع الطريق الرأسمالي المتمترسين و فى مزيد تثوير المجتمع بما فى ذلك الحزب .

صرّح ماو تسى تونغ مرارا أن الثورة الثقافية كانت " مطلقة الضرورة " . و فى خطابه فى الإجتماع الموسّع للجنة المركزية التاسعة للحزب الشيوعي الصيني فى أفريل 1969 ، أبدى ملاحظة هامة بصدد لماذا كان ذلك كذلك :

" يبدو من الجوهري أن نواصل جهودنا للمضي بالثورة الثقافية البروليتارية الكبرى إلى النهاية . فقاعدتنا لم تتعزّز . من ملاحظاتى الخاصة ، أقول إنّ فى الغالبية الكبرى من المصانع و لا أعنى الغالبية الغالبة أو الساحقة ، ليست القيادة بأيدى الماركسيين الحقيقيين و جماهير العمال . و لا يعزى هذا إلى أنه لم يوجد أناس جيدون فى قيادة المصانع . وجدوا . وجد أناس جيدون ضمن الكتاب العامين والكتاب العامين المساعدين و عناصر لجان الحزب و ضمن لجان و فروع الحزب . غير أنهم إتبعوا خط ليوتشاوتشى الداعي بالضبط إلى الدوافع المادية ، واضعا الربح فى مصاف القيادة و لم يكونوا ينشرون السياسات البروليتارية ، و عوض ذلك كانوا يطبقون نظام العلاوات إلخ ... لكن وجد فعلا أناس سيّئون فى المصانع ... و هذا يثبت أن الثورة لم تنته بعدُ " (62) .

و ينجم عن الجمل الأخيرة أن الثورة الثقافية بينما كانت تحاول أن تمنع مسك التحريفيين بالسلطة و منع إعادة تركيز الرأسمالية آنذاك ، لم تحل و لم تستطع أن تحلّ هذا المشكل مرّة واحدة . لذا يجب مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا لمدّة طويلة . و بالفعل عبر فترة إنتقاليّة طويلة نحو الشيوعيّة – فعلا طوال السيرورة الكلّية لدكتاتورية البروليتاريا إلى أن تضمحلّ كلّيا البرجوازية و كلّ الطبقات الإستغلالية و إلى أن تمحى الطبقات ككلّ هي و الأساس الذى أفرزها . و مثلما أكّد ماو عدّة إنتفاضات جماهيرية أخرى مثل إنتفاضة الثورة الثقافية فى سنواتها الأولى ستكون ضرورية مستقبلا لأجل تحقيق هذه المهمّة التاريخية ، إلى جانب شعوب العالم قاطبة .

و لهذا وشائج مع الهدف الأعمق للثورة الثقافية . فى سنة 1967 و فى أتون النهوض الثوري ، صرح ماو :

" الآن أودّ أن أطرح سؤالا : ما هو حسب رأيكم هدف الثورة الثقافية الكبرى ؟ (أحدهم أجاب فورا : إنه النضال ضد الماسكين بالسلطة داخل الحزب السائرين فى الطريق الرأسمالي .) النضال ضد الماسكين بالسلطة داخل الحزب السائرين فى الطريق الرأسمالي هو المهمة الأساسية و ليس البتة الهدف . فالهدف هو معالجة مشكلة النظرة إلى العالم ، إنه مسألة إجتثاث التحريفية من جذورها .

لقد شدّد المركز مرارا على أهمّية التربية الذاتيّة لأن النظرة للعالم لا يمكن فرضها على أي كان ، و تمثّل إعادة التشكيل الإيديولوجي مظهرا خارجيا يؤثر على المظاهر الداخلية ، مع أن المظاهر الداخلية هي التى تلعب الدور الأساسى ، إذا لم يتمّ إصلاح النظرة إلى العالم فإنه رغم إزاحة ألفي تابع للطريق الرأسمالي فى خضم هذه الثورة الثقافية الكبرى الراهنة ، يمكن لأربعة آلاف آخرين أن يظهروا فى المرّة القادمة . إنّنا بصدد دفع ثمن باهض للغاية فى هذه الثورة الثقافية الكبرى. فالصراع بين الطبقتين و الخطّين لا يمكن حسمه بثورة ثقافيّة أو ثورتين أو ثلاث أو أربع ، لكن نتائج الثورة الثقافيّة الراهنة تحتاج منّا أن نعزّزها لمدّة على الأقل خمسة عشرة سنة . كل مائة سنة ينبغى القيام بثورتين ثقافيتين أو ثلاث . لذلك علينا أن نبقي نصب أعيننا إقتلاع التحريفية و تعزيز قدرتنا على التصدى لها فى أي وقت . " (63)

خلال النهوض الجماهيري للسنوات الأولى أقامت سيرورة الثورة الثقافية الدليل و بقوّة على صحّة ما عبّر عنه لينين من أن الجماهير الشعبية تتعلّم فى بضعة أسابيع من النضال فى الفترة الثورية ما لم تستطع أن تتعلّمه فى سنين من " الأوقات العادية " و بيّنت أن ذلك يكتسى أهمّية حيويّة ليس بالنسبة للصراع فى المجتمع الرأسمالي فحسب بل كذلك فى المجتمع

الإشتراكي . لقد شدّد ماو مرّة فمرّة على أنّه لا يمكن التعويل إلاّ على الجماهير الواسعة . لا يمكن لدكتاتورية البروليتاريا أن تكون فعليّة إلاّ إذا مارستها أوسع الجماهير ذاتها بما يعنى إستنهاضها و تسليحها بالخط الماركسي – اللينيني للنضال ضد العدوّ الطبقي و تمكينها من التمييز بين الخطّ الصحيح و الخطّ الخاطئ و المصالح الفعلية للبروليتاريا و مصالح البرجوازية أثناء سيرورة نضالها هي بالذات و دراسة الماركسية – اللينينية للتمكّن من إستيعاب مواقفها الأساسية و وجهة نظرها و طريقتها .

و لخّص ماو أنّه إذا إستعملت أيّة طريقة أخرى فإنّ التحريفيّين سيستولون على المواقع القياديّة و سيتمكّنون من وضع " طابع الموافقة " الرسمي على خطّ الثورة المضادة - تحت قناع ماركسي - و ستجد الجماهير نفسها فى موقف إنتظاري سياسيا و ستقاد بإسم الإنخراط فى خطّ الحزب و الولاء للقيادة إلى جحيم الرأسماليّة . بإختصار ، يترتّب على دكتاتورية البروليتاريا ألاّ تعالج ميتافيزقا – بطريقة ستاتيكية و مطلقة – و إلاّ ضاعت . بيّن ماو أن ممارسة الدكتاتورية على البرجوازية تعنى و تعنى فقط **مواصلة** الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا ، مواصلة خوض الصراع الطبقي ضد البرجوازيّة و كافة الطبقات المستغِلة عبر الإعتماد على الجماهير الواسعة . و هذا لا يعنى أن نوع النهوض الجماهيري المميّز للسنوات القليلة الأولى من الثورة الثقافية ضروري و ممكن دائما بل ما يعنيه هو أن الجماهير ، عبر أشكال مختلفة ، ينبغى أن تتحرك سياسيّا و أن تقاد فى خوض الصراع الطبقي و أن هذا النهوض سيكون ، طوال المرحلة الإشتراكية ، أمرا " مطلق الضرورة غالبا " .

و مثلما أنفت الإشارة إلى ذلك ، ركّز ماو عدّة مرّات على أنّ الثورة الثقافية التى بدأت فى 1966 لا يمكنها أن تكون الوحيدة إذا كانت الصين تودّ البقاء بلدا إشتراكيا . فى مناسبات مختلفة صرّح ماو نوعا ما من التقديرات التى ستحدّدها الإلتواءات و المنعرجات فى الصراع الطبقي الدائر فى البلاد وعالميّا لكن أن تكون مثل هذه الثورة ضرورية تكرارا ، مرّة تلو المرّة ، طوال المرحلة التاريخية للإشتراكية . و أعلاه يشير ماو أيضا إلى **مرد** ذلك . بطبيعة الحال يمكن الإطاحة بأتباع الطريق الرأسمالي كهدف فى وقت معيّن ، و تنحيتهم جانبا ، و يمكن حتى كسب بعضهم بيد أنّه على إمتداد المرحلة الإشتراكية سيبرز أشخاص جدد (أو أحيانا الأشخاص ذاتهم مرّة أخرى) كقادة تحريفيين ممثّلين لبّ برجوازية جديدة و تتعيّن الإطاحة بهم بإستمرار لذلك ليست الغاية الفعليّة للثورة الثقافية ، حسب تصريح ماو ، فقط الإطاحة بأتباع الطريق الرأسمالي الذين ، حينها ، تمترسوا داخل حزب البروليتاريا ، لكن بالأحرى يجب أن تكون الغاية إعادة صياغة نظرة الجماهير الشعبية للعالم لكي تمسك بالموقف و النظرة و الطريقة البروليتاريين الماركسيين – اللينينيين و هكذا تتسلّح تدريجيا للتعرّف على التحريفيين و عزلهم و الإطاحة بهم متى بانت رؤوسهم و فى نفس الوقت يجب تعزيز سيطرتها على المجتمع (و الطبيعة) و قدرتها على كسب و إعادة صياغة تفكير الغالبية من المثقّفين و الكوادر إلخ.

و النقطة عينها وقع التشديد عليها كرّة أخرى حين تحدّث ماو بعد سنة ، فى 1968 عن الإنتصارات التى تحققت بفضل الثورة الثقافية :

" لقد أحرزنا الى حدّ الآن انتصارات كبرى لكن الطبقة المهزومة ستواصل التخبّط و لذلك لا يمكن لنا الحديث عن انتصار نهائي حتى بالنسبة للعشرينات القريبة القادمة فلا يجب أن نتخلّى عن يقظتنا . ان الانتصار النهائي لبلد اشتراكي ما لا يستدعي حسب وجهة النظر اللينينية جهود البروليتاريا و الجماهير الشعبية الواسعة لهذا البلد فحسب و لكنه يتوقف أيضا على انتصار الثورة العالمية و على الغاء نظام استغلال الانسان للانسان من الكرة الأرضية ممّا يمكّن الانسانية قاطبة من التحرّر و تبعا لذلك فإن الحديث بلا ترو عن انتصار نهائي لثورتنا خاطئ و مضاد للينينية و هو بالاضافة الى ذلك لا يتطابق مع الواقع ".(64)

هنا يوضّح ماو أن الإنتصار النهائي لا يمكن تحقيقه لمدّة طويلة لأنّ الطبقات المستغِلة لا تزال موجودة فى العالم ككلّ و لأن البرجوازية لا تزال موجودة فى الصين ذاتها . و فيما يتعلّق بالنقطة الثانية بالتحديد ليس ماو فقط بصدد تصوير ظاهرة (أن البرجوازية لا تزال موجودة فى الصين) و إنّما هو بصدد التشديد كرّة أخرى على **القانون الموضوعي** الجوهري **للمجتمع الإشتراكي** . و لخّص قبل سنوات خلت أن الإشتراكيّة ليست هدفا فى حدّ ذاته أو شيئا يمكن تعزيزه هكذا تماما ، بل هي بالتحديد مرحلة طويلة إنتقالية ، على مداها ستواصل البرجوازية وجودها و معها خطر إعادة تركيز الرأسمالية و أن

العلاقة المفتاح فى المثابرة على التقدّم نحو الشيوعية هي الصراع الطبقي ، فى وحدة مع صراع البروليتاريا و شعوب العالم قاطبة المضطهَدة .

عند هذه النقطة من تطوّر الثورة الثقافية - 1968 /1969 - لخّص ماو الحاجة إلى تغيير شكل الصراع و توفير قيادة لهذه السيرورة ، تأسيسا على المكاسب المحقّقة و التغييرات التى حصلت لدى كسبها . و مزيد تطويرها و توطيدها . و إتّبع ماو هنا قانون أن الصراع الطبقي لا يسير على نحو مستقيم و على الدوام على ذات المستوى من الحدّة بل بطريقة متموّجة أو لولبيّة . و مثّل المؤتمر التاسع للحزب فى 1969 تعزيزا للصراع و ما حقّقته الثورة الثقافية إلى حينها ، فى مرحلة معيّنة و ركّز قاعدة مواصلة الصراع و البناء إنطلاقا من هذه المكاسب فى الفترة اللاحقة . لكن فى الوقت ذاته ، حذّر ماو من أنّه حتّى و إن تغيّر شكل الصراع فإن هذا لا يعنى أن الصراع إنتهى و أنّه لن يكون هنالك بعد حاجة إلى الإطاحة بالقيادات البرجوازية فى الحزب . بالفعل بالضبط بعد المؤتمر التاسع ، صرّح ماو أن مثل هذه المعركة الشاملة من الوارد جدّا خوضها بعد بضعة سنوات .

و فعلا ظهر إلى السطح قادة برجوازيون جدد داخل الحزب فى السنوات القليلة الموالية و هذه المرّة منهم من إرتبطوا كثيرا بالثورة الثقافية . و المقصود هنا هو لين بياو الذى سعى إلى تنظيم إنقلاب فى 1971 بما فى ذلك مؤامرة لإغتيال ماو ، و قد مات فى حادث طائرة وهو يحاول الهروب من البلاد إثر فشل مخطّطه . لقد عرف ماو منذ البداية أن للين بياو مظاهرا خيانية رغم أنه قد لعب عموما دورا إيجابيا فى مرحلة سابقة من الثورة الصينية و رغم أن ماو أحسّ بضرورة التوحّد مع لين بياو خلال المرحلة الأولى من الثورة الثقافية للقضاء على اليمينيين المتمترسين بشدة و الموالين لليو تشاو تشى .

و مع أن هزيمة مؤامرات لين بياو و تفجير قيادته العامة تعد إنتصارا عظيما للبروليتاريا فإنّهما أنشآ كذلك ظروفا جديدة ، تناقضات و مشاكلا جديدة . أخذت عديد عناصر الحزب القديمة التى وقع كسبها إلى درجة أو أخرى - أو إجبارها - للمواصلة ، أثناء النهوض الجماهيري للثورة الثقافية و المساندة الحماسية التى لقيتها من ماو و قادة ثوريون آخرون ، أخذت تتراجع و تعارض مستغلّة خيانة لين بياو كعذر أو ذريعة لمعارضة الثورة الثقافية .

و بالفعل تعلل معارضو ماو بأنه بإعتبار أن لا أحد كان مثّل الثورة الثقافية مثل لين بياو و الآن كشفت حقيقته ، فإنه يجب الشكّ فى كل شئ دافع عنه و تدخّل فيه . لقد غضّوا النظر عن النواقص فى الطريقة التى دفع بها لين بياو الثورة الثقافية و أنّه زمن المؤتمر التاسع ، طفق يهاجم عدّة مكاسب و نجاحات حقّقتها الثورة الثقافية و أنّه قال إنّ الثورة إضطراب كان جيّدا لفترة (تحديدا طالما رفعته إلى الأعلى) لكنّه حان الأوان للجماهير أن تظلّ هادئة ، أن تضع أنوفها فى الأرض و أن تعتني بالإنتاج لا غير . سعى أولئك الذين إستغلوا الفرصة لمهاجمة الثورة الثقافية طبعا لتجاهل هذا أي الحقيقة اليمينية لخط لين بياو و كذلك فحواه اليميني و بدلا من ذلك أرادوا تصويره على أنّه " يساري متطرف " مسعور و من ثمة نعتوا الثورة الثقافية ككل بالنعت عينه .

إبّان هذا الصراع ، صاغ ماو بعض الملاحظات الهامة للغاية زادت من تعميق الفهم الماركسي - اللينيني لمواصلة الثورة فى ظل دكتاتورية البروليتاريا . و هكذا فى أواخر 1974 ، لفت ماو النظر علنيّا إلى مسألة حيويّة ألا وهي :

" لماذا تحدّث لينين عن ممارسة الدكتاتورية على البرجوازية ؟ من الضروري أن تكون هذه المسألة واضحة . فغياب الوضوح بهذا الصدد يؤدى إلى التحريفية . يجب أن تعلم بهذا الأمّة جمعاء ". (65)

مع نشر توجيه ماو هذا فى فيفري 1975 ، بالضبط عقب نهاية المؤتمر الشعبي الوطني الرابع ، نظّم ماو حملة دراسة نظرية دكتاتورية البروليتاريا و التصدّى للتحريفية و ما أبرزه ماو فى الإستشهاد أعلاه هو أنّه من الضروري إدراك **لماذا**،لأيّ هدف تمارس دكتاتورية البروليتاريا . فلا يكفى فهم أنّه يتعيّن أن **توجد** دكتاتورية البروليتاريا حيث من اللازم فهم ما على البروليتاريا تحقيقه و فى أي إتّجاه عليها أن تتحرّك خلال دكتاتوريتها .

و الإتّجاه يوضّحه ماو فى موقع آخر فى الفترة ذاتها :

" حاليّا تمارس بلادنا الإنتاج السلعي و نظام أجور غير عادل كذلك ، على غرار ما فى سلّم الأجور ذو الثماني درجات ، و ما إلى ذلك . فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا لا يمكننا إلا أن نحدّد مثل هذه الأشياء . لذلك إذا توصّل أناس من أمثال لين بياو إلى السلطة سيكون سهلا جدا بالنسبة لهم أن يركّزوا النظام الرأسمالي . لذا علينا أن نقوم بقراءات أوفر للأعمال الماركسية – اللينينية . "(66)

ما يخوض فيه ماو هنا هو بقايا - ما أسماه ماركس"علامات ولادة "- المجتمع القديم الذى يلمس داخل القاعدة الإقتصادية الإشتراكية ، داخل علاقات الإنتاج الإشتراكية ذاتها . مثل هذه الأشياء كالإنتاج السلعى و الخلافات فى التوزيع إلخ يمكن وصفها عامة بالحقّ البرجوازي بما أنّها تنتمى إلى صنف من العلاقات الإقتصاديّة المميّزة للحقبة البرجوازية و تحيل على أن آفاق هذه العلاقات لم ترسم كليّا (حتى نستعمل كلمات ماركس) رغم أنّ هذه الأشياء تسير ضمن ظرف مختلف فى ظل الإشتراكية إذ أنّ إستغلال العمل المـأجور قد ألغته علاقات الإنتاج الإشتراكية . و تتّصل "علامات الولادة " إتّصالا وثيقا بإستمرار وجود ما أسماه دائما الصينيون " الثلاث إختلافات الكبرى " بين العمال و الفلاحين و بين المدينة و الريف و بين العمل الفكري و العمل اليدوي .

و يلفت ماو الإنتباه إلى أن الحق البرجوازي كما حدّدناه أعلاه يتواصل وجوده خلال مرحلة الإشتراكية و أنّ دكتاتورية البروليتاريا لا يمكنها إلاّ أن تحدّده و من هنا يتأتّى خطر إمكانيّة إعادة تركيز الرأسمالية . هذا من جهة و من جهة أخرى ، يركّز على أنّ على البروليتاريا بالذات أن **تحدّد** الحق البرجوازي و أنّه يتعيّن أن يكون التحديد التصاعدي للحق البرجوازي تبعا للظروف الماديّة و الإيديولوجيّة فى كلّ درجة من درجات التطوّر أثناء المرحلة الإشتراكية . و إن لم يحدث ذلك ستزداد قوّة البرجوازية و تترعرع و ستتصاعد محاولاتها الإستيلاء على السلطة و تفرض دكتاتورية البرجوازية على الجماهير و إعادة تركيز الرأسمالية و الحقّ البرجوازي الأسمى ، عنينا حقّ إستغلال البروليتاريا .

الإختلاف بين الإشتراكية من جهة و الصين القديمة من جهة ثانية و تماثلهما هو ما بيّنه ماو فى مناسبة أخرى حينما قال :

" فى كلمة ، الصين بلد إشتراكي . قبل التحرير كانت تشبه أكثر البلدان الرأسمالية . و حتى الآن ، يمارس نظام سلّم الأجور ذى الثماني درجات و التوزيع حسب العمل و التبادل النقدي و فى كلّ هذا تختلف قليلا جدّا عن المجتمع القديم . نقطة الإختلاف هي أن نظام الملكية قد تغيّر ."(67)

و هذا يرسم خط تمايز إقتصادي دقيق و علمي بين الرأسمالية و الإشتراكية . تغيّر نظام الملكية فبات إشتراكيا بالأساس . بيد أنّ هذا لا يعنى أن علاقات الإنتاج قد تغيّرت **كلّيا** بأيّة صفة من الصفات و التقدّم المحرز لا يعدو كونه الخطوة الأولى. فضلا عن ذلك ، ثمّة مسألة هل أنّ نظام الملكية صار إشتراكيا كلّيا . فحين تشهد الفلاحة حركة تعاونيّة ، على غرار ما حصل فى الصين أواخر الخمسينات ، مع الملكية الجماعيّة للأرض وملكيّة مجموعات من الناس الذين يعملون أيضا فى الفلاحة أغلب وسائل الإنتاج ، تعدّ هذه مشركة لكنها ليست مشركة تامّة ، تصبح كذلك فقط حين تمسى الأرض و وسائل الإنتاج ملكيّة جماعيّة للمجتمع ككلّ ، عبر الدولة و بتحوّل الفلاحين إلى عمّال . إن هذه الخطوة فى المشركة لم تتمّ فى أيّ مجتمع إشتراكي . علاوة على ذلك ، ، كما بيّن تشانغ تشن تشياو فى مقال هام نشر بعد مدّة قصيرة من تصريحات ماو ، أن ملكية الدولة ليست تامّة حتى فى التجارة و الصناعة . كتب :

" مع ذلك ، يجب أن نلاحظ أنّه فى ما يتصل بنظام الملكية فإنّه لم يتركز تماما . غالبا ما نقول " إن نظام " الملكيّة قد تركز بالأساس " و هذا يعنى أنّه لم يتركز بصفة كلّية و يعنى كذلك أن الحق البرجوازي لم يلغ كلّيا فى هذا الخضم . تبيّن الإحصائيات المذكورة أعلاه أن الملكية الفردية لا تزال موجودة جزئيا فى الصناعة و الفلاحة و التجارة و أن الملكيّة الإشتراكيّة العامة لا تتمثّل كليا فى ملكية الشعب بأسره بل تشمل نوعين من الملكية و أن ملكية الشعب بأسره لا تزال ضعيفة فى الفلاحة ، التى هي قاعدة الإقتصاد الوطني . تتطلب نهاية الحق البرجوازي فى خضم نظام ملكية مجتمع إشتراكي ، مثلما يراه ماركس و لينين ، تتطلب تحويل كلّ وسائل الإنتاج إلى ملكيّة عامّة للمجتمع ككلّ . بوضوح لم نتوصّل إلى هذه المرحلة . لا نظريا و لا عمليا يجب علينا أن نستخفّ بالمهام الصعبة جدّا التى توكل لدكتاتورية البروليتاريا فى هذا المضمار .

و أكثر من ذلك ، يجب علينا رؤية أنّ كلاّ من ملكية الشعب بأسره و الملكية الجماعية تقتضى مسألة القيادة ، يعنى مسألة أيّة طبقة تمسك بالملكية فعلا و ليس فقط قولا . " (68)

ثم هنالك قضيّة أن الملكية ، بينما هي المظهر الأساسي و الأهمّ فى علاقات الإنتاج ، ليست المظهر الوحيد . إذ هنالك مظهران آخران : 1- العلاقات بين الناس فى سيرورة الإنتاج و 2- علاقات التوزيع . كلاهما ، فى ظلّ الإشتراكية يظلّ ملوّثا ، إلى درجات متفاوتة ، بالحق البرجوازي . و قد رأينا ماركس فى **" نقد برنامج غوتا "** ، يصبّ الإهتمام على الحقّ البرجوازي الملازم للنظام الإشتراكي للتوزيع حسب العمل و ماو يعود إلى ذلك فى الإستشهاد أعلاه . لا نستطيع إلغاء الحقّ البرجوازي إلغاءا تاما فى هذا الجانب من علاقات الإنتاج فى ظلّ الإشتراكية وإنّما بمستطاعنا و ينبغى أن نحدّده بإستمرار. لهذا يعزى ترحيب لينين ب " السبوت الشيوعية " لكونها كانت تمثّل تجاوزا للحقّ البرجوازي فى علاقات التوزيع فى جانب معيّن . و مثّل حتى سلّم الأجور ذى الثمانى درجات تحديدا – ذلك أنّه قبل 1950 ، كانت الدرجات أكثر من ثمانية – لكن لا يمكن رؤية ذلك كشئ قار وخطّ نهاية هذا التحديد .

لو لم يحدّد الحقّ البرجوازي فى هذه الجوانب من علاقات الإنتاج – فى التوزيع و العلاقات بين الناس فى الإنتاج و تقسيم العمل - فإنّه سينمو و هذه الجوانب هي و تأثيرالخطّ التحريفي ستؤثر بصفة عكسيّة ، فى إتّجاه برجوازي ، على نظام الملكيّة . لخّص تشيانغ تشن تشياو هذه النقاط الهامّة كما يلى :

" من الصحيح تماما أن يعطي الناس وزنا كاملا للدور الحيوي لنظام الملكيّة فى علاقات الإنتاج لكن من غير الصحيح ألاّ يعطوا وزنا لهل أن مسألة الملكية قد وقعت معالجتها فقط شكليّا أم فعليّا ، و تأثير نظام الملكية الذى يمارسه المظهران الآخران من علاقات الإنتاج - العلاقات بين الناس و شكل التوزيع - و إلى تأثير البنية الفوقيّة على القاعدة الإقتصادية فهذان المظهران و البنية الفوقية يمكنهم أن يلعبوا دورا حيويا فى ظلّ ظروف معيّنة . السياسة هي التعبير المركز عن الإقتصاد . ما إذا كان الخط الإيديولوجي و السياسي صحيحا أو غير صحيح و أيّة طبقة تمسك بالقيادة يحدّد أيّة طبقة تملك هذه المصانع بالفعل . " (69)

نتيجة لهذه التناقضات الحتميّة فى ظلّ الإشتراكية فى كلّ من القاعدة الإقتصادية (علاقات الإنتاج) و بين البنية التحتيّة و البنية الفوقيّة ، تولد البرجوازية الجديدة بإستمرار و كذلك حتميّا داخل المجتمع الإشتراكي . و عن هذا تكلّم ماو فى التصريح التالي :

" قال لينين : " إن الإنتاج الصغير يلد الرأسمالية و البرجوازية بإستمرار ، فى كلّ يوم و كل ساعة ، و بصورة عفويّة و على نطاق واسع . " و أيضا تولد البرجوازية ضمن جزء من الطبقة العاملة و عناصر الحزب . فى كلّ من صفوف البروليتاريا و ضمن موظّفى الدولة و أجهزة أخرى ، هنالك أناس يتعوّدون على نمط الحياة البرجوازية " .(70)

فى جميع هذه الميادين ، كحصيلة لتناقضات الإشتراكية و الوجود المستمر للحقّ البرجوازي ، هنالك أناس :" يتعوّدون على طريقة الحياة البرجوازية " و بالتالى يصبحون قاعدة لإستيلاء البرجوازية الجديدة على السلطة لكن القوة القياديّة ، مركز القيادة البرجوازي الأصلي ، لا يكمن هنا فى ظلّ الإشتراكية – على الأقل إثرإتمام التغيير الإشتراكي للملكية بالأساس . هي بالأحرى فعليا فى الحزب الشيوعي لبلد إشتراكي حسب إشارة ماو لاحقا :

" مع الثورة الإشتراكية يجدون أنفسهم هم تحت النار . زمن التحوّل إلى التعاونيّات الفلاحيّة وُجد أناس فى الحزب عارضوه و حين شرعنا فى نقد الحقّ البرجوازي تصدّوا للدفاع عنه . إنّكم تقومون بالثورة الاشتراكية و بعد لا تعرفون أين توجد البرجوازية . إنها بالضبط داخل الحزب الشيوعي –أولئك فى السلطة السائرين فى الطريق الرأسمالي " .(71)

حين يذكّر ماو هنا بالذين عارضوا التحويل إلى التعاونيّات الفلاحيّة أو بكلمات أخرى مشركة الفلاحة فإنّه يشير إلى عناصر الحزب الشيوعي الذين كانوا ثوريين فى المرحلة الديمقراطية الجديدة من الثورة الصينية لكن الذين أرادوا أن يوقفوا الثورة لمّا بدأت تتحوّل إلى المرحلة الإشتراكية و الذين تحوّلوا بإطراد إلى معارضة الثورة طالما كانت تتقدّم نحو المرحلة الإشتراكية . بعبارات أخرى ، لم يذهبوا فى الواقع ، أبدا و فعلا أبعد من كونهم ديمقراطيون برجوازيون و لم يقطعوا أبدا

راديكاليا مع الإيديولوجيا البرجوازية . هذه الظاهرة " من ديمقراطيين برجوازيين إلى أتباع الطريق الرأسمالي" كانت خاصة ببلد مثل الصين حيث تطلّبت الثورة صراعا ديمقراطيا طويلا كمرحلة سابقة للمرحلة الإشتراكية .

لكن ملاحظات ماو أشمل بكثير و تنسحب على أي مجتمع إشتراكي . **فعلى** الثورة الإشتراكية ، مثلما سبق و أن رأينا ، أن تواصل المضي قدما و طالما أنّها تقوم بذلك سيوجد أناس يرون أنّها ذهبت كثيرا إلى الأمام و لا يودّون التقدّم معها . و قد عالج ماو هذه الظاهرة بالذات فى تصريح هام آخر خلال معركته الكبرى الأخيرة :

" إثر الثورة الديمقراطية لم يقف العمّال و الفلاّحون الفقراء و المتوسّطون مكتوفي الأيدى ، أرادوا الثورة . و من جهة أخرى ، لم يرد عدد من عناصر الحزب المضيّ قدما ، فبعضهم تراجع و عارض الثورة . لماذا ؟ لأنّهم أصبحوا موظّفين سامين و أرادوا الحفاظ على مصالحهم كموظّفين سامين ." (72)

فى كل الثورات ثمّة أناس يحقّقون بعض المصالح و يتّجهون إلى رفض المضيّ بالثورة قُدما لأن مصالحهم تصبح فى خطر و وضّح ذلك تشيانغ تشن تشياو قائلا :

" إنّهم يقبلون بدكتاتورية البروليتاريا إلى درجة معيّنة و ضمن إطار معيّن و هم يبتهجون لبعض إنتصارات البروليتاريا لأنّها ستجلب إليهم بعض المنافع و حين يضمنون منافعهم ، يشعرون أنّه حان وقت حطّ الرحال و رمي شباكهم الحذرة . و فى ما يتعلق بممارسة الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية ، فى ما يتعلق بتجاوز الخطوة الأولى من الألف ميل [أي مواصلة الثورة بعد إفتكاك السلطة] فنعتذر ، دعوا غيرنا يقوم بالعمل ، هذه محطّتى و علي أن أنزل من الحافلة !" (73)

و هذا لا يعنى أن جميع أمثال هؤلاء رجعيّون لا يرجى منهم خيرا . إذ من الممكن كسب بعضهم عبر الصراع غير أنّه يجب خوض صراع . و بالضبط بعد المقتطف أعلاه ، يتابع تشيانغ تشن تشياو قائلا :

" نودّ أن نتقدّم بنصيحة لهؤلاء الرفاق : من الخطر الوقوف فى منتصف الطريق ! البرجوازية تترقّب مجيئكم إليها . تمسّكوا بالصفوف و واصلوا التقدّم ! " (74)

لكن من الحيويّ إدراك أنّ الذين لا يمكن كسبهم يمثّلون جزءا هاما من القاعدة الإجتماعية للتحريفية فى أعلى مستويات الحزب فى محاولتهم إيجاد سند للإستيلاء على السلطة البروليتارية و إعادة تركيز الرأسمالية . و مثلما تمّ التأكيد على ذلك عدّة مرّات ، هم بالضبط أعلى قيادات الحزب الذين يتبعون الطريق الرأسمالي و الذين يمثّلون الخطر الأكبر على الإشتراكية و ينبغى أن يكونوا الهدف الأساسي للصراع الثوري . هم الذين يستطيعون أن يسندوا شريحة أكثر إمتيازات فى المجتمع فى مقاومة أكبر للتحوّلات التى تعصف بهذه الإمتيازات و الذين يمكنهم أن يتلاعبوا بالمظاهر السلبية – التفكير و نمط العيش البرجوازيين – التى تنزع نحو الظهور فى صفوف هذه الشريحة على أساس الموقع ذى الإمتياز .

و أبعد من ذلك ، إنّهم هم الذين ينسقون معارضة التقدّم الإشتراكي فى كلّ المجتمع ، هم الذين يمكنهم توحيد قوى مثل هذه المعارضة حول خط و برنامج إشتراكيّين : توفير القيادة و التوجيه و حتى تحريكها لمحاولة الإستيلاء على السلطة
و بالطبع هم الذين لا يعملون فقط كقادة لهذه القوى بل كذلك يوفّرون لها أفضل غطاء للثورة المضادة بما أنّهم يقودون عناصر من الحزب و بإمكانهم إستغلال ما للجماهير من إحترام للحزب و لقيادته . لهذا نبّه ماو إلى مسألة :

" إنها بالضبط داخل الحزب الشيوعي –أولئك فى السلطة السائرين فى الطريق الرأسمالي " .

توفّر تناقضات المجتمع الإشتراكي ذاته – تقسيم العمل الموروث و الإختلافات فى الدخل و بقايا العلاقات السلعية إلخ و كذا تواصل تأثير الإيديولوجيا البرجوازية – توفّر لا فقط الأرضيّة لعناصر البرجوازية لكي تأثّر بإستمرار فى المجتمع عامة و لكن و بخاصة لكي تظهر بإستمرار فى الصفوف العليا للحزب و لكي يحرّكوا قاعدة إجتماعيّة للثورة المضادة .
و هذا لا يعنى أن القياديين كافة لمجرّد وجودهم فى تلك المواقع ، يتّجهون إلى التحوّل إلى برجوازيين ويغدون خونة للثورة.

لكن هذا يعنى أن بعضهم ، لا سيما الذين يتعوّدون على نمط العيش البرجوازي و يتبنّون إيديولوجيا وخط سياسي تحريفيين، سيفعلون كذلك و أنّه بالتالي ستكون لهم حاجة و فرصة التحالف و كسب الأنصار لمحاولة الإستيلاء على السلطة و إعادة تركيز الرأسمالية . ومثلما لخّص ماو ، سيبقى هذا الحال على طول المرحلة الإشتراكية إلى أن تُحل تناقضات الإشتراكية عبر التقدّم الثوري صوب الشوعية .

لا ينتهى الصراع الطبقي و لا يمكنه أن ينتهي فى ظلّ الإشتراكية بل يظلّ القوّة المحرّكة للمجتمع الإشتراكي و نتيجة هذا الصراع – لا سيما الصراع بين البروليتاريا و البرجوازية – يحدّد ما إذا يواصل المجتمع التقدّم صوب الشيوعية أو (على مدى قصير) يتراجع نحو الرأسمالية . و مثلما لخّص ذلك ماو قبيل وفاته :

" فى 1949 وقع تحديد التناقض الرئيسي داخل البلاد على أنّه بين البروليتاريا و البرجوازية . و بعد ثلاثين سنة ، أثيرت مجدّدا مسألة الصراع الطبقي و أيضا وقع تحديد أنّ الوضع بدأ يتحسّن . ما هي غاية الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى؟ إنها خوض الصراع الطبقي . كان ليوتشاوتشى يرفع نظرية إنتهاء الصراع الطبقي لكنّه هو ذاته لم يكفّ أبدا عن خوض الصراع الطبقي . أراد أن يحمي مجموعة خونته و أتباعه المخلصين . أما لين بياو فأراد الإطاحة بالبروليتاريا و حاول القيام بإنقلاب . هل إنتهى الصراع الطبقي ؟ " (75)

و فى ختام هذا المقال من الضروري العودة بشكل مختصر إلى عديد النقاط التى جرى لمسها قبلا و التى هي مرتبطة ببعض القضايا الكبرى التى برزت سواء فى شكل غير يقيني أو خلافي أو فى شكل هجومات مباشرة على الخط الأساسي لماو تسى تونغ بصدد الطبقات و الصراع الطبقي فى المجتمع الإشتراكي و نظريّة مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا .

البرجوازية داخل الحزب :

هل يصحّ القول مثلما قال ماو بجلاء ، إن البرجوازية كطبقة يتواصل وجودها فى المجتمع الإشتراكي حتى بعد مشركة الملكية ؟ ثم هل يصحّ القول مثل ماو إن البرجوازية هي بالضبط داخل الحزب الشيوعي و كيف ينبغى فهم ذلك ؟

أوّلا ، يجب القول إن البرجوازية لا توجد ، طبعا ، فى ظلّ الإشتراكية (عقب مشركة الملكية) كطبقة تتصرّف فى ملكيّة خاصة لوسائل الإنتاج على غرار ما تفعل فى ظلّ الرأسمالية . لو سحبنا هذا المفهوم على المجتمع الإشتراكي ، يتعيّن أن نخلص إلى أن البرجوازية فعلا غير موجودة و لا يمكنها ذلك عقب تحويل نظام الملكيّة . لكن بإستعمال ذات الطريقة – التى يجب و الحقّ يقال توصيفها بأنها إسكولاستيكية و إستاتيكية – سيتوجّب علينا أيضا أن نخلص إلى أن البروليتاريا لم تعد توجد عقب مشركة الملكيّة لأن المفهوم المحدّد للبروليتاريا هو أنّها طبقة لا تملك وسائل إنتاج . و إذا كانت الحال هذه بالتالى من الطبيعي أنّه سيكون من البلاهة الحديث عن دكتاتورية البروليتاريا (غير الموجودة) و عن برجوازية (غير موجودة) . و هكذا بإمكاننا رؤية أي خلط ستسقطنا فيه هذه الطريقة و كيف ستسقطنا فعلا فى الإلتقاء مع أرهاط خروتشاف من التحريفيين و نظريتهم حول " دولة الشعب بأسره " .

تعلّمنا الجدليّة أن صراع الأضداد عندما يمرّ بتحوّل نوعي يشهد كلا الضدّان تحوّلا أيضا . و ينسحب هذا على الصراع بين البروليتاريا و البرجوازية فلما تفتكّ البروليتاريا السلطة من أيدى البرجوازية تركّز دكتاتوريّتها هي على البرجوازية و تمشرك الملكيّة فتتحوّل من طبقة محكومة إلى طبقة حاكمة و من طبقة لا تملك وسائل إنتاج إلى المالكة جماعيّا لوسائل الإنتاج . غير أنّ هذا لا يُلغى بعدُ البروليتاريا ذلك انّها تواصل الوجود إلى حدّ تحقيق الشيوعية بإلغاء كافة الإختلافات الطبقية و أساسها . و إلى ذلك ، بالتالى يوجد نقيضها – البرجوازية – لأنّه لا يمكن أن توجد بروليتاريا دون برجوازية و العكس بالعكس . فى الواقع ، مرّت البرجوازية بتحوّل فى الإتّجاه المضاد فغدت من طبقة حاكمة إلى طبقة محكومة و من طبقة ذات ملكية خاصة لوسائل الإنتاج إلى طبقة تفتقد إلى ملكية وسائل الإنتاج .

لنعالج مسألة البرجوازية فى المجتمع الإشتراكي عن كثب . هنا المقصود بالبرجوازية هو الطبقة الإجتماعية و ليس الأفراد بالذات المكوّنين لها فى وقت معيّن و خاصة ليس فقط أو حتّى بالأساس الرأسماليين المطاح بهم عند التركيز الأول لدكتاتورية البروليتاريا (التى ، للوضوح يمكن نعتها بالبرجوازية القديمة) . فى ظلّ الإشتراكية ثمّة مواقع توجد بها ملكية

فردية و إستغلال العمل المأجور فعلا و حرفيّا و بالشكل الجوهري ذاته فى ظلّ الرأسمالية . فمن غير الممكن عامة للبروليتاريا ، عقب إفتكاك السلطة أن تصادر جميع المؤسسات البرجوازية مرّة واحدة . و فضلا عن ذلك ، حتى بعد أن يُفتكّ كليا من البرجوازية القديمة رأسمالها السابق ، ثمّة حالات من العمليّات غير القانونيّة و حوانيت ملكية خاصة للتجارة فى السوق السوداء إلخ . ذات دلالة أكبر مع ذلك هي العلاقة بين القيادة و الجماهير فى الإقتصاد الإشتراكي . إن كان خط ماركسي – لينيني فى القيادة ، فإن هذه العلاقات فى نفس الوقت الذى تعنى فيه لامساواة ستكون علاقات تعاون رفاقي – و مثل اللامساواة هذه سيُضيّق عليها شيئا فشيئا . لكن إذا كان خط تحريفي فى القيادة ، فإن هذا بالتالى سيحوّل العلاقات بين القادة و المقودين إلى علاقات قمع و علاقات تعنى الإستغلال .

لئن لم تشارك الكوادر القيادية فى عمل منتج إلى جانب الجماهير ، لئن رفعت فى نفس الوقت مداخيلها نسبة لمداخيل الجماهير بتعميق الإختلافات فى الأجور و العلاوات إلخ ، لئن وضعت الربح موضع القيادة و لئن ركّزت الإدارة و التخطيط بينما تبعد جماهير العمّال اليدويّين فعلا عن هذه الأشياء و عوض تعبئتها سياسيّا للمساهمة فيها و تقييم الكوادر القياديّة ، فجوهريّا إلى أي حدّ تختلف العلاقة بين الكوادر و الجماهير العاملة عن العلاقة بين العمّال و الرأسماليين فى المجتمع الرأسمالي ؟ و فى ما يتصل بالموظفين السامين الذين يمارسون القيادة فى الوزارات ، المالية و التجارة إلخ ، إذا ما إتّبعوا الخطّ التحريفي ذاته ، يعزلون أنفسهم عن الجماهير و العمل المنتج و يمركزوا فعليّا السيطرة على هذه المجالات ، فإلى أي حدّ يختلفون عن منفّذى المؤسسات و البنوك الكبرى فى البلدان الرأسمالية ؟

جوهري طبعا هو الإختلاف بين الإشتراكية و الرأسمالية . و هذا يعنى أنّه و إن سيطر هؤلاء التحريفيين على ميادين هامة من الإقتصاد و أجزاء هامة من السلطة السياسية إلخ فى ظلّ الإشتراكية فإنّهم يعملون بعدُ فى ظروف تمسك فيها الطبقة العاملة فى كلّ المجتمع بالسلطة و الإقتصاد الإشتراكي . هذا هو السبب الأهمّ الذى يدفعهم لأن يقوموا بمحاولة شاملة لإفتكاك السلطة لكي يستطيعوا متابعة مصالهم البرجوازية بأوفر عناية عبر إعادة تركيز الرأسمالية . و هذه هي بالضبط السيرورة التى شهدها الإتحاد السوفياتي .

مع ذلك لا يغيّر هذا من أنّه فى ظلّ الإشتراكية ، لن يظهر مثل أتباع الطريق الرأسمالي إلى السطح فحيث و على درجة قدرتهم على غرس خط تحريفي سيتمكّنون من تحويل العلاقات فيما بينهم و العلاقات الواقعة تحت قيادتهم لا سيما مع الجماهير العاملة الأساسيّة ، إلى علاقات قمع و جوهريا إلى علاقات إستغلال . سيبحث هؤلاء التحريفيّين عن بعضهم البعض و سيكوّنون كتلا و تجمّعات و جهازهم الخاص داخل الحزب و الدولة (و كذلك خارجهما) فى معارضة لمبادئ الحزب و خطّه الأساسيّ و القيادة و القوى الثوريّة داخله و جماهير الشعب . هكذا يمكن لمس أنّهم بالفعل يمثّلون برجوازية - أو قلب البرجوازية - داخل المجتمع الإشتراكي و يتميّزون بميزات تلك الطبقة فى ظروف الإشتراكية .

مجمل القول : فى المجتمع الإشتراكي ، تتركّز السلطة على وسائل الإنتاج و على التوزيع كسلطة قيادة سياسيّة . فحيث و إلى درجة أن تلك السلطة ليست بأيدى الماركسيّين و الجماهير بل عوض ذلك بأيدى التحريفيّين ، فإنّ علاقات الإنتاج البرجوازية يمكن أن تنتج حتى داخل الشكل الجماعي لكن التطوّر الشامل لعلاقات الإنتاج الرأسماليّة يتطلّب المسك بالسلطة من قبل البرجوازية - بقيادة أتباع الطريق الرأسمالي فى أعلى قمّة قيادة الحزب - و إعادة تركيز الرأسمالية فى المجتمع بأسره .

من هنا يمكن رؤية لماذا ليس فقط صحيحا بل كذلك ضروريّا الحديث عن البرجوازية داخل الحزب – أتباع الطريق الرأسمالي فى مواقع السلطة . بالنسبة للغالبية الغالبة من الشعب التى تمسك بمراكز القيادة فى الإقتصاد فى مستويات مختلفة - بالتحديد عناصر الحزب - فهم عموما الذين (لا سيما إثر السنوات الأولى من الإشتراكية) يديرون و يخطّطون ، على رؤوس الوزارات إلخ و الذين من بينهم من يتّبع الطريق الرأسمالي و يزرع خطا تحريفيّا يصبحون بالفعل برجوازية داخل الحزب - مع سلطتها المتأتية من مواقعها القيادية . و يترتّب هذا عن تناقضات النظام الإشتراكي ، مثلما لخّصنا سابقا ، و عن كون الإقتصاد الإشتراكي هو إقتصاد جماعي و الدولة الوحدة الإقتصادية الحيويّة و الحزب فى موقع القيادة .

و بطبيعة الحال ، لا يعنى هذا أنّ كلّ البرجوازية توجد فى الحزب الشيوعي . فثمّة عدّة عناصر برجوازية أفرزها المجتمع خارج الحزب (أو سابقين من المجتمع القديم) . بيد أنّ جوهر البرجوازية فى ظلّ الإشتراكية ، أولئك فى مواقع ممارسة

أكبر سلطة فيما يتعلّق بالإقتصاد و كذلك فيما يتعلّق بالبنية الفوقيّة السياسيّة و الثقافيّة إلخ. هم بديهيّا البرجوازية فى الحزب ذاته ، لاسيما فى المستويات العليا . تحليل هذا و تطوير طرق النضال ضد هذه القوى مهمّة أساسيّة فى الصراع الطبقي ضد البرجوازية وهي حقا مساهمة من أعظم مساهمات ماوتسى تونغ .

كيفية تعامل ماو تسى تونغ مع البرجوازية الوطنية :

لهذا صلة وثيقة بمسألة أخرى تثار : لماذا قال ماو أواخر 1957 ، إنّ فى الصين ، التناقض مع البرجوازية الوطنية ينبغى معالجته بعدُ كتناقض غير تناحري ؟ هل كان هذا صحيحا ؟ و إذا كان ذلك كذلك ، لماذا لا يعتبر إستسلاما أمام البرجوازية؟

خلال المرحلة الأولى من الثورة الصينية ، المرحلة الديمقراطية الجديدة ، طبّق الحزب الشيوعي الصيني بقيادة ماو بالفعل و بطريقة سليمة سياسة الوحدة مع البرجوازية الوطنية - كنقيض للبرجوازية الكبيرة ، البرجوازية الكمبرادورية ، طالما كان ذلك ممكنا .

ثمّ حين دخلت الثورة المرحلة الإشتراكية مع تأسيس الجمهورية الشعبيّة ، إعترف ماو بأنّه من الصحيح السعي إلى كسب أو على الأقلّ تحييد ما أمكن من البرجوازية الوطنية على أساس وطنيّتها و إرادتها رؤية الصين تتجاوز التبعيّة للإمبريالية و الإقطاعيّة ، الشئ الذى لم يكن موضوعيّا ليتحقّق إلا بإتّباع الطريق الإشتراكي . فى نفس الوقت ، أقرّ ماو أيضا و أشار إلى أنّ هذه السياسة تجاه البرجوازية الوطنية يمكنها التحقّق فقط عبر الصراع و أنّه من الممكن المحافظة على عدم تناحرية التناقض إذ من الوارد جدّا أن تقاوم البرجوازية الوطنية أو قطاعات منها هذا و تضع نفسها مباشرة فى معارضة التقدّم نحو الإشتراكية .(76)

و بالفعل ظهرت نزعات فى صفوف البرجوازية الوطنية : فبعض قطاعات منها إلتحقت بالكتلة المعادية للثورة مهاجمة الإشتراكية بينما ذهبت قطاعات أخرى مع – أو على الأقلّ لم تعارض بصفة مفتوحة – النظام الإشتراكي . سياسة ماو فى هذا المضمار كانت صائبة للغاية ذلك أنّها عزلت الأعداء بما فى ذلك ضمن البرجوازية الوطنية الذين قاوموا سياسات الحزب و هاجموا الإشتراكية و سمحت للجماهير العريضة بالوحدة بأوفر صرامة لإلحاق الهزيمة بالأعداء .

و فى الواقع ، لا سيما إثر التحويل الإشتراكي للملكيّة (المحقّق بالأساس حوالي 1956) أثارت البرجوازية الوطنية فى الصين - و الحال أنّه كان ينتزع منها أي قسط من بقايا الملكيّة الخاصة – أقلّ مشاكل من العناصرالبرجوازية الجديدة الظهور و بخاصة التحريفيّين فى الحزب ذاته وتحديدا فى أعلى مستوياته و ذلك لأنّه مع هذا التحويل ، ظهرت ظروف فيها لبّ عناصر البرجوازية و أكثرها أهمّية موجودون داخل الحزب أكثر منه خارجه كما سلف الشرح .

فى ظلّ هذه الظروف ، و بينما لا يزال للبرجوازية الوطنية - أو بقاياها - طابع مزدوج و يمكن جدّا أن يتّحد معها ، لم يكن هذا حال المتمترسين جيّدا أتباع الطريق الرأسمالي فى السلطة ، فى الحزب و الدولة الذين مثّلوا الخطر الأعظم على البروليتاريا و ينبغى أن يكونوا هدف ممارستها لدكتاتوريّتها و مواصلة خوض الصراع الطبقي . و مرّة أخرى ، تحليل هذه التغيّرات فى علاقات الإنتاج و تطوير طرق و وسائل مواصلة الثورة فى هذه الظروف مثّل حقيقة مساهمة عظيمة لماو تسى تونغ فى الماركسية - اللينينية .

دكتاتورية البروليتاريا الشاملة :

فى الختام ، عند تلخيص مساهمات ماو فى ما يتّصل بالمسألة موضوع البحث ، مسألة دكتاتورية البروليتاريا ولا سيما نظرية مواصلة الثورة فى ظلّ هذه الدكتاتوريّة ، من المناسب و بشكل ساخر أن ندع أعداءه ، و منهم خاصة أولئك فى الصين الذين قاموا بالإنقلاب (المؤقت) هناك ، يشيرون إلى هذه المساهمات . ففى محاولة لتشويه ما يسمّون " مجموعة الأربعة " (و قبل كل شيئ ماو) يستشهد التحريفيّون فى السلطة فى الصين الآن ،عند مهاجمتهم لمقال تشيانغ تشن تشياو " **بصدد الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية** " ، يستشهدون بمقتطف لأخلص أتباع " مجوعة الأربعة " :

" قال لينين فقط الذين يعترفون بدكتاتورية البروليتاريا هم الماركسيون . حين كان تشيانغ تشن تشياو يكتب هذا المقال ، وجد أن كلمات لينين لم تكن مناسبة لطرح نقطته . مثلما يرى هو ، فقط الذين يعترفون بالدكتاتورية الشاملة للبروليتاريا على البرجوازية هم الماركسيّون الحقيقيّون . لكن عدم وضعها بين معقّفين يملى على القارئ أن يفكر فى أن لينين لم يكن ماركسيّا " . (77)

إزاء هذا على الشيوعيّين فى الصين أن يعلنوا " يهاجم أبرياء " . لأن ما يقع التشديد عليه فى هذا المقتطف أعلاه بالضبط – و الذى يعبّر عن خط ماو و ليس فحسب خط تشيانغ تشن تشياو و الذى هو منسجم مع تطوير خط لينين – هو أن دكتاتورية البروليتاريا هي ، من جهة ، نتاج ضروري لتطوّر المجتمع عبر الصراع الطبقي فى مرحلة معيّنة و هي من جهة أخرى ، ليست غاية فى حدّ ذاتها ، إنّها مرحلة إنتقاليّة إلى الشيوعيّة . فجوهر خطّ ماو بشأن هذه المسألة أنّه إذا تمّ التعاطي مع دكتاتوريّة البروليتاريا كغاية فى حدّ ذاتها فستتحوّل بالتالى إلى نقيضها أي إلى دكتاتوريّة البرجوازية الجديدة التحريفيّة على البروليتاريا و الجماهير الشعبيّة .

و على نحو ما شرح تشيانغ تشن تشياو فى مقاله ، تعنى ممارسة الدكتاتورية الشاملة ضد البرجوازية ممارسة هذه الدكتاتورية فى كافة الميادين الإجتماعية و على كامل إمتداد المرحلة الإشتراكية الإنتقالية . و حصر هذه الدكتاتورية فى ميادين معيّنة دون غيرها لا يمكن أن يعني إلّا تعزيز البرجوازية و محاولاتها إغتصاب السلطة و الوقوف الحيادي لا يمكن أن يعني إلاّ أن تتمكّن البرجوازية من الإطاحة بالبروليتاريا و من إعادة تركيز الرأسمالية . عرقلة هذه الدكتاتورية و إيقافها عند نقطة معيّنة ، كما سبقت الإشارة ، هو بالتحديد برنامج التحريفيّين و بخاصة منهم الموجودين فى وظائف عليا الذين ضمّنوا بعض المكاسب من إنتصارات الثورة و ممارسة دكتاتورية البروليتاريا فى مجالات معيّنة و لفترة معيّنة من الزمن . إنّهم لا يرغبون فى أن تتقدّم الثورة أبعد و أن تمارس دكتاتورية البروليتاريا بصفة شاملة و على إمتداد المرحلة لأنّ المكاسب التى حقّقوها و الموقع المتميّز و الهيمنة على أجزاء من الإقتصاد و البنية الفوقيّة التى بأيديهم و كذلك أساس هذه الإمتيازات سيتفجّر و سيلغى فى النهاية .

و يوضّح مقال تشيانغ تشن تشياو هذه النقطة بالعودة إلى مقتطف شهير لماركس (تمّ الإستشهاد به سابقا) حيث يقول إن على دكتاتورية البروليتاريا أن تكون " نقطة إنتقال ضرورية **نحو القضاء على كلّ الإختلافات الطبقية** ، نحو القضاء على كلّ علاقات الإنتاج التى تقوم عليها ، نحو القضاء على كلّ العلاقات الإجتماعية التى تتناسب مع علاقات الإنتاج هذه ، نحو تثوير كلّ الأفكار التى تفرزها هذه العلاقات الإجتماعية " . [خط التشديد فى النص الأصلي] (78)

و يسترسل تشيانغ تشن تشياو ليتقدّم بالتفسير التالي الذى لشدّ ما كرهه التحريفيّون فى الصين :

" فى جميع الحالات الأربع ، يعنى ماركس **الكلّ** . لا يعنى جزءا أو جزءا كبيرا أو حتى الجزء الأكبر بل الكلّ ! و هذا ليس بالشئ الغريب لأنّه بتحرير البشريّة كافة يمكن للبروليتاريا أن تحقّق غايتها النهائية ألا وهي تحرير ذاتها . و الطريقة الوحيدة للتوصّل إلى الهدف هي ممارسة الدكتاتورية الشاملة ضد البرجوازية و مواصلة خوض الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا إلى النهاية ، إلى أن تنتفى **الكل** الأربعة المشار إليها أعلاه من على وجه الأرض لكي يغدو مستحيلا للبرجوازية و كلّ الطبقات المستغَلة أن توجد أو طبقات جديدة أن تُولد ، لا يجب علينا نهائيا أن نتوقّف فى طريق **الإنتقال** ... وجهة نظرنا هي أنّ الذين يدركون المسألة على هذا النحو يمكن إعتبار أنّهم إستوعبوا جوهر تعاليم ماركس بشأن الدولة ".(79)

و مجدّدا ، " وجهة نظرنا " تحيل لا فقط على وجهة نظر تشيانغ و إنّما كذلك على وجهة نظر ماو و ثوريين كثيرين آخرين . إنّها نقطة جوهرية فى تطوير ماو تسى تونغ للنظرية الماركسية ـ اللينينية حول الدولة و دكتاتورية البروليتاريا بشكل خاص أن ممارسة هذه الدكتاتورية و مواصلة ممارستها طوال المرحلة الإنتقالية نحو الشيوعية يمكن أن تعني لا أقل من **مواصلة الثورة فى ظل دكتاتورية البروليتاريا** . و هذه النظرة ناجمة عن تطبيق ماو المادية الجدلية على المجتمع الإشتراكي وهي تمثّل أعظم مساهماته الخالدة فى الماركسية ـ اللينينية و الصراع الثوري للبروليتاريا العالمية . و بالرغم من ما يمكن أن يقوله أو يفعله التحريفيّون فى الصين ، و بغضّ النظر عن إفتراءات الرجعيين و الإنتهازيين عامة و تشويهاتهم ، فإن هذه النظريّة ستظلّ سلاحا فعّالا بأيدى البروليتاريا و طال الزمن أو قصر ستستعمله فى كلّ بلد أثناء المرحلة الإنتقالية صوب الهدف التاريخي ، الشيوعية .

الهوامش :

1/ لينين: **" الدولة و الثورة "** ، صفحة 36 ، دار التقدم ، موسكو، الطبعة العربية .

2/ المصدر السابق ، صفحة 35 .

3/ ماركس و إنجلز **"مختارات فى أربعة أجزاء "** ، الجزء الأول ، صفحة 72 ، دار التقدم ، موسكو ، الطبعة العربية .

4/ (ماركس : **" الصراع الطبقي فى فرنسا 1848-1850"**، **" المؤلفات المختارة "** ، المجلد 1 ، صفحة 282 ، الطبعة الإنجليزية + ذكره مقال تشيانغ تشن تشياو: " حول ممارسة الدكتاتورية الشاملة ضد البرجوازية " .

5/ إنجلز: **" حول العمل السياسي للطبقة العاملة "** ، " الأعمال المختارة " مجلد 2 ، صفحة 245 .

6/ لينين: **" الدولة و الثورة "** صفحة 58-59 ، دار التقدم ، موسكو ، الطبعة العربية .

7/ ماركس **" الحرب الأهلية فى فرنسا "** ، صفحة 55 ، دار التقدم ، موسكو ، الطبعة العربية .

8/ رسالة " ماركس إلى لودفيك كوغلمان " + ذكره لينين فى **" حول كمونة باريس "** صفحة 17 ، دار التقدم ، موسكو ، الطبعة العربية .

9/ لينين: **" الدولة و الثورة "** ، صفحة 59) .

10/ المصدر السابق صفحة 47.

11/ ماركس: **" الحرب الأهلية فى فرنسا "** ، صفحة 63 ، دار التقدم ، موسكو ، الطبعة العربية .

12/ ذكره لينين فى **" الدولة و الثورة "** ، صفحة 39.

13/ ذكره لينين **فى " الدولة و الثورة "** ، صفحة 92 .

14/ ماركس **" نقد برنامج غوتا "** صفحة 14 ، دار التقدم ، موسكو ، الطبعة العربية .

15/ نفس المصر السابق ، و نفس الصفحة .

16/ المصدر السابق ، صفحة 14-15.

17/ المصدر السابق ، صفحة 13.

18/ نفس المصدر السابق ، صفحة 15.

19/ ماركس و إنجلس و لينين **"حول المجتمع الشيوعي "**، صفحة 68 ، دار التقدم ، موسكو ، الطبعة العربية .

20/ نفس المصدر السابق، صفحة 69 .

21/ ماركس **" الحرب الأهلية فى فرنسا "** ، صفحة 18.

22/ **" الدولة و الثورة "** صفحة 6.

23/ المصدر السابق ، صفحة 100 .

24/ المصدر السابق ، صفحة 102.

25/ ماركس و إنجلس و لينين **:" حول المجتمع الشيوعي "** ، صفحة 43 .

26/ **" مساهمة فى نقد الإقتصاد السياسي "** ذكره ستالين فى المادية الديالكتيكية و المادية التاريخية ، صفحة 69 ، دار دمشق للطباعة و النشر .

27/ **" الدولة و الثورة "** ، صفحة 30 .

28/ المصدر السابق.

29/ المصدر السابق ، صفحة 51

30/ لينين **"المختارت فى 10 مجلدات "** ، المجلد 9 ، صفحة 217 ، دار التقدم ، موسكو ، الطبعة العربية .

31/ المصدر السابق ، صفحة 218 .

32/ المصدر السابق ، صفحة 460 .

33/ المصدر السابق ، صفحة 434 .

34/ لينين " المهام الراهنة للحكومة السوفياتية " **الأعمال الكاملة** ، المجلد 30 ، صفحة 300 ، الطبعة الأنجليزية .

35/ المصدر السابق ، صفحة 294.

36/ لينين " المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي (البلشفي) فى روسيا " ، **الأعمال الكاملة** ، مجلد 25 ، صفحة 189 ، الطبعة الأنجليزية .

37/ لينين " **المختارات فى 10 مجلدات**"، المجلد 9، صفحة 40 ، دار التقدم ، موسكو ، الطبعة العربية .

38/ المصدر السابق ، المقال نفسه .

39/ ستالين " **حول مشروع الدستور** " ، **مسائل اللينينية** ، صفحة 799-800 ، الطبعة الإنجليزية .

40/ المصدر السابق.

41/ مصدر السابق ، صفحة 874.

42/ المصدر السابق

43/ المصدر السابق .

44/ هذا ما تكشف مثلا فى الخط الذى تم التعبير عنه فى تقارير ليوتشاوتشى و دنك سياو بينغ فى المؤتمر الثامن فى 1956 .

45/ ماو تسى تونغ ، "**المؤلفات المختارة** "، المجلد الخامس ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بيكين ، الطبعة الفرنسية .

46/ المصدر السابق ،" **خطاب فى الإجتماع الثانى للجنة المركزية الثامنة للحزب الشيوعي الصيني** ".

47/ المصدر السابق ، " **خطاب فى المؤتمر الوطني للحزب الشيوعي الصيني حول أعمال الدعاية** " + صفحة 29 من " **مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ** "، الطبعة العربية .

48/ المجلد الخامس من " **مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة** "، الطبعة الفرنسية .

49/ مقتطف من" **المؤتمر الوطني التاسع للحزب الشيوعي الصيني** " – وثائق تقرير المؤتمر التاسع .

50/ " **حول شيوعية خروتشاف الزائفة و الدروس التاريخية التى تقدّمها للعالم** ".

51/ المصدر السابق نفسه .

52/ المصدر السابق.

53/ إستشهاد بماو ورد فى مقال " **ما هو فحوى ال20 نقطة** " ؟ كتبه يان فانغ ضمن **مجلة " دراسة و نقد "** ، شنغاي ، عدد 7 ، 14 جويلية ،1976 ، الطبعة الأنجليزية.

54/ المصدر السابق .

55/ ستوارد شرام " **ماو يتحدث إلى الشعب** " -1956 -1971 ، نشر الصحافة الجامعية الفرنسية ، 1977 ، الطبعة الفرنسية .

56/ " **وثائق المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الصيني** " منشورات باللغات الأجنبية ، بيكين ، الطبعة الفرنسية ، صفحة 67 + جلبار مورى ،" **من الثورة الثقافية إلى المؤتمر العاشر** " الجزء 2 ، صفحة 250 ، نشر 18/10 باريس 1973 ، الطبعة الفرنسية .

57/ " **وثائق المؤتمر الحادى عشر للحزب الشيوعي الصيني** " منشورات باللغات الأجنبية ، بيكين ، الطبعة الفرنسية .

58/ تقرير المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الصيني ضمن " **حتى تكون شيوعيا جيّدا** " نشر 18/10 ، باريس 1970 ، الطبعة الفرنسية ، صفحة 200 .

59/ المصدر السابق، صفحة 201 .

60/ المصدر السابق + " **حتى تكون شيوعيا جيدا** " صفحة 206-207 ، نشر 18/10 ، باريس 1970 ، الطبعة الفرنسية .

61/ الوثيقة الثالثة من ملاحق كتاب جان دوبيه " **تاريخ الثورة الثقافية البروليتارية فى الصين -1965/ 1969-** " دار الطليعة ، بيروت 1971 .

62/ ستوارد شرام ، " **ماو يتحدث إلى الشعب** " ، صفحة 271-272 ، نشر الصحافة الجامعية الفرنسية 1977 .

63/ مقتطف فى كتاب **" شعوب الصين "** نشر ميلتون و شرورمان ، صفحة 263-264 ، الطبعة الإنجليزية +" ماو تسى تونغ ، خطاب أمام البعثة العسكرية الألبانية ، 1 ماي 1967 .

64/ من تقرير لين بياو الى المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الصيني ، مقتطفات وثائق المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الصيني بيكين 1969 صفحة 68-69 + تقرير المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الصيني ، ضمن **" حتى تكون شيوعيا جيّدا " .**

65/ " ماركس و إنجلز و لينين ، **" حول دكتاتورية البروليتاريا "** ، بيكين ، الطبعة الأنجليزية .

66/ المصدر السابق .

67/ المصدر السابق .

68/ **" بصدد الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية " .**

69/ نفس المصدر السابق .

70/ ماركس و إنجلز و لينين ، **" حول دكتاتورية البروليتاريا "** بيكين ، الطبعة الأنجليزية .

71/ **" مجلة بيكين "** عدد 11 ، 12 مارس 1976، الطبعة الأنجليزية .

72/ **" دراسة و نقد "** عدد 6 ، الطبعة الإنجليزية .

73/ **" بصدد الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية "** ، ص 18 .

74/ المصدر السابق ، صفحة 18-19 .

75/ **" مجلة بيكين "** عدد15 ،9 أفريل 1976 ، الطبعة الإنجليزية .

76/ أنظروا ماو تسى تونغ ، **" حول المعالجة الصحيحة للتنقض بين صفوف الشعب " .**

77/ " **مجلة بيكين** " عدد 3 ، جانفى 1978، الطبعة الأنجليزية .

78/ ماركس ، " **الصراع الطبقي فى فرنسا 1848-1850** " **المؤلفات المختارة** " ، المجلد 1 ، صفحة 282 ، الطبعة الإنجليزية + ذكره مقال تشيانغ تشن تشياو **" بصدد الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية "** .

79/ **" بصدد الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية "** ، صفحة 16-17 ، الطبعة الإنجليزية .

ملحق 1 :

الثورة فى البلدان الإمبريالية تتطلّب فكر ماو تسى تونغ [الماوية]

الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية / مجلّة " **عالم نربحه** " عدد 7- 1986

http://www.bannedthought.net/International/RIM/AWTW/1986-7/AWTW-07-RCP.pdf

" ليس من المبالغة قول إنّه دون النظرية والخطّ اللذان طوّرهما ماو و ممارسة الجماهير الصينية فى تطبيقه ، لا سيما خلال الثورة الثقافية ، لم يكن حزبنا و ما كان يستطيع أن يتأسّس فى الوقت الذى تأسّس فيه و على مثل هذه الأرضية الثورية " . (بوب آفاكيان ، " **رصاصات** " ، بالأنجليزيّة)

لقد نهض تمرّد الستّينات على تحرّكات ثوريّة جديدة كانت ترنو فى نهاية المطاف إلى التحوّل إلى قوّة عالمية هائلة و تهاجم كافة القلاع الإمبريالية . لكن حينها بالذات كانت الحركة الشيوعية العالمية التى كان من الواجب أن تكون مركز ثورة لا تساوم و صريحة ، تشبه فى وجوه كثيرة ثكنات الوجهاء و القساوسة البدينين . و كان هؤلاء القساوسة يقدّمون أمرا واحدا للجماهير : لا يجب أن تنهضوا فى نضال ثوري .

و هذا لا يعنى أنّ هؤلاء المتمسّكين بالمظاهر لم يواجهوا أيّة معارضة . فالحزب الشيوعي الصيني بقيادة ماو تسى تونغ قد شرع فى خوض الصراع منذ 1957، مرّة أخرى ضد هذه الخيانة للمبادئ الشيوعية ، ومع توضّح الحدود ، أخذت الحركة العالمية تشهد إستقطابا . لكن مثلما أشار ماركس ذاته فى مناسبة من المناسبات ، سلاح النقد ، مع أنّه مطلق الضرورة ، لا يمكنه أن يعوّض تأثير نقد السلاح و بينما لم يتّخذ النضال ضد التحريفية بالأساس شكل القتال المسلّح ، فإنّ الظهور الحقيقي لتيّار شيوعي أصيل عالميّا لا زال يتطلّب تحويل النظريّة إلى ممارسة ثورية على نطاق واسع .

كان مركز إعصار الثورة حينها هو حروب التحرّر الوطني التى كانت قائمة فى الأمم المضطهَدة (خاصة الفيتنام) وهي نضالات سعا الإتحاد السوفياتي و بصورة صريحة بالأساس إلى عرقلتها. و قد رفع الحزب الشيوعي الصيني بصفة حيوية رايتها ودعّمها على شتّى المستويات . و قد إستخدم هذا فى حدّ ذاته للتمييز بين الثورة و التحريفية فى الممارسة العمليّة . بيد أنّه و إن كان ذلك حجر زاوية حيوي ، فإنّ ما جسّد نهائيّا رؤية ماو تسى تونغ الثوريّة و المعادية للتحريفية و ما أعاد حقّا إحياء قضيّة الشيوعية و الحركة الشيوعية معها ، هو الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى . بكلمات " **بيان الحركة الأممية الثورية** " لسنة 1984 ، الثورة الثقافية :
" ولدت جيلا جديدا من الماركسيين – اللينينيين – الماويين ." و**" مسّت فى العمق ملايين البشر فى جميع أنحاء العالم كانوا يخوضون نضالا ثوريا و يشكلون جزءا من الإندفاع الثوري الذى إجتاح العالم خلال الستينات و بداية السبعينات** ."

كان التحريفيّون يقدّمون " إشتراكية " كإيديولوجيا و برنامج يؤكّد على أن تبقى الجماهير منكبّة على العمل و تكتفى بالكسب الفردي ، و تتمسّك بالطرق المجرّبة و الحقيقة و لا تطرح أيّة أسئلة - بإسم نوع من المنطق القانوني للفعاليّة و للعقلانيّة الإقتصاديّة و للإستقرار الإجتماعي . و فى المقابل ، أعلن ماو أنّ الماركسيّة برمّتها يمكن أن تلخّص فى حقيقة واحدة : من حقّنا أن نثور ضد الرجعيّة . و بالنسبة للذين أقرفهم نفاق غِرّة التحريفية و المجتمعات الراكدة التى تحكمها ، كشفت الثورة الثقافية أفق مجتمع جدّ حيوي و ثوريّ تماما فى تصميمه على كسر كلّ عراقيل الماضى و تخطّيها ، ما كان بمثابة إكتشاف لحما و دما .

و تعدّ تلك الأيّام الجامحة و العاصفة إرثا بعيد المدى بما فى ذلك نموّ قوّة التيّار العالمي المعتمد مباشرة على المساهمات التى صاغها ماو . و متحدّثين عن حزبنا نحن ، فى إفتتاحية جريدتنا المحتفلة بالذكرى العاشرة لتأسيس الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية ، أشرنا إلى أنّنا " **نشأنا و كنّا جزءا من " تقاليد الستينات " هنا وعالميّا فى القيام بقطيعة جذرية مع التقاليد "؛ لقد " أصبنا بعدوى" ماويّة بالثورة فى الصميم** ".

لكن هل أنّ أهمّية ماو تسى تونغ و تأثيره ، بعد كلّ شيء ، تتجاوز ذلك – خاصة بالنسبة لحزب يعدّ لإنجاز ثورة فى بلد إمبريالي؟ هناك الكثير من الذين يعترفون أو أحيانا يحيّون التفكير العسكري لماو أو من الذين ينظّرون إليه على أنّه قومي ثوري مهمّ (لا أكثر) . و هناك الذين يقرّون بلزوم ماو و حتى بأهمّيته فى هذا المجال أو ذاك من النظرية الماركسيّة بيد أنّهم لا زالوا ينظرون إليه جوهريّا كمنظّر " للعالم الثالث فقط ".

نختلف مع كافة وجهات النظر هذه و نقف عوض ذلك مع **بيان الحركة الأممية الثورية** لسنة 1984 الذى يؤكّد على انّ فكر ماو تسى تونغ " **مرحلة جديدة فى تطوّر الماركسية - اللينينية** " و يشدّد أكثر على أنّه " **و بدون الدفاع عن الماركسية – اللينينية – الماوية و بدون البناء على هذه القاعدة يستحيل الإنتصار على التحريفية و الإمبريالية و الرجعية عموما** ."
و هذا صحيح بالنسبة للبلدان الإمبريالية مثلما هو صحيح بالنسبة للأمم المضطهَدَة .

==============

إنّ أهمّ مساهمة من مساهمات ماو فى مجمل الماركسيّة هي نظريّة مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا. غداة المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي فى 1956 (الذى نبذ خلاله خروتشوف ستالين كطريقة لنبذ التجربة الإشتراكية و الثورة عموما) ، و الإنتفاضة فى المجرّ ، لاحظ ماو تسى تونغ بصلابة أنّ المجتمع الإشتراكي " لا يتضمّن " فحسب تناقضات بل هو يزخر بها .

و لاحقا فى 1962 ، إثر تجربة القفزة الكبرى إلى الأمام فى الصين ، عقب خيانة السوفيات ، و فى خضم معركة الجدال المحتدم حينها وسط الحركة العالميّة ، صاغ ماو تسى تونغ ما صار معروفا بالخطّ الأساسي للحزب الشيوعي الصيني ، و مثّلت فقرته الإفتتاحية تقدّما نوعيّا نسبة لأي شيء سبق بلوغه فى الحركة العالميّة :

" تمتدّ الإشتراكية على فترة تاريخية طويلة نسبيّا . طوال المرحلة التاريخية للإشتراكية ، تظلّ موجودة الطبقات و التناقضات الطبقية و الصراع الطبقي و كذلك يظلّ موجودا صراع بين الطريق الإشتراكي و الطريق الرأسمالي و خطر إعادة تركيز الرأسمالية . و يجب أن نعترف بالطابع المعقّد و المتشعّب لهذا الصراع . و يجب أن نرفع يقضتنا و أن نقيم تربية إشتراكية . و يتعيّن أن نفهم و نعالج بطريقة صحيحة التناقضات الطبقية و الصراع الطبقي و أن نفرّق بين التناقضات بيننا و بين العدو و التناقضات فى صلب الشعب ، و أن نعالجها بصيغة سليمة . و إلاّ سيتحول بلد إشتراكي كبلدنا إلى نقيضه و يتفسّخ و عندها ستحصل إعادة تركيز الرأسمالية . و من الآن فصاعدا يجب أن نتذكر هذا كلّ سنة ، كلّ شهر ، كلّ يوم لكي يمكن أن يكون لنا فهما بالأحرى صحيح لهذا المشكل و لكي يكون لنا خطّ ماركسي - لينيني".

و الجوهر النظري هنا أي التلخيص المرّكز لما يناهز نصف القرن من الممارسة فى المجتمع الإشتراكي ، سرعان ما سيتفتّح ليغدو الخطّ الذى قاد الثورة الثقافية ، أهمّ علامة ثورية منذ أيّام لينين .

لم تمثّل الثورة الثقافية أقلّ من قفزة نوعيّة فى الفهم الإنساني لكيفيّة التقدّم إلى مجتمع خالي من الطبقات . لقد أشار رئيس الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية ، بوب آفاكيان ، إلى أن :

" أوصاف " غير مسبوقة " ، و " تاريخية " و " مزلزلة للأرض " و ما إلى ذلك قد إستعملت عادة لوصف هذه الحركة الثورية الجماهيرية ، و إذا كانت تؤكّد على شيء فإنّما تؤكّد على أهمّيتها . و مع الإنقلاب على الثورة فى الصين فى 1976 و القضاء على كلّ ما هو ثوري هناك مذّاك ، و فى الوضع العالمي الراهن ، هناك تيّار قوي لنسيان ما الذى عناه أن يوجد بلد ، بربع سكّان العالم حيث لم تحدث ثورة مظفّرة أدّت إلى الإشتراكية متخطّية حواجزا ضخمة و قوى رجعية شديدة البأس فى السيرورة ، وحسب ، بل حتّى بعد ذلك ، وجد أيضا تمرّد ثوري جماهيري ، أطلقه و أوحى به الوجه القيادي فى الدولة الإشتراكية الجديدة ، ماو تسى تونغ ، ضد أولئك فى السلطة الذين أرادوا تحويل الحزب إلى حزب نظام جديد ، معيدين تركيز الرأسمالية بإسم " الإشتراكية " مستعملين الماضي الثوري كرأسمال . و شارك فى الثورة الثقافية مئات الملايين من الشعب باشكال متنوّعة و على مستويات مختلفة من الصراع السياسي و النقاش الإيديولوجي حول قيادة المجتمع و شؤون الدولة و مشاكل النضال الثوري العالمي و الحركة الشيوعية العالمية . لقد

كُسرت الحواجز فى مجالات كانت سابقا محرّمة على جماهير الشعب - العلم و الفلسفة و التعليم و الأدب و الفنّ . و قد تعرّضت وجهة نظر وضع الذات فوق مصالح الثورة ، فى الصين و العالم ، إلى الهجوم و أولئك الذين كانوا يطلقون بصفة مفتوحة تماما جملا مثل " وظيفتى " فى موقع دفاعي . وعبر كلّ هذا جرت تغييرات فى المؤسسات الكبرى فى المجتمع و فى تفكير جماهير الشعب قصد مزيد تثويرها . و عبر كلّ هذا أيضا ، حدثت إختراقات جديدة و كسبت دروس جديدة فى التحرّك ، من خلال ممارسة دكتاتورية البروليتاريا ذاتها ، نحو الإضمحلال النهائي للدولة - نابشين فى التربة التى تفرز الإختلافات الطبقيّة و فى نفس الوقت جالبين الجماهير على نحو واسع و بوعي أكبر إلى تسيير المجتمع ".
(**" من أجل حصاد التنانين "** ص 110- ، بالأنجليزيّة)

و من المهمّ أن نلاحظ أنّه مهما كانت خصوصيّات الصين التى تشمل تأثير المرحلة الديمقراطية الجديدة لثورتها و الإرث المتوصل للإضطهاد شبه الإستعماري ، فإنّ مساهمات ماو تسى تونغ المركزيّة حول نظرية و ممارسة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا تنطبق و بصفة مباشرة على البلدان الإمبريالية إلى جانب كونها عنصر محوريّ للتطوّر العام لعلم الثورة .

هل يمكن لأيّ كان أن ينكر أنّه عقب إفتكاك السلطة فى بلد إمبريالي ، ستواجه البروليتاريا أيضا تناقضات حادة جدّا بين الطريق الإشتراكي و الطريق الرأسمالي ؟ بالتأكيد أرضيّة ظهور قيادات برجوازية جديدة صلب الحزب فى السلطة سنكون على الأقلّ كبيرة فى القوى الإمبرياليّة (السابقة) مثلما فى البلدان المستعمرة و شبه المستعمرة سابقا . فى الأساس ، ستكون المسألة المطروحة مسالة إعادة هيكلة علاقاتها العالميّة على قاعدة إقتصاديّة جديدة كليّا و وفق المبادئ الأمميّة الشيوعية . بصفة خاصة صلب الحزب فى السلطة (وبطبيعة الحال، مرتبطة بالضغوط الإيديولوجيّة الناجمة عن الإمتيازات التى تتمتّع بها قطاعات واسعة من السكّان بسبب الحكم الإمبريالي ، من الحتمي تقريبا أنّ النضالات ستظهر حول (و فى النهاية حتّى إذا كان من اللازم) إجتثاث الإرث الإمبريالي و تقديم الدعم كلّه إلى الثورة البروليتاريّة العالميّة .

وفى حين ستنمو الإمتيازات الثورية للبروليتاريا فى السلطة فى بلد متقدّم ، لن تنكر و لا يمكنها أن تنكر مركزية الصراع الطبقي للحيلولة دون إعادة تركيز الرأسمالية و لمزيد التقدّم بالثورة. و بالفعل ، وجد ماو نفسه يقاتل بإستمرار نوعا أو آخر من " نظرية قوى الإنتاج " التى كانت تنشر النظرة المعاكسة القائلة بأنّ القدرة الإنتاجيّة الأكبر هي مفتاح معالجة تناقضات المجتمع الإشتراكي . و ستتكرّر هذه النظريّة بلا شكّ و إن لم تكن على الأقلّ بنفس الحدّ ، فبأشكال مختلفة فى مجتمع أكثر تطوّرا .

وكذلك سيكون إجتثاث المؤسّسات و الأفكار الراسخة جيّدا من البنية الفوقيّة بالتأكيد ضروريّا فى بلد إمبريالي مثلما هو فى بلد خارج من الشبه الإقطاعية . قد صلّبت برجوازية البلدان المتقدّمة و حسّنت بنيتها الفوقيّة لقرون كأفضل وسيلة لتشجيع إنتاج و إعادة إنتاج العلاقات الإجتماعية البرجوازية و لأنّ هذه المؤسسات بطرق ما أرسخ بصلابة و حيويّة فى البلدان الإمبرياليّة منها فى الأمم المضطهَدَة حيث الثقافة كلّها عادة ما تكون فى مخاض أزمة و إنحلال حادين ، ضرورة إجتثاثها يمكن أن تكون أكبر لكثير .

بكلمات أخرى ، لنظريّة ماو و ممارسته للثورة الثقافيّة صلوحيّة عالميّة . و مع ذلك هناك الذين يصوّرون الثورة الثقافية ليس كمزيد من تعميق دكتاتورية البروليتاريا و إنّما تقريبا كشيء فى تعارض مباشر معها . و هذه النظرة الخاطئة - أو التشويه التام ، أحيانا - شائعة خاصة فى البلدان الإمبريالية . ويمسك أصحاب هذه النظرة ببعض مظاهر من الثورة الثقافية، لا سيما التمرّد الجماهيري المباشر ضد قطاعات الحزب التى صارت مواقع برجوازية قويّة ، و يحاولون إستخدام ذلك حجّة للتخلّص فى مرّة واحدة من الدور القيادي للحزب فى المجتمع الإشتراكي . و أحيانا تّستغلّ بعض التحديدات الحقيقية الهامة مثل كمونة شنغاي التى حاولت الحكم المباشر دون وسيط للبروليتاريا ، على أنّها جوهر الثورة البروليتاريا ثمّ يُقال إنّه بعد التخلّى عن الكمونة فى بدايات 1967 إنهار كلّ شيء .

يجهل هؤلاء الناس انّ ماو ذاته شرح أنّ سبب عدم مواصلة شكل الكمونة كان هشاشتها أمام الأعداء ومختلف أشكال هجومهم ، و فى علاقة بذلك ، أنّ مختلف تناقضات المجتمع الإشتراكي (بين المدينة والريف ، و العمّال و الفلاحين ، و العمل الفكري و العمل اليدوي إلخ) لم تبلغ بعد مرحلة حلّ كافي لمحاولة القيام بمثل هذا الشيء . و كذلك ينكر هؤلاء

الناس المكاسب الحقيقية المحقّقة فى السنوات التالية لبداية التمرّد ، فعلا يخفقون فى المسك بالإرث الأخير للصيغة الماوية الشهيرة " صراع - نقد - تحويل " ، و ينكرون كذلك الهدف الحقيقي لكافة الصراعات الجماهيريّة للثورة الثقافية . هدفهم النهائي ، مثلما إرتآه ماو ، لم يكن تفكيك الحزب أو إضعاف دكتاتورية البروليتاريا . الهدف الحقيقي كان المهمّة المزدوجة من الإطاحة بأتباع الطريق الرأسمالي و إعادة الحياة فى مؤسسات المجتمع الإشتراكي و تغييرها - بما فى ذلك الحزب - إلى مستوى أرقى نوعيّا (بينما يتمّ تحقيق هدف مزيد إعادة صياغة نظرة الناس للعالم). و فى قمّته ، هذا التأويل الزائف ل " الدفاع عن الثورة الثقافية " يصفّى مهام الإطاحة و الإجتثاث و التغيير ؛ و يشدّد بدلا عنها على نوع من الرؤية النقابيّة – الفوضويّة ل " العمال يسيّرون المصانع دون إعاقة بيروقراطيي الحزب " ، نظرة جدّ إقتصادويّة تنكر بوضوح (أو تدير ظهرها إلى) قدرة (و حاجة) البروليتاريا إلى التحكّم فى كافة مجالات المجتمع - بما فى ذلك الصراع صلب الحزب الطليعي !

لم ينظر ماو إلى المستقبل الشيوعي كنوع من نقطة نهاية ، سواء مملكة وئام كبرى أو تجمّع بهيج لكمونات جيفرسن . لقد فهم ماو الثورات على أنّها قوّة حيويّة للتطوّر الإجتماعي ليس فقط خلال المجتمع الإشتراكي لكن فى الشيوعية كذلك (مع أنّ هذه الثورات الأخيرة لن تكون قمعا عنيفا من طبقة لأخرى). الحقيقة توجد دائما فى البداية بين أيدي أقلّية ، صرّح ماو ، و أكّد على أنّ " **السير ضد التيّار مبدأ ماركسي** " ، مبدأ يعبُر كافة التشكيلات الإجتماعية .

و بالتأكيد دون هذا التوجه من السير ضد التيار ، فإنّ هذه الأحزاب التى تمسّكت بالمبدأ إزاء إنقلاب 1976 لم تكن لتتّخذ الموقف الذى إتّخذته . صحيح أنّ ماو شدّد أيضا على أنّه بينما على المرء أن يكون دائما على إستعداد للسير ضد التيّار ، فإنّه يجب عليه كذلك أن يقدر على التعرّف على ما هو و ما ليس هو تيّار معادي للثورة . فى كلا المظهرين علّمنا ماو شيئا جيّدا . و مثلما أشار الرفيق بوب آفاكيان زمن صراع شرس (وفى النهاية إنشقاق) فى صفوف الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكية حول موضوع الإنقلاب ، " **من الخطإ النظر إلى تجربة الإتّحاد السوفياتي و الصين على أنّهما نفس الشيء . فهناك عدد من الإختلافات ليس أقلّها أنّه زمن إنقلاب خروتشوف و تنديده بستالين و نبذه للماركسية - اللينينية ، ظلّت الجماهير فى الإتّحاد السوفياتي و ظلّ ملايين الثوريّين فى البلدان الأخرى (وإن لم تكن كلّها) مضطربة ، لم تفهم ما كان يحدث و لم يكن ذلك إلاّ ليفرز يأسا على نطاق واسع . هذا من جهة ، و من الجهة الأخرى ، بفضل الثورة الثقافية فى الصين ، و بفضل قيادة ماو العظيمة و بفضل النضال البطولي الذى قاده الأربعة ، ملايين الناس فى الصين كانت مسلّحة بفهم لما كان يجرى و تصارع حول المسائل المعنيّة ، بينما تمكّن البعض منّا فى البلدان الأخرى من أساس لفهم ليس فقط ما حصل و لكن أيضا لفهم قاعدة ذلك** " .

(" **الثورة و الثورة المضادة** " ، ص 130-131 بالأنجليزيّة)

و قد درّبت قيادة ماو أثناء هذه الفترة (و أيضا قبلها) جيلا على الأمميّة البروليتاريّة . فقد لاحظ لينين أوّلا أن إستغلال أجزاء كاملة من العالم من طرف البلدان الإمبريالية يغيّر بعمق إطار الصراع الطبقي و طبيعته ، مفرزا فى نفس الوقت نضالا ثوريّا فى الأمم المضطهَدة فى حين يخلق كذلك (أو يوسّع بشدّة) قاعدة الإنتهازيّة فى صفوف الأمم المضطهِدة .

و يجب التذكير بأنّه جرى إتّهام ماو بالعنصرية من قبل السوفيات لأنّه كان يدافع عن أنّ مركز إعصار الثورة البروليتارية قد تحوّل إلى ما يسمّى بالعالم الثالث و انّ " ريح الشرق ستتغلّب على ريح الغرب ". ما عارضه السوفيات حقّا هنا هو الفهم الصلب لدي ماو لمركزيّة حروب التحرّر الوطني خلال تلك الفترة و دورها الهام فى التحطيم النهائي للإمبريالية و بالتالى مهمّة جميع الثوريّين هي مساندة تامة لمثل هذه النضالات . و بطبيعة الحال، لم يحصر ماو مساندته فى هذه الصراعات وحدها - المظاهرات عبر الصين بأسرها ، إلى جانب موقف ماو المساند لتمرّدات السود فى الولايات المتحدة فى 1968 تقف دليلا على ذلك ، و كذلك أمثلة هامة أخرى . و قد لخّص ماو أيضا فى خضمّ الثورة الثقافية ، فى 1968 ، أنّه بالرغم من الإنتصارات الكبرى المحقّقة بعدُ ،" **ان الانتصار النهائي لبلد اشتراكي ما لا يستدعي حسب وجهة النظر اللينينية جهود البروليتاريا و الجماهير الشعبية الواسعة لهذا البلد فحسب و لكنه يتوقف أيضا على انتصار الثورة العالمية و على الغاء نظام استغلال الانسان للانسان من الكرة الأرضية ممّا يمكّن الانسانية قاطبة من التحرّر و تبعا لذلك فإن الحديث بلا ترو عن انتصار نهائي لثورتنا خاطئ و مضاد للينينية و هو بالاضافة الى ذلك لا يتطابق مع الواقع ".**

و وفّر كلّ هذا توجّها أمميّا ممتازا للحركة لا سيما مساندة نضالات الأمم المضطهَدة ضد القوى الإمبريالية ، و وفّر نوعا من المدرسة الإنهزاميّة الثوريّة للحركة داخل الأمم الإمبريالية . و كان هذا ، من ناحية أخرى ، **أساسا** – و سواء إستطاعت الأحزاب مواجهة التحديّات الناجمة عن التغيّرات فى الوضع العالمي خلال أواسط السبعينات بالتعميق و البناء على ذلك الأساس ، أم تخلّت عنه و فى النهاية خانته ، ستحدّده الممارسة . و بالنسبة للمجموعات و المنظّمات الثوريّة فى البلدان الإمبرياليّة التى تقدّمت ، مع ذلك شكّل خطّ ماو خلال ستّينات القرن العشرين **شرطا لا بدّ منه** و نقطة إنطلاق ضرورية لتعميق التوجّه و الممارسة الأمميّة .

==============

و تعود جذور عديد مساهمات ماو إلى تمكّنه من المنهج الجدلي . فقد ركّز ماو على وحدة و صراع الضدّين كمسألة مركزيّة و فى تحليل كافة الأشياء و تغييرها ، فى الطبيعة و المجتمع .
لماذا؟ تساءل ماو فى " **فى التناقض** " :

" ينبغى للفكر الإنساني ألاّ ينظر إلى هذين الضدّين كشيئين ميّتين جامدين ، بلكشيئين حيّين مشروطين قابلين لتبدّل و لتحوّل أحدهما إلى نقيضه ".

هنا بالطبع ليس بوسعنا إلاّ أن نصف بشكل عام تفكير ماو بصدد هذه النقطة المحوريّة . أمّا فى ما يخصّ تطبيقها الخاص على الثورة فى البلدان المتقدّمة ، فهو ليس أقلّ من كونه جوهريّ . و لنأخذ جانبا هاما فقط من هذا ، فقد حافظت البرجوازية على إستقرار نسبيّ فى هذه البلدان لوقت معيّن الآن ، و يتعرّض الثوريّون إلى الوقوع فى خداع ما حذّر منه لينين بحدّة : الإخفاق فى إدراك المهمّة بعدم الإعتقاد تماما فى إمكانية التغيّرات المفاجاة و المثيرة ، و بالتالى غياب الإعداد و عدم القدرة على إغتنام الفرص الثوريّة ضمن تمرّدات إجتماعية عريضة تظهر فى لحظة مفاجأة .

فى " **المجيء من الخلف للقيام بالثورة** " ، ناقش الرفيق أفاكيان هؤلاء النشطاء الذين يمكن أن يسلّموا بجدّية الأزمة التى يواجهها الإمبرياليّون و الأفق المنظور لحرب عالميّة ، لكنّهم يظلّون أعمياء إزاء الإمكانيّات الثوريّة ضمن ذلك الوضع عينه و لا حظ أنّ " ... **بالذات كون الثورة لم تحدث يحدّد فكر الناس ؛ و ما لم نجتهد بوعي لتجاوز ذلك بتحليل علمي ، فإنّكم عفويّا سترون ما يبدو أمامكم و ليس إمكانيّة ما قد يظهر فى ظروف مختلفة جدّا فى المستقبل - و بالفعل ، ليس حتّى ما يتطوّر تحت السطح و بذور المستقبل التى توجد بعدُ و تتطوّر فى الحاضر ، بما فى ذلك الأزمات الصغيرة و الإنفجارات التى تحدث...**".

" بطبيعة الحال ، إذا نظرتم إلى الأمور نظرة ميتافيزيقية - ثابتة دون تناقض داخلي فى كلّ الأشياء منعزلة مطلقا عن أيّة أشياء أخرى - عندئذ لن تتعرّفوا و لن يمكنكم أن تتعرّفوا على هذه الإمكانية الثوريّة ".

و جزء من تطبيق فكر ماو تسى تونغ [الماوية] على البلدان الإمبريالية ، يعنى إذن تعلّم تحديد العناصر الثوريّة و تحليلها و تشجيعها ، العناصر الثوريّة التى توجد حتما فى وضع غير ثوريّ عموما . و على الشيوعيّين أن يتعلّموا أن يمسكوا بالتناقضات صلب المجتمع وعدم الإنتظار دون أمل ل " دخيل غير منتظر" ؛ يجب عليهم أن يستوعبوا ما يعطى " الوحدة " أو الإستقرار المؤقت للمجتمع و طابعه الكامن الهشّ والعابر ، و يجتهدوا بأكبر قدر ممكن لتحديد منابع و أبعاد الكسر الحتميّ لتلك الوحدة . يجب أن يتعقّبوا الأزمات و الهزّات إلى جذورها فى التناقضات صلب المجتمع و أن يستعملوا المعرفة الحاصلة هكذا ليرسموا الأفق و يعدّوا عمليّا لليوم الذى تؤكّد فيه هذه التناقضات نفسها بصورة عاتية تماما . بإختصار ، يجب عليهم أن يتمكّنوا من أكثر المناهج الماوية أهمّية : إزدواج الواحد .

و فى مكان آخر ، كتب الرفيق آفاكيان إنّ " **الظهور المستمرّ للتناقضات و معالجتها ، كشيء ضد كافة المفاهيم المطلقة و الثابتة - هذا ما إستوعبه ماو كقوّة تحرّك تطوّر الأشياء ، فى الطبيعة و المجتمع و الفكر، و هذا الفهم يمضى مثل طريق قرمزي عبر كتابات ماو و أعماله** " - و كذلك يجب أن يمرّ الطريق عبر توجّه الأحزاب و منهجها الأساسي فى البلدان الإمبرياليّة ليمكّنها ليس فقط من المقاومة الناجحة لتآكل " أوقات السلام " بل أكثر من ذلك لإغتنام هذه الفرص التى

لا تقيّم بثمن للإنتفاضة الثوريّة التى بلا شكّ ستنفجر فجأة إنفجارا تاما ، بعديد المظاهر الجديدة و المتوقّعة و التى سترفع تحدّيات و فرص ليست بالضرورة ظاهرة - أو لعلّها ليست كذلك بالضرورة - للعين المجرّدة.

إنّ الإعتراف الأعمق بالسيولة و القفزات إلخ لم يقد - و لا يجب أن يقود إذا ما فهمناه و إستوعبناه جيّدا- إلى موقف " فليكن ما يكون" . لأنّه ، بجدليّة كافية ، بقدر ما يكون الفهم عميقا لقابليّة إنتشار عدم الإستقرار ، و قابليّة الإنفجار و القفزات نحو الجديد فى شؤون الطبيعة و المجتمع ، بقدر ما على المرء أن يرى الحاجة إلى الإعداد و التخطيط النشيطين و الصريحين ، بالضبط الحاجة للإستعداد لأيّ طارئ . و مناقشا أكثر أعمال الإنسانيّة و الحرب ، كتب أنّه ضمن " فى مجرى الحرب الطويل ، حيث يكون التطوّر مطلقا ، تتّصف كلّ مرحلة محدّدة منه بثبات نسبيّ " ، و أكّد على أنّ هذا الإستقرار النسبيّ فى آن معا يحتاج و يجعل ممكنا مخطّطات خاصة تمكّن المخطّطين من كسب المبادرة و تغيير مسار ذلك " النهر الكبير". و إلاّ سقط المرء فى النسبيّة و خاطر ب" إنكار ذلك يعنى إنكار ، ينكر الحرب نفسها و ينكر ذاته " (" **حول الحرب الطويلة الأمد** " ، المجلد الثاني ص 237-238) لذا كي يكون المرء حقّا " مستعدّا لأيّ شيء " بالمعنى العمليّ ، الإستعداد الثوري، العملي و التخطيط .

و هذا يشير إلى مساهمة أخرى فلسفية كبيرة لماو تسى تونغ : مبدأ أنّ " **المادة يمكن أن تتحوّل إلى وعي و الوعي إلى مادة** ". لقد شكّل هذا وبثّ نظرة ماو لهدف المجتمع الشيوعي - لقد هزأ من " شيوعية الغولاش " التى وعد بها السوفيات ، عارضا عوضا عنها نظرة أن " **كافة البشر عن طواعيّة وعن وعي يغيّرون ذواتهم و العالم** ". و يتأتّى تفكير ماو بصدد الإنتقال إلى المجتمع الشيوعي - الذى تتمحور حوله حاجة البروليتاريا إلى خوض صراع طبقي بشأن مسائل حيويّة للخطّ السياسي و التحكّم فى كافة مجالات المجتمع - من إستيعابه للدور الديناميكي والتغييري للوعي الإنساني.

و قد زاد إنقلاب 1976 هذه المسألة حدّة خاصة . فالتأويلات الإقتصادويّة لعشرات الأشباح وردت من موسكو و تيرانا و بيكين و الرؤى الغربيّة و هي تحثّ الثوريين الحقيقيين للتعمق أكثر فى جوهر تفكير ماو و مساهماته . بصفة خاصّة مع غدوّ توجّه الحرب ما بين القوى الإمبريالية أحدّ و مباشرا بصورة متصاعدة ، أضحت نزعة بداية السبعينات تحاول المزج بين مساهامات ماو العظيمة (و المناهِضة الإقتصادويّة صراحة) حول الصراع الطبقي فى ظلّ الإشتراكية مع مقاربة نوعا ما إقتصادويّة للصراع الطبقي داخل البلدان الإمبريالية ، لا يمكن الدفاع عنها . و الرهانات لم تعد أخطاء أو إنحرافات جرّاء الإقتصادويّة (مهما كانت جدّية) بل - مع التغيّر السريع للظروف الموضوعية و الأزمة المرتبطة بالحركة العالميّة - ما إذا كان المرء سيستسلم أم لا . لقد أشار لينين فى " **إفلاس الأممية الثانية** " خلال الحرب العالميّة الأولى إلى أنّ بذور الإنتهازيّة (بما فى ذلك الإقتصادويّة) أفرزت إستسلاما إشتراكيّا - شوفينيّا تام النموّ . و وضع مشابه كان الآن يقدّم نفسه أمام الحركة فى البلدان الإمبريالية ، وهو مشكل لا إنفكّ يواجهنا .

لقد طرحت نفسها مسألة إذا كان يجب العمل إلى الخلف إنطلاقا من ماو ، إن أمكن القول ، نحو التوجّه الذى إتّبعته أحزاب الكومنترن القديمة فى البلدان الإمبريالية ، أو عوض ذلك العمل قُدما و تطبيق روح إندفاع فكر ماو تسى تونغ [الماوية] للقطع التام مع الأفكار القديمة المتعلّقة بالحركة فى صفوف البلدان الإمبريالية .

و إتّباع المسار الأخير يؤدّى بالضرورة إلى إعادة تقييم لينين . " **ما العمل ؟** " - بتشديده على أنّ الإيديولوجية الشيوعية يجب أن تُحمل إلى البروليتاريا من خارج الحركة العفويّة ، و إستيعابه لأولويّة النضال السياسي نسبة للنضال الإقتصادي ، و تركيزه على الفضح الشامل للحياة السياسيّة و الإجتماعيّة من قبل الشيوعيّين كمفتاح لبثّ وعي شيوعي لدي الجماهير ، و مقترحه لجريدة سياسيّة ثوريّة كوسيلة أساسيّة للعمل الشيوعي فى الإعداد للإفتكاك المسلّح للسلطة فى البلدان الإمبريالية – مهمّ اليوم بقدر ما كان مهمّا زمن كتابته . و بالنسبة للذين يخافون من إبحار أعمق فى خطّ ماو تسى تونغ حول الوعي ، فى تلك الفترة ما بعد الإنقلاب من التساؤل ، و الدراسة و النضال ، و مواجهة تحدّيات الثمانينات ، هذه الحقائق تسطع بنضارة و حيويّة خاصين . إستعمل لينين الحزب الطليعي لعلاقة مفتاح فى كلّ هذا ، و كذلك فعل ماو (نقطة سنعود إليها). فى هذا ، فى معارضتهما لكافة أشكال الإقتصادويّة ، و فى تشديدهما على الدور الديناميكي للوعي الإنساني قاد لينين إلى ماو ... و ماو بدوره إلى لينين .

==================================

لكن هناك قصّة متّصلة بمسألة الحرب . فى صائفة 1968 ، لم تعد المسألة المطروحة أمام آلاف النشطاء فى البلدان الإمبريالية **ما إذا** بإستطاعة الجماهير أن تنهض - فجماهير السود فى الولايات المتحدة أكّدت ذلك بحسم ، فى أفريل من تلك السنة ، و تبعها الطلبة والعمّال الفرنسيون بعد شهر- لكن **كيف** يمكن أن تقاد للقيام فعلا بالثورة.

أدّى طرح تلك المسألة بشكل ملحّ و عمليّ ، إلى جانب تأثير الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ، بالكثيرين ، بمن فيهم نحن، إلى إجابة حزب طليعي معتمد على الماركسية - اللينينية - فكر ماو تسى تونغ .

" **قد يبدو هذا غريبا** " ، كتبنا بمناسبة الذكرى العاشرة لتأسيس حزبنا ، " **بلوغ فهم الحاجة الحيوية لحزب طليعي عبر الثورة الثقافية ، فى حين أن ماو وقادة ثوريّون آخرون كانوا يطلقون العنان للجماهير الصينيّة و يضعون تحت نيرانها قطاعات واسعة من هياكل الحزب الشيوعي الصيني ، و حتى مفكّكينها فى عديد الأحيان . و لكن ليس بهذه الغرابة عندما ندرك فى الواقع أن ذلك كان كذلك و بصفة جدّ هامة طريقة لإعادة إحياء الحزب الذى يثوّر هكذا ليكون مفتاح إطلاق العنان لقوّة الجماهير على نطاق أوسع حتّى** ".

كانت الطريقة التى إستعملها ماو بالطبع خاصّة بظروف الحزب البروليتاري **فى السلطة** و تناقضاته إلاّ أنّ الحاجة إلى المحافظة الحقيقيّة على ثوريّة الحزب عالميّة . يجب مقاتلة الركود ، يجب على الحزب أن يجتهد ليسمح بقيادة المبادرات المتقدّمة و الثوريّة حقّا التى تصدر عن الجماهير (و " الجماهير" هنا ينبغى رأيتها ببعد عالمي) و إطلاقها و تصليب عودها . متصوّرين وجود خطّ صحيح فى مصاف القيادة ، يصبح الحزب مفتاحا فى زيادة حريّة الجماهير لتصنع عن وعي التاريخ .

و المعضلة هي أنّه لا يمكن فقط تصوّر وجود خطّ صحيح سيقود حتما الحزب . كتب ماو فى " **فى التناقض**" أنّ " **تضاد الأفكار المختلفة و الصراع بينها فى صفوف الحزب ينشأ على الدوام ، وهو إنعكاس داخل الحزب للتناقضات بين الطبقات والتناقضات بين القديم و الجديد فى المجتمع . و لا شكّ أنّ حياة الحزب ستتوقّف إذا خلا من التناقضات و من الصراع الإيديولوجي من أجلحلّ هذه التناقضات** " . لقد رأي أنّ هذا الصراع يمثّل حياة الحزب ذاتها ؟ و لاحقا ، خلال فترة دكتاتورية البروليتاريا ، طوّر ماو نظرة أنّ صراع الخطّين صلب الحزب فى المجتمع الإشتراكي صار محور و مركز الصراع فى المجتمع ككلّ و قاتل ليسلّح الجماهير بفهم للتاريخ و بإطار هذه الصراعات ليمكّنها من الدخول الواعي للحلبة إلى جانب الخطّ البروليتاري الأصيل .

و يعكس وجود صراع الخطّين داخل الحزب الطليعي ، مثلما أشار ماو ، التناقضات الإجتماعية الموضوعية ، و سيستمرّ ، أردنا ذلك أم أبينا . و قد ولول التحريفيّون الأكثر أورتودكسيّة - من السوفيات إلى الألبانيين – أنّ هذا يذهب مباشرة ضد المبدأ اللينيني لوحدة قيادة الحزب . فى حين حاججت تلك القوى التى تمنّت أن تأقلم فكر ماو تسى تونغ مع مذهب أو آخر من الفوضويّة أو الإشتراكية – الديمقراطية - أولئك الذين أشرنا إليهم أعلاه و الذين " أعجبتهم" الثورة الثقافية لكنّهم لا يهتمّون ببساطة بدكتاتورية البروليتاريا - حاججت كذلك بأنّ الثورة الثقافية ذهبت ضد المبادئ اللينينية ، و لو أنّها من جانبها صفّقت لهذا الإبتعاد المدّعى و نادت بالتقنين التام للكتل داخل الحزب تقوم بحملات مفتوحة على أساس أرضيّات متنافسة .

لقد عالج حزبنا مطوّلا المشاكل المتّصلة بهذه الرؤى الفوضوية و الإشتراكية - الديمقراطية فى مكان آخر (أنظروا خاصة كرّاس " **ما دمنا نريد الثورة ... يجب أن يكون هناك حزب ثوري** " لبوب آفاكيان). لكن علينا أن نكرّر هنا أن ماو لم ينظر إلى الصراع الحيويّ داخل الحزب كغاية فى حدّ ذاتها بل عوض ذلك تطرّق له كوسيلة ضروريّة لقتال التحريفيّة من أجل خطّ أعمق و أصحّ ، و بالتالي ممارسة ثوريّة أغنى و أقوى . و صيغته الشهيرة فوق كلّ شيء كانت " وحدة - صراع - وحدة " و حتّى فى ظروف دكتاتورية البروليتاريا حيث صراع الخطّين داخل الحزب يركّز الصراعات الإجتماعية و يتّخذ فى لحظات معيّنة طابع الصراع الطبقي العدائي ، فإنّ ماو كان منفتحا و فى النهاية يجعل الصراع مفتوحا من أجل أن يفضح نوعا ما و يهزم الخطّ البرجوازي المعارض" (و قادة الكتل).

و من الأكيد أنّ الذين يدّعون أنّ الثورة الثقافية قد ألهمتهم للإبتعاد عن مبدأ الطليعة الموحّدة قد أخفقوا نوعا ما فى إدراك كون ماو كان لا يكاد يدعو إلى أن يعطي ليوتشاوتشى و أتباعه مجالا أوسع لتشجيع خطّه و تنظيمه ! (و لو أنّ ماو ، مرّة أخرى ، قدّم إطار الصراع إلى العلن فى الوقت المناسب و الضروري ليسلّح سياسيّا و إيديولوجيا - و يطلق العنان ل - الجماهير). و بالفعل ، ثمّن ماو عاليا و ناضل بما أوتي من جهد ، من أجل وحدة الإرادة مهما كان الشكل التنظيمي الذى تتّخذه الطليعة فى لحظات مختلفة إبّان الفترة الإعصارية بين 1966 و 1976 .

لنأخذ تشديد ماو على أن " **صحّة أو عدم صحّة الخطّ الإيديولوجي - السياسي هي المحدّدة فى كلّ شيء** " ، أو موقفه المنتشر إنتشارا واسعا أثناء الثورة الثقافية بأنّه " **لئن بقيت الجماهير وحدها ناشطة دون مجموعة قياديّة قويّة لتنظّم نشاطها تنظيما مناسبا ، فإنّ مثل هذا النشاط لا يمكن أن يحافظ عليه لمدّة طويلة ، أو يُتقدّم به فى الإتجاه الصحيح ، أو يرفع إلى مستوى عالي**" - هل يمكن إعتبار هذه فعلا كشيء معارض للتوجّه الأساسي للينين ؟ تطوير نعم ، لكن ليس إنحرافا . و تساعد مثل هذه المواقف أيضا ، ضمن مواقف أخرى ، على فهم لماذا و كيف أنّ فكر ماو تسى تونغ قد قاد حزبنا فى إستيعاب أعمق للحاجة إلى الصراع الداخلي الحيوي ، و منظمة مركزيّة موحّدة ، حزب قويّ عامة .

و ترتبط مسألة القيادة الطليعيّة هذه مباشرة بمبدأ الخطّ الجماهيري . و من ضمن جميع مساهمات ماو العديدة لعلّ هذا هو الذى إتّخذ أكثر من غيره كنقطة مرجعيّة من قبل الثوريّين فى البلدان الإمبرياليّة . بيد أنّ إنتعاش أخذ السياسات الثوريّة إلى الجماهير فى أواخر الستينات / أوائل السبعينات غالبا ما قد إبتُذل مع أواسط العقد ، إلى منهج مجرّد إكتشاف ماذا كانت تنوى غالبيّة الجماهير فعله فى لحظة معيّنة لخوض الصراع حوله .

بينما عادة ما شدّد ماو على الحاجة إلى الفهم العميق لمشاعر الجماهير ، فقد أكّد على الأقلّ بنفس الدرجة على ضرورة تحويل هذه " **الأفكار المتفرّقة و غير المنسّقة ... عبر الدراسة إلى أفكار مركّزة و منسّقة** " ثمّ المثابرة عليها إلى أن تعانقها الجماهير و تعتبرها أفكارها هي . و كذلك دعا الكوادر إلى التمييز بين " النشطاء نسبيّا و المتوسطين و المتخلّفين نسبيّا " - و لنكرّر ذلك ، أي من منطلق رؤية الجماهير من مستوى كلّي . و فى النهاية ، ربط ماو الخطّ الجماهيري بتشجيع و تصليب الطاقات الثوريّة الجديدة التى تتقدّم بها الجماهير عينها. و بالفعل ، فى بعض الظروف المفاتيح للصراع صلب الحزب الشيوعي الصيني ، وقع التركيز تحديدا على رفع راية أشكال جديدة من النضال أفرزتها الجماهير ، بالرجوع إلى حركة فلاحي هونان ، مرورا بالتجميع الإشتراكي للفلاحة، إلى القفزة الكبرى إلى الأمام و تواصل ذلك أثناء الثورة الثقافيّة.

هذا من ناحية ، و من ناحية أخرى ، صياغة مبدأ الخطّ الجماهيري **تمّت** فى زمن خاص حيث ، مثلما أشار بوب أفاكيان ، لأنّ جزءا هامّا من نضال ... الحركة الثورية كان يمضى **مع** الإندفاع العفوي للقومية - ضد اليابان ، مثلا " . لم يكن ماو يتعاطى مع نوع الوضع الخاص بالبلدان الإمبريالية أين يجب على الحركة الثوريّة أن تعارض بروز الشوفينية القوميّة فى بداية أو خلال مقدّمات الحرب الإمبرياليّة . وتجربة حزبنا ، لنكن واضحين ، هي أن وطنيّة العمل فى الأمم المضطهَدة ، مغذّاة بعناية على أساس الإمتياز الإمبريالي ، قاعدة للثورة المضادة لا وجود لشيء فى تلك الإيديولوجية لمحاولة " رفعه إلى مستوى أرقي" .

لقد قدّم ماو بعض الأفكار النافذة بصدد هذا النوع من المشاكل . و ذلك لأنّه عرف جيّدا و جعل نقطة إستراتيجية جوهريّة الإختلاف بين الأمم المضطهَدة و الأمم المضطهِدة . و مجدّدا دعونا نشير إلى كون أمميّة ماو الصريحة و كذلك ولادة التيّار الماوي فى خضمّ إعصار نضالات التحرّر الوطني ، قد وفّرا أساسا قويّا و هاما من أجل تجذّر توجّه أممي و إنهزامي ثوري فى صفوف الأحزاب و المنظّمات فى البلدان الإمبرياليّة . و زيادة على ذلك ، مؤكّد أن المبدأ الماوي " **السير ضد التيّار**" ينطبق على هذا الإطار – يوفّر قاعدة للصلابة الإيديولوجيّة و السياسيّة لمعارضة مثل هذه الشوفينية فى فترة الحرب و ما قبل الحرب و هكذا يفتح الباب أمام الإمكانيّات الثورية فى مثل هذا الوقت .

و من زاوية أخرى ، لا يعنى هذا إيجاد شيء أو شخص آخر يعوّل عليه عدا الجماهير . فى البلدان الإمبريالية مهمّة كسب الذين يتجمّعون حول الراية الوطنية للإمبرياليين ، لا سيما منهم البروليتاريّين ، حول مصالحهم الطبقيّة الأكثر جوهريّة - بشأن الأمميّة البروليتاريّة - يستدعى من الحزب أن يكرّس ذاته منذ البداية إلى تشجيع أيّ و كلّ بذور الأمميّة أو الإنهزامية الثوريّة الممكنة التى تظهر (و مثل هذه البذرة) حتما تظهر بشكل أو آخر) فى كلّ من مشاعر البروليتاريا و أفعالها .

و يجب على الحزب أن يدرّب البروليتاريا عبر العديد من الأمثلة الملموسة على رؤية مصالحها الطبقيّة الحقيقيّة فى تعارض مع الرغبات الوطنيّة البرجوازية ، و هكذا يشيع فيها القدرة على التعرّف على المعارضة الناشئة للإمبرياليّين والتوحّد معها و التقدّم على رأسها . و يتمثّل التحدّى فى إعداد القطاع المتقدّم من الطبقة المتقدّمة ليس فقط لتقاوم التيّار/ التيّارات الحتميّة للشوفينية القوميّة لكن أيضا (و فى إرتباط وثيق بذلك) للإستفادة من الأزمات الحقيقية التى تخلّفها الحروب و العدوان الإمبرياليّين على البرجوازية ... قصد القيام بلا أقلّ من قيادة الجماهير بملايينها إلى القيام بالثورة . و لا يمكن رفع هذا التحدّى إلاّ بإستعمال ، و ليس نبذ ، الخطّ الجماهيري – مفهوما ومطبّقا على الوجه الصحيح .

==================================

و لتطوير ماو تسى تونغ لإستراتيجيا الجبهة المتّحدة تطبيق هام فى البلدان الإمبريالية . ففى 1969 طرح الإتّحاد الثوري (المنظّمة المؤسّسة للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية) الجبهة المتّحدة ضد الإمبرياليّة فى ظلّ القيادة البروليتارية ك**إستراتيجيا** الثورة البروليتاريّة فى الولايات المتحدة . و لا نزال نتبنّى هذه النظرة . و بينما قد عمّقنا ، و فى مظاهر معيّنة غيّرنا ، تحليلنا مع مرور السنوات ، فإنّ تثميننا للمبدأ الإستراتيجي الماوي قد نما .

لسوء الحظّ ، الإندفاع الأساسي للفكر الإستراتيجي لماو تسى تونغ حول الجبهة المتّحدة غالبا ما يقلّص إلى " البروليتاريا توحّد كلّ من يمكن توحيدهم ، بما فى ذلك البرجوازية الوطنية ، ضد الإمبرياليين " . و فى حين أنّ هذا بالتأكيد مظهر من مظاهر تطبيق ماو لإستراتيجيا الجبهة المتّحدة فى الصين ، فإنّه فقط نصف الحكاية ، و النصف الأقلّ أهمّية . فقد إستوعب ماو أنّ التناقض بين الإمبرياليّة و الأمم المضطهَدة ينبغى أن يفرز ، بإستقلالية عن إرادة أيّ كان ، تمرّدات إجتماعيّة هائلة فيها عديد القوى الطبقيّة المختلفة ، و منها البرجوازية الوطنية ، التى تنحو نحو المشاركة فى هذه التمرّدات .

ما كان جديدا فى ما قدّمه ، مع ذلك ، هو إشارة فى ظلّ أيّة ظروف مثل هذه الجبهة مع البرجوازية كانت مناسبة ، و أكثر أهمّية ، **كيف تستطيع البروليتاريا أن تجد طرق ممارسة قيادة مثل هذه الجبهة** ، أن تبثّ فيها التوجّه **الثوري الحقيقي و الإندفاع ، و تمنع إستيلاء القوى البرجوازية عليها .** و فى هذا يقف ماو فى تناقض حاد مع جميع المنتمين لعديد القوى التى تعلن الجبهة المتّحدة يوم الإثنين فقط لتصفّي جوهريّا الدور المستقلّ الإيديولوجي و السياسي و العسكري للبروليتاريا يوم الثلاثاء صباحا ؛ فبخلافهم ، قد صاغ المعالجة الصحيحة لجدليّة مشاركة البروليتاريا فى الجبهة المتّحدة و رفع وعيها الطبقي الخاص و دورها القيادي . و مسألة مفتاح فى هذا هي المحافظة على إستقلالية قوى البروليتاريا المسلّحة ومبادرتها، و إستعمال هذه القوى " **للإبقاء على الراية الحمراء خفّاقة** " إلى أقصى درجة ممكنة عبر كلّ منعرجات الأحداث و إلتواءاتها .

لقد رأي ماو الجبهة المتّحدة كإستراتيجيا لخوض حرب ثوريّة لأجل بلوغ شكل مختلف نوعيّا من سلطة الدولة . هذه هي الثورة الديمقراطية الجديدة التى هي فى جوهرها (كما لخّص الحزب الشيوعي الصيني أثناء الثورة الثقافية) تولد شكلا من أشكال دكتاتورية البروليتاريا فيه تقود البروليتاريا و طليعتها بصلابة الطبقات و الفئات الثوريّة الأخرى فى إجتثاث الإمبريالية و العلاقات الإجتماعية ما قبل الرأسمالية و فى تعبيد الطريق أمام الإشتراكية . لم يكن ماو من دعاة " تقاسم السلطة " ، أي ، مقايضة قوى البروليتاريا المستقلّة من أجل مواقع فى جهاز دولة برجوازي جوهريّا ، حتى و إن كانت تلك الدولة ذاتها " تقدّمية " : " معادية للفاشية " أو " مناهضة للإمبريالية ".

فى البلدان الإمبريالية ، مثل هذه التأويلات اليمينية للجبهة المتحدة هي عادة بمثابة تقليص هذا الفهم الإستراتيجي إلى " تحالف سياسي" مخفّف " هذا ما أستطيع أن أوفّر لكم "، و لمقاربة براغماتية للوحدة . أبدا لم يكن هذا فهمنا لإستراتيجيا الجبهة المتّحدة ، و هذا ندين به لماو . البروليتاريا تقود و تشكّل الجبهة المتّحدة على أساس وضوح أهدافها ، و القوّة المادية التى تحشدها و قوّة برنامجها - هذا و هذا فحسب بإمكانه أن يعالج تناقضات المجتمع الرأسمالي .

و الآن ينبغى على حزب فى بلد إمبريالي أن يأخذ بعين الإعتبار عددا من الإختلافات الهامة بين تطبيقه هو هناك و بين تطبيق إستراتيجيا الجبهة المتّحدة فى أمّة مضطهَدة . أوّلا ، لا تستطيع البرجوازية فى مثل هذه البلدان أن تكون جزءا من الجبهة المتّحدة بما أنّها (و العلاقات الإجتماعية التى تجسدها) تشكّل هدف الجبهة المتّحدة ؛ ثانيا ، على خلاف الصين ،

لا تتّخذ الثورة شكل الكفاح المسلّح منذ البداية بل بالعكس تمرّ عبر فترة طويلة من أساسا النضال السياسي إلى أن تنضج الأوضاع لإنتفاضة عبر البلاد قاطبة . **ما ينسحب فعلا** ، مع ذلك ، وهو جدّ عميق ، هو بداية تشديد ماو على أنّ هدف مثل هذه الجبهة المتّحدة هو سلطة دولة جديدة ثورية : دكتاتورية ثورية تقودها البروليتاريا (و من جديد ، حتى و إن إتّخذت شكلا خاصا فى الأمم المضطهَدة).

و فضلا عن ذلك ، يتحدّث مبدأ و إستراتيجيا الجبهة المتّحدة عن كون عديد القوى و الفئات الطبقيّة المختلفة فى البلدان الإمبريالية ستدخل فى حركة ضد البرجوازية ، حسب الظروف . و قد لاحظ لينين هذا حين كتب أنّ الثورة الإشتراكية " **لا يمكنها** إلاّ أن تكون إنفجارا للنضال الجماهيري من قبل شتى المضطهَدين و العناصر الغاضبة ".

" من الحتمي أنّ قطاعات من البرجوازية الصغيرة و العمّال المتخلّفين سيساهمون فيها - و دون مثل هذه المساهمة ، النضال الجماهيري غير ممكن ، دونه من غير الممكن القيام بالثورة - و كذلك من الحتميّ أنّهم سيجلبون إلى الحركة أفكارهم المسبّقة ، و أوهامهم الرجعيّة و هناتهم و أخطاءهم . لكن **موضوعيّا** سيهاجمون **رأس المال** ، و ستكون طليعة الثورة الواعية طبقيّا ، البروليتاريا المتقدّمة ، معبّرة عن هذه الحقيقة الموضوعية للصراع الجماهيري المختلف و المتنافر و المتلوّن و المتقطّع ظاهريّا ، ستكون قادرة على توحيده و توجيهه ، [و] إفتكاك السلطة..." . (الأعمال الكاملة ، المجلّد 22 ، ص 356 بالأنجليزيّة)

و لسوء الحظّ ، غالبا ما تمايل الشيوعيون إلى الأمام و إلى الخلف بين محاولة إنكار هذا الواقع (بمفاهيم قيادة النضال الإقتصادي للعمّال رأسا إلى الثورة الإشتراكية) ، و التحوّل إيديولوجيا إلى الصمت إزاء ذلك ، مقلّصين الأمر إلى جبهات متّحدة فيها يمكنهم فقط محاكاة الدعاية الإيديولوجيّة و خدمة الأهداف السياسيّة للبرجوازيّة الليبراليّة . و لا سيما فى الأيّام الحاسمة الحاليّة ، مزيد تطوير ماو لمبدأ و إستراتيجيا الجبهة المتّحدة - خاصة تفكيره حول حاجة البروليتاريا و حريّتها فى النضال من أجل هيمنتها الإيديولوجيّة و السياسيّة و التنظيميّة داخلها - لا غنى عنهما.

و بناءا على مقاربة ماو تسى تونغ للجبهة المتّحدة ومطبّقا إيّاها على تحدّيات اليوم ، أشار الرفيق آفاكيان إلى : " على وجه التحديد و فقط بإرساء موقف ثوري قطعي و قطب ثوري فى مجتمع الولايات المتّحدة و العمل بإتّساق على تجميع المتقدّمين خاصة ضمن البروليتاريا فى إطار هذا القطب ، سيكون من الممكن تطبيق إستراتيجيا الجبهة المتّحدة تطبيقا صحيحا. و هكذا فحسب ستجد فئات و قوى أخرى معها من الصحيح و الضروري إستراتيجيا البحث عن الوحدة معها ، نفسها تنزع إلى و / أو مدفوعة إلى الدخول فى جبهة متّحدة معنا : و هكذا فحسب سيتمّ رفع راية المصالح الإستراتيجية للبروليتاريا و سيتمّ الحفاظ على أفق القيادة البروليتارية للجبهة المتّحدة و سيتمّ بثّها بإندفاع و مضمون ثوريّين قطعيّين ."

(" **نهاية فظيعة أم وضع نهاية للفظاعة** " ص 101 بالأنجليزيّة)

=========================

إستراتيجيا ، تهدف الجبهة المتّحدة إلى غاية واحدة ، مثلما كتب ماو ،
" إنّ إنتزاع السلطة بواسطة القوّة المسلّحة ، و حسم الأمر عن طريقالحرب ، هو المهمّة المركزيّة للثورة و شكلها الأسمى . و هذا المبدأ الماركسي اللينيني المتعلّق بالثورة صالح بصورة شاملة ، صالح للصين و لغيرها من الأقطار على حدّ سواء ." (الأعمال المختارة ، المجلد 2 ، ص303).

فى سيرورة قيادة الثورة الصينيّة نحو الإنتصار ، طوال 22 سنة من الحرب ، طوّر ماو الخطّ العسكري الماركسي الشامل الأوّل ، و بالرغم من أنّها نتاج حرب خاصة (أو حروب ، فعليّا) ، لهذه المبادئ الجوهرية مضمون عالمي غنيّ بالنسبة لجميع الثورات .

و محوريّ ضمن هذه المبادئ أنّ الحزب يقود البندقية ، أي ، أنّ على الحزب أن **يقود** الكفاح المسلّح و القوى المسلّحة الثوريّة ، و لا يسمح أبدا للجيش بأن يصبح سواء القوّة السياسيّة القيادية للثورة أو قوّة مستقلّة عن القيادة السياسية للحزب .

لا يمكن لخطّ و إستراتيجيا عسكريّين صحيحين أن يتأتّيا إلاّ من تقييم دقيق للوضع السياسي العام و لاصطفاف الطبقات عالميّا و فى بلد معطى ، و مثل هذا التحليل لا يمكن إلاّ أن ينجز بصورة شاملة و من قبل الحزب . تحليل الحزب و منهجه يجب أن يؤكّد على المجال العسكري خلال الصراع العسكري - يجب أن يقود الوعي العفوية ، فى هذا المجال مثلما فى غيره من المجالات الأخرى ، بما أنّ الطريق العفوي هو فى النهاية طريق **برجوازي** . و علاوة على ذلك ، سيتضمّن الجيش الثوري بالضرورة قوى واسعة جدّا و دون القيادة الصلبة للحزب و التربية و الصراع الإيديولوجيّين المتّسقين ، فإنّ نزعة أو أخرى لتقليص هدف الحرب الثوريّة إلى شيء أقلّ من الثورة الصريحة - نزعات قاتلها ماو بلا هوادة - ستنشأ حتما و تزدهر و تعرّض تقدّم الثورة إلى خطر جدّيّ . كلّ هذا أساسي - أو على الأقلّ كان (أو يجب أن يكون) أساسيّا منذ أن تناوله ماو بالبحث فى أتون تقريبا عقود ثلاث من الحرب الثورية !

بالطبع ، الإستراتيجيا العسكرية الخاصة بالثورة البروليتارية فى البلدان الإمبريالية ليست ذاتها فى الصين ، مثلما يوضّح ذلك ماو عقب تلك الفقرة المستشهد بها أعلاه :

" إنّ المبدأ [الثورة المسلحة – الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية] سيبقى هو ذاته إلاّ أنّ الأحزاب البروليتاريّة التى تعيش فى ظروف مختلفة تطبقه بصور مختلفة تبعا لإختلاف الظروف . "

ثمّ يشير إلى أنّ الحرب الثوريّة فى البلدان الإمبرياليّة يجب أن تبدأ كإنتفاضة فى المدن فى وقت يمكن فيه فعلا أن تُمنى البرجوازية بالهزيمة – وهو ما يختلف بداهة عن إستراتيجيا ماو فى الصين للحرب الطويلة الأمد التى يشيّد الحزب خلالها أوّلا جيشه و قواعد الإرتكاز فى منطقة أو فى عدّة مناطق متنوّعة من البلاد ، و تاليا يراكم القوى عبر خوض المعارك و الحملات ، و لا يفتكّ المدن إلاّ فى المراحل النهائية من الحرب . و هذا التمايز بالذات بدا مهمّا فى الصراع ضد النزعة المغامراتيّة التى ظهرت فى البلدان الإمبريالية فى بدايات السبعينات (و التى وجدت التعبير عنها فى الولايات المتحّدة فى صراع حاد و إنقسام صلب الإتّحاد الثوري) .

و من ناحية أخرى ، ويل للذين يريدون إستبعاد أو محو لزوم فكر ماو العسكري الخاص بالنسبة للبلدان المتقدّمة . فقد واجه ماو جيشا عالي التسليح و عامة فائق التجهيز مقارنة بذلك الذى كان هو يقوده . و للذين لا يسامحون الخيالات التروتسكيّة للرفض المباشر و الشامل للفرق الإمبريالية عند الطلقة البروليتارية الأولى ، فإنّه يجب الإ قرار بأنّ مثل هذا النوع من الأوضاع سيحصل عليه عند بداية ثورة (ولبعض الوقت بعد ذلك) فى بلد متقدّم . ما العمل ؟

أوّلا ، يجب على المرء أوّلا أن يستوعب أبعاد ملاحظة ماو لمنظّمة تحرير فلسطين فى 1965 بأنّ كلّ المنطق العسكري ، مهما كانت الخصوصيّات ، يمكن أن يلخّص فى مبدأ " **أنتم تقاتلون على طريقتكم ، ونحن سنقاتل على طريقتنا** ". و مثلما أشار الرفيق أفاكيان ، بالنسبة للإمبرياليّين (و خاصة الإمبرياليين الأمريكان) لقد عني ذلك على الدوام التعويل على و الإجتهاد لإستعمال ميزات القوّة النارية الكبيرة و التقنية الماهرة و (فى البداية على الأقلّ ، عدد أكبر من الجنود). و البروليتاريا و المضطهَدون ليس بوسعهم أمل ، و لا يجب أن يستهدفوا ، التساوي معهم بندقية بندقية و جنديّا جنديّا ، ما ينبغى أن يقوموا به هو إستعمال ميزاتهم الخاصة . و فوق كلّ شيء عليهم أن يصوغوا إستراتيجيا و تكتيك يمكن أن يُطلق (و يصلّب) مبادرة الجماهير و حماسها عند القتال من أجل مصالحها الطبقيّة الحقيقيّة ، و فى نفس الوقت مع تطوّر السيرورة ، بعث اليأس فى صفوف و فى النهاية تفكيك الجيش البرجوازي .

هذا المبدأ الأساسي الماوي تقدّم فعلا أبعد كثيرا من التجربة البلشفية فى بناء الجيش و خوض الحرب الشعبيّة . إلى درجة كبيرة قامت خطّة البلاشفة على التعويل على أولئك الضبّاط و المختصّين العسكريّين من النظام القديم الذين يمكن كسبهم ، أو على الأقلّ إجبارهم على القتال ؛ و سعوا إلى قيادة هؤلاء الضباط و التحكّم فيهم عبر المندوبين السياسيّين . و غالبا ما تبنّوا تقريبا كافة التكتيكات العسكريّة لهؤلاء الضباط - التكتيكات العسكرية التى تطوّرت و فى النهاية كانت أكثر مواتاة لجيوش الرجعيّة . و ليس المقصود من هذا التقليل من مكاسب البلاشفة فرغما عن كلّ شيء حطّموا سلطة الدولة القديمة و أيضا هزموا جيوش 14 قوّة إمبريالية أخرى فى وقت أو آخر أثناء السنوات الثلاث من الحرب الأهليّة . و مع ذلك ، لم يصوغوا ، و هم يقومون بذلك أي شيء يقارب مستوى ما قام به ماو بمعنى العقيدة العسكرية البروليتارية .

من الصحيح أن المرء لا يمكنه ببساطة أن ينقل ماو ليجد الأجوبة عن خوض الحرب الثورية فى بلد إمبريالي . فالكثير من الجديد فى طريق الإستراتيجيا و التكتيك يجب تطويره للتمكّن من تجاوز الجيوش الإمبريالية المصطفّة الآن مهما كان سوء الوضع الذى يمكن أن تواجهه و ستواجهه البرجوازيّة . بيد أنّه ينبغى أن تكون للمرء نقطة إنطلاق فى النهوض بمثل هذه المهمّة الهائلة ؛ أنّ الخطّ العسكري البروليتاري الشامل قد وفّره ماو .

و أساسي لهذه القاعدة – و وثيق الإرتباط ب " **أنتم تقاتلون على طريقتكم ، ونحن سنقاتل على طريقتنا** "- هو مبدأ ماو بأنّ الشعب و ليست الأسلحة هي المحدّدة فى الحرب . لقد علّق بوب أفاكيان بأنّه " **حينما تحرم الجيوش الإمبريالية و الرجعية من القدرة على القتال على طريقتها - قهر العدوّ و سحقه بالتفوّق فى البندقية و القوّة - ستبرز بالتالى بصورة متصاعدة نقاط ضعفها الإستراتيجية : أنّها جيوش نهب و إستغلال ، معارضة لمصالح الجماهير الشعبية عبر العالم ؛ ليست لفرقها وعي سياسي حقيقي أو وعي بالمصالح و الأهداف الفعليّة التى تقاتل من أجلها ؛ و تعوّل على التقنية و التفوّق التقني و من هنا خسارة إلى درجة كبيرة أن لا تملكها أو تحيّد فعلنا ؛ صفوفها منظّمة فى تراتبية و هيكلة قيادة صارمين و إضطهاديّين .**

وهي تزخر بالتناقضات و النزاعات الحادة الطبقيّة و القوميّة (و الذكر ، الأنثى) ، بما فى ذلك ضمن " أصحاب النعرات " عينهم مثلما بين الضبّاط و صفوف الجنود ".

" **بمعنى جوهري ، الجيش تعبير مركّز عن المجتمع الذى يقاتل من أجله - عن العلاقات الإجتماعية و السياسيّة و القيم ، إلخ المهيمنة و التى تميّز ذلك المجتمع ... و الإختلاف الجوهري بين الجيوش الثوريّة و الجيوش المعادية للثورة سيتواصل التعبير عنه بشكل أتمّ بقدر ما تجري الحرب بينهما** ".

و ماذا عن مسألة الأسلحة النوويّة ؟ إنّ أكثر احكام ماو شهرة ،أو على الأقلّ التى وضعت الإمبرياليين فى مواجهة الحائط ، كانت صرخته بأنّ الإمبريالية " **نمر من ورق** " فى وقت كانت فيه الولايات المتّحدة تحاول أن تهدّد الصين و تحاصرها بالأسلحة النوويّة . بالكاد كان ماو غير محتشم – كان الإبتزاز أكثر من مطلع معتاد عن كثب على مضمون الحرب و إنتبه ليلاحظ أنّ هذه النمور من الورق تملك أيضا ، على المدى القصير ، مظهرا قاسيا كذلك . ما إنطلق منه ماو فى تصريحه و طوال حياته ، هو معرفة الضعف الإستراتيجي للإمبريالية ، عندما يضرب الشعب المضطهَد مؤخرتها ، و يرفع عينيه و يرفع قبضاته و يستخدم رأسه .

القدرة على العثور على طرق تحويل نقاط الضعف الإستراتيجية للإمبريالية إلى نقاط ضعف تكتيكية ، و على الإدراك بالملموس و إستعمال مصادر القوّة الإستراتيجيّة للبروليتاريا فى كلّ ظرف تكتيكي حيويّ ، و بثّ هذا فى المقاربة كلّها– بالتأكيد يجب تعلّم هذا من ماو تسى تونغ ! بصفة خاصة فى زمن يعدّ فيه مهندسو الجحيم و سادة الحرب الرجعية لإطلاق قدر غير مسبوق من تحيطم الكوكب و سكانه ، يج نشر مساهمات ماو الثمينة نشرا واسع النطاق .

==============================

هذه السنة نحتفل بالذكرى العشرين للثورة الثقافية و بالذكرى العاشرة لوفاة ماو تسى تونغ . فنجعل أيضا من هذا زمن التفكير فى الطرق التى بها هذه المنعرجات الحيويّة و ردّ الثوريين عبر العالم عليها قد بثّت التوجّه الثوري- والمكاسب – لكامل الحركة ، منذ ولادتها إلى نضالات اليوم و فوق كلّ شيء مستقبلها الوضّاء . و الإحتفال الأنسب طبعا هو إعادة تفحّص حتى مرّة أخرى تلك القواعد الأساسيّة و ذلك التوجّه الأساسي لماو تسى تونغ ، و تطبيقها على شتّى التحدّيات المتنوّعة التى التى نواجه .

وعلى ضوء هذا ، لنؤكّد على أوضح وجه ممكن أنّه لن توجد ثورة فى البلدان الإمبريالية ، على الأقلّ لا ثورة بروليتارية ، دون فكر ماو تسى تونغ [الماوية] . و نكران أهمّية مساهمات ماو تسى تونغ أو الحطّ منها أو رؤيتها ك " ملحق إختياري " للماركسية ، مفيدة فقط للأمم المضطهَدَة خاطئ بعمق و لا يمكن أن يقود إلى الثورة. يجب على حزب فى بلد إمبريالي أن يستوعب فى أساسه أنّه مثلما كتب رئيس اللجنة المركزية لحزبنا :

" قبل كلّ شيء ، يمثّل فكر ماو تسى تونغ [الماوية] تطويرا نوعيّا للماركسية – اللينينية ؛ و الماركسية - اللينينية - فكر ماو تسى تونغ [الماوية] فلسفة شاملة و نظريّة سياسيّة وهي فى نفس الوقت علم مستمرّ التطوّر، حيّ و نقديّ . و هي ليست الإضافة الكمّية لأفكار ماركس و لينين و ماو (و ليس الحال أنّ كلّ فكرة أو سياسة أو تكتيك خاصّين تبنّوها كانت خالية من الخطإ) ، الماركسية - اللينينية - فكر ماو تسى تونغ [الماوية] خلاصة التطوّر و بصفة خاصة الإختراقات النوعية ، اللذان بلغتهما النظريّة الشيوعيّة منذ تأسيسها من قبل ماركس إلى يومنا هذا . لهذا مثلما قال لينين عن الماركسية ، " إنّها لكلّية الجبروت لأنّها صحيحة ". "

(**" من أجل حصاد التنانين** "، ص 114، بالأنجليزيّة)

ملحق 2 :

النشاط السياسى لبوب أفاكيان و قيادته الثوريّة

خلال ستينات القرن العشرين و سبعيناته و تواصلهما اليوم

جريدة " الثورة " عدد 342 ، 22 جوان 2014

www.revcom.us

(سبق لشادي الشماوي نشر هذه الوثيقة ضمن " مدخل لفهم حملة بوب أفاكيان في كلّ مكان (إضافة من المترجم)"؛ كتاب " **الأساسي من خطابات بوب أفاكيان وكتاباته** " / " **الماوية : نظرّية وممارسة** " عدد 16) .

ملاحظة : ردّا على أسئلة متواترة عن تاريخ بوب أفاكيان كناشط سياسي راديكالي و تطوّره كقائد شيوعي و ثوري ، جرت صياغة الكرونولوجيا (التسلسل الزمني) التالية إعتمادا على كتاب السيرة الذاتيّة لبوب أفاكيان " **من إيكى إلى ماو و بعد ه : مسيرتى من الفكر الأمريكي السائد إلى شيوعي ثوري** " (إنسايت براس ، 2005 ، و هناك مقتطفات من الكتاب على الأنترنت ، على موقع :

(www.revcom.us

و على بعض المعلومات الإضافيّة التى قدّمها بوب أفاكيان .و بالرغن من أن هذه الكرونولوجيا لا تدّعى أنّها شاملة لكافة و مختلف الأحداث و العناصر التى سكّلت المساهمة السياسيّة لبوب أفاكيان و تطوّره كقائد شيوعي و ثوري ، فإنّها تعطى فكرة عن لحظات ذات دلالة و أهمّية فى مسيرة العقود الخمسة .

1964 :

وهو طالب فى جامعة بركلي ، كان بوب أفاكيان يناضل فى صفوف حركة حرّية الكلمة منذ مرحلتها الأولى فى سبتمبر 1964 . و كان واحد من ال800 شخص الذين وقع إيقافهم لإقامة تجمّع جماهيري فى مبنى إدارة الجامعة وهو منعرج فى تحقيق مطالب حركة حرّية الكلمة فى ديسمبر 1964.

1965 :

و شارك منذ البداية فى لجنة يوم الفتنام التى نظّمت فى الولايات المتحدة إنطلاقا من 1965 أولى الندوات و المسيرات المناهضة للحرب ضد الفتنام . و إضافة إلى ذلك ، شارك فى تجمّعات و مسيرات و ندوات و نشاطات أخرى نظّمتها هذه اللجنة ، و تواجد بإستمرار مع طاولة عرض أدبيّات اللجنة فى المركّب الجامعي لبركلى ، مناقشا من يرغب فى النقاش و الجدال حول حرب الفتنام . و برز كأنشط عضو فى مكتب الخطباء التابع لتلك اللجنة – كان يتحدّث فى التجمّعات و المسيرات و يتواصل مع عديد المجموعات المختلفة فى المركّب الجامعي و فى الأحياء و الكنائس و مع التجّار و غيرهم فى آريا دي باهيا فى سان فرانسسكو ، و غالبا ما كان يناقش المدافعين عن حرب الفتنام .

1966 :

عمل كباحث و كاتب مقالات لمجلّة " **رمبارز** " مساهما بعدّة مقالات ضد حرب الفتنام و ضد العنصريّة و مدّعما سلطة السود . و كان لبوب أفاكيان دور كبير فى الإعداد لمقال فى" **رمبارز** " عن دونالد دونكان وهو ضابط فى جيش الولايات المتحدة من الجنود الأوائل الذين أعربوا عن موقفهم ضد حرب الفتنام و ندّدوا بها عمليّا . و فى السنوات التالية ، واصل بوب أفاكيان عقد النقاشات و النضال لإقناع الجنود و قدماء القوات المسلّحة الأمريكيّة بالإعلان عن معارضتهم لحرب الفتنام و بأنّه بقيامهم بذلك سيتلقّون الدعم .

1967 :

شرع فى العمل عن قرب مع حزب الفهود السود للدفاع عن النفس (الذى سيتحوّل لاحقا إلى حزب الفهود السود) منذ لحظة تكوّنه من هواي نيوتن و بوبي سايل و ألدردج كليفر و بوبى هوتن و عدد قليل من الآخرين .

و كان بوب أفاكيان أحد باعثي أسبوع إيقاف التسجيل العسكري ، الذى كان الهدف منه رفع مستوى مقاومة حرب الفتنام بتنظيم مجموعات لإغلاق مركز التجنيد فى أوكلاند و كاليفورنيا . و أدّى هذا إلى هجوم كبير و عميف للشرطة ضد المتظاهرين نجم عنه صراع فى الشوارع عندما دافع المتظاهرون عن أنفسهم ضد هجمات الشرطة المتكرّرة . و خلال كامل الأسبوع ، كان بوب أفاكيان نشاطا جدّا فى تنظيم الإحتجاجات و المشاركة فيها .

و إبتداء من الجزء الأخير من سنة 1967 ، طفق بوب أفاكيان يعمل بلا كلل بغية تنظيم الدفاع و الدعم السياسيين لهواي نيوتن التى تمّ إيقافه و إتهامه بإقتراف جريمة نتيجة تبادل إطلاق نار فى أوطلاند جرح خلاله نيوتن و مات شرطي .

و فى نهاية 1967 ، إنتقل بوب أفاكيان إلى ريتشموند ، كاليفورنيا بهدف إيصال السياسة الثوريّة - التى كانت تشتمل كجزء مفتاح منها على النضال ضد العنصريّة و مساندة حزب الفهود السود – إلى الفقراء البيض و غيرهم من الفقراء فى تلك المدينة ،دون الكفّ عن النشاط ضد حرب الفتنام و التنسيق مع الحركة الطلاّبيّة والعمل فى الأحياء .

و مع نهاية 1967 ، أطلق بعض الناس فى كاليفورنيا – الذين كانوا غاضبين ضد حرب الفتنام و السياسة الخارجيّة للولايات المتّحدة عامّة ،وكذلك ضد اللامساواة الحقيرة فى مجتمع الولايات المتّحدة ذاته – أطلقوا جملة إمضاءات لتسجيل حزب السلام و الحرّية فى انتخابات 1968 كبديل راديكالي للحزبين الديمقراطي و الجمهوري . و بإلحاح من ألدريدج كليفر ، إلتحق بوب أفاكيان بهذه النشاطات متنقّلا فى جولة عبر كاليفورنيا (إلى جانب أعضاء من فرقة ميم سان فرانسسكو و مجموعة سانتانا الوليدة) ليلعب دورا هاما فى التعبئة الضروريّة للناس قصد تسجيل حزب السلام و الحرّية فى الإنتخابات . و فى أثناء هذه الجولة ، وقع إيقاف بوب أفاكيان مرّتين : مرّة نتيجة إحتجاج عفوي ضد قسم تأهيل ضبّاط الإحتياط ، فى معهد ثانوي فى لوس أنجلاس ؛ و مرّة أخرى ، حينما إلتحق بمسيرة ضد الحرب فى جامعة سان خوسي هاجمهتها الشرطة بعنف . و كان لبوب أفاكيان دور كبير فى إقناع حزب السلام و الحرّية بأن يقترب من حزب الفهود السود و يتبنّى الدفاع عن هواي نيوتن . و فى صائفة 1968 ، تطوّر حزب السلام و الحرّية إلى حزب له حضوره على الصعيد الوطني و نهض بوب أفاكيان بدور هام فى العمل الناجح للحصول على تسمية ألدريدج كليففر كمرشّح للرئاسة .

1968 :

مثّل حزب السلام و الحرّية كخطيب فى تجمّع كبير فى أوكلاند لمساندة هواي نيوتن ، إلى جانب قادة حزب الفهود السود و كذلك ستوكلي كرميتشايل و راب براون و آخرون من لجنة التنسيق الطلاّبيّة من أجل اللاعنف .

و بعد ذلك فى السنة ذاتها ، تمّ إقاف بوب أفاكيان و فى النهاية سُجن لمدّة 30 يوما لتدنيسه العلم ألمريكي فى تجمّع الحرّية لهواي ، قبالة قصر العدالة لكندادو آلاميدا فى أوكلاند .

و نهض بوب أفاكيان بدور كبير أواخر 1968 فى تأسيس " **الإتحاد الثوري** " ، المنظّمة المؤسسة للحزب الشيوعي الثوري . و خلال سنوات 1968 – 1974 ، كتب بوب أفاكيان جزء هاما من مجلّة " **الورقات الحمراء** " (الأعداد 1-7) ، مجلّة " الإتحاد الثوري " ، و من ذلك مقالات نظريّة و جدالات هامّة فى " **الورقات الحمراء** " عدد 4 و 5 و 6.

1969 :

ساهم بنشاط فى مساندة عمّال النفط المضربين فى ريتشموند و فى نسج روابط بين العمّال المضربين و الحركات الطلاّبيّة مثل إضرابات طلبة " العالم الثالث " فى المركّبات الجامعيّة لسان فرانسسكو وجامعة كاليفورنيا فى بركلي . و أثناء هذا الإضراب ، تمّ إيقاف بوب أفاكيان نتيجة مواجهة مع " حرس" الفرقة التى هاجمت العمّال المعتصمين و كانت تحاول كسر الإضراب.

و تولّى بوب أفاكيان قيادة " الإتحاد الثوري " فى نشاطاته حول النضال فى بركلي من أجل حديقة الشعب و شارك فى سلسلة من المسيرات المرتبطة بذلك و فى مقاومة فرض قانون الطوارئ الممكن فى مدينة بركلي ، فى إطار ذلك النضال .

و كان بوب أفاكيان يتابع الحركة ضد حرب الفتنام و مساندة السود و الشيكانو و قوميّات مضطهَدة أخرى . خطب فى تجمّع لآلاف الناس فى سان فرانسسكو نظّمه حزب الفهود السود ، فى غرّة ماي 1969. و لاحقا فى السنة عينها ، - سنة قتل الشرطة لفراد هامبتون ، قائد حزب الفهزد السود فى شيكاغو ، و هجماتها الكبرى ضد حزب الفهود السود و مكاتبه فى العديد من المدن – و إضطلع بدور مفتاح فى تنظيم مجموعة من الناس تتحد مع مجموعات أخرى للدفاع المقرّ المركزي لحزب الفهود السود و المساعدة على منع الهجوم عليه .

و نهض بوب أفاكيان بدور نشيط فى إجتماعات مجموعة طلبة من أجل مجتمع ديمقراطي فى ربيع و صيف 1969 ، شارحا موقف الإتحاد الثوري حول الثورة و دور الطلبة و الشباب و الدفاع عن نضالات السود و الشيكانو و المضطهَدين الآخرين فى الولايات المتحدة – خائضا نضالا حادّا مع ممثّلي النزعات الإنتهازيّة و خاصة حزب العمل التقدّمي الذى عارض هذه النضالات وندّد بها على أنّها إنحرافات قوميّة برجوازية و عراقيل أمام حركة الطبقة العاملة ، حسب المفهوم " العمّالي " الإقتصادوي و الضيّق لحزب العمل التقدّمي .

1970 :

و كأحد القادة الرئيسيين للإتحاد الثوريّ ، نهض بوب أفاكيان بدور محوري فى إعادة بعث الإحتفال باليوم العالمي للمرأة كيوم إحتفال ثوري فى الولايات المتحدة . و خلال سنوات سبعينات القرن العشرين، كان بوب أفاكيان خطيبا مهمّا فى تجمّعات و مسيرات اليوم العالمي للمرأة فى عديد المدن .

و فى صيف 1970 ، كان بوب أفاكيان ضمن مجموعة العناصر القياديّة للإتحاد الثوري الذين سافروا عبر الولايات المتحدة من أجل توسيع الإتحاد الثوري إنطلاقا من قاعدة تشكّله فى آريا باهيا ، سان فرانسسكو و تطويره كمنظمة وطنيّة . و إنتخب كعضو للجنة المركزيّة للإتحاد الثوريّ , كسب إعترافات بأنّه عضوها القيادي .

1971 :

عندما حدث إنقسام فى صفوف الإتحاد الثوريّ نظرا لأنّ بعض الأعضاء فى آريا دي باهيا ، سان فرانسسكو ، تبنّوا خطّا إنتهازيّا مغامراتيّا كان من شأنه أن يتسبّب فى تحطيم الإتحاد الثوريّ و تراجع جدّي فى الحركة الثوريّة ، قاد بوب أفاكيان النضال ضد هذه الإنتهازيّة و إستنهض غالبيّة الإتحاد الثوري إلى جانب الخطّ الصحيح جوهريّا لمقاربة الثورة على نحو جدّي و علمي ، بتوجّه أنّ الثورة الشيوعيّة التى نحتاج إليها لإفتكاك السلطة و بناء مجتمع جديد لن تكون عمل مجموعة صغيرة من الراديكاليين المنفصلين عن الجماهير الشعبيّة ، و إنّما فى لحظة ما يجب أن تعوّل على مشاركة ملايين الناس بهدف الحصول على إمكانيّة الإطاحة بالقوّة القمعيّة للنظام القائم و سلطة دولته .

وكقائد للإتحاد الثوري على النطاق الوطني ، ساهم بوب أفاكيان مساهمة كبرى فى إعادة بعث غرّة ماي كيوم إحتفال ثوري فى الولايات المتحدة و ألقى خطابات فى عديد مسيرات غرّة ماي فى عدد من مدن الولايات المتحدة فى سبعينات القرن العشرين .

و فى خريف 1971 ، ترأّس بعثة إلى الصين . و أثناء هذه الجولة ، حصل على فهم أعمق لمكاسب بناء الإشتراكيّة هناك و لطبيعة الثورة الثقافيّة الصينيّة و أهدافها و شارك فى نقاشات عن الحركة الشيوعية تاريخيّا و عالميّا .

1972 :

وترأّس تنظيم مسيرة مناهضة للإمبريالية تعدّ خمسة آلاف شخص – ندّدت بالإمبريالية الأمريكيّة وإتّخذ موقفا صريحا للدعوة إلى إنتصار الشعب الفتنامي فى مقاومته للعدوان الأمريكي ، فى مسيرة " نهاية الآجال " ضد حرب الفتنام فى سان فرانسسكو .

تاليا فى 1972 ، إنتقل بوب أفاكيان إلى منطقة شيكاغو كجزء من مخطّط لتعزيز الإتحاد الثوري كمنظّمة وطنيّة ؛ و برز كقائد للنواة القياديّة الوطنيّة للإتحاد الثوري .

1973- 1974 :

قاد نضالا صلب الإتحاد الثوري – وهو نضال عني أيضا إنشقاقا بين الإتحاد الثوري و مؤتمر العمّال السود و منظّمة العمّال الثوريين البورتوريكيين (قبلها حزب اللوردات الشبّان) – حول القاعدة السياسيّة و النظريّة للحزب الثوري الجديد الذى يجب تشكيله : مسألة القوميّة و الدغمائيّة الخانقة ـم بالفعل الأمميّة و توجّه تطبيق شيوعية علميّة حيّة . وأدّى هذا الصراع إلى تعميق الأسس العلميّة للإتحاد الثوري عامة،

هذا من ناحية و مننا حية ثانية تطوّرت نزعات إقتصادويّة صلب الإتحاد الثوري – تقليص عمل الشيوعيين إلى مجرّد أفضل المناضلين فى النضال الإقتصادي اليومي للعمّال ، فى معارضة لأن يكونوا ممثّلي المصالح الثوريّة الجوهريّة للبروليتاريا ، فى النضال فى سبيل القضاء على كلّ إستغلال و إضطهاد فى العالم برمّته .

و قام بوب أفاكيان بجولة وطنيّة لإلقاء خطب فى 1974 للمساهمة فى تعزيز أساس تشكيل الحزب الشيوعي الثوري الجديد الذى كان الإتحاد الثوري يعمل على إنشائه .

وسافر بوب أفاكيان مجدّدا إلى الصين فى الجزء الأخير من 1974 عندما كانت الثورة اليقافيّة تشتدّ حدّتها ، فى ما تحوّل إلى المعركة الكبرى الأخيرة لماو تسى تونغ و الذين كانوا يناضلون من أجل الخطّ الثوري الذى كان يمثّله ماو ، ضد التحريفيين داخل الحزب الشيوعي الصيني – شيوعيّون بالإسم كانوا فى الواقع و بالفعل يسعون إلى إعادة تركيز الرأسماليّة فى الصين و كانت قوّتهم تتزايد داخل الحزب و فى النهاية توصّلوا إلى إفتكاك السلطة و القمع العنيف للقوى الثوريّة عقب وفاة ماو فى 1976 .

و خلال هذه الزيارة للصين فى 1974 ، شارك بوب أفاكيان فى نقاشات و صراعات حماسيّة مع ممثّلين مختلفين للحزب الشيوعي الصيني حول مواصلة الثورة فى المجتمع الإشتراكي و العلاقة بين ذلك و الدور الأممي و مسؤوليّات الثوريين فى دولة إشتراكيّة مثل الصين .

__1975 :__

عُقد المؤتمر التأسيسي للحزب الشيوعي الثوري و إنتخب بوب أفاكيان رئيسا للجنة المركزيّة للحزب من قبل المؤتمر مباشرة .

__1976 :__

عقب قيام التحريفيين فى الحزب الشيوعي الصيني بإنقلاب ، إثر وفاة ماو تسى تونغ ، تطوّرت خطوط مختلفة وسط قيادة الحزب الشيوعي الثوري بذلك الشأن . و لمّا إتّضح أنّه تمّ قمع مقاومة هذا الإنقلاب فى الصين بقوّة وانّ التحريفيين كانوا يوطّدون قوّتهم مع مواصلتهم لفترة تقديم أنفسهم على أنّهم شيوعيين و مدافعين عن إرث ماو تسى تونغ ، تبنّى البعض داخل الحزب الشيوعي الثوري الذين كانوا منذ مدّة لنظرة تحريفيّة و إقتصادويّة كتوجّه لنشاط الحزب الشيوعي الثوري ، تبنّوا موقف مساندة الذين إستولوا على السلطة فى الصين نو فى نفس الوقت ، نزع بوب أفاكيان و قادة آخرون نزوعا كبيرا إلى النظر إلى الإنقلاب على أنّه إنتصار للتحريفيّة و عارضوه على أنّهم أقرّوا بأهمّية إنجاز بحث و تحليل عميقين منهجيين وشاملين لهذه الأحداث الحيويّة فى الصين و لإنعكاساتها و أهمّيتها التاريخيّة – العالمية على الصعيد العالمي .

و كان بوب أفاكيان على رأس الحزب الشيوعي الثوري فى إنجاز سيرورة عميقة من بحث و تحليل الأحداث الحيويّة فى الصين – سيرورة من أجل مقاربة منهجيّة علميّة إستغرقت سنة بسبب المقاومة و التخريب التنظيميين للذين كانوا فى صفوف الحزب الشيوعي الثوري و يعملون على تقويض هذه المقاربة للتآمر بواسطة الكتل للحصول على دعم لموقفهم المساند للإنقلاب التحريفي فى الصين و النضال من أجل خطّ تحريفي إقتصادوي صلب الحزب الشيوعي الثوري ذاته .

1977 :

تتويجا لسيرورة البحث و التحليل التى قادها بوب أفاكيان ،و رغم محاولات تخريب التحريفيين صلبالحزب الشيوعي الثوري ذاته ، عُقد إجتماع للجنة المركزيّة لمعالجة الصراع فى صفوف الحزب الشيوعي الثوري حول الموقف الذى يجب إتخاذه حيال الأحداث فى الصين . و فى هذا الإجتماع ، تبنّت اللجنةالمركزيّة الخطّ الذى عُرض عليها فى وثيقة كتبها بوب أفاكيان (" التحريفيّون تحريفيّون و لا يجب أن نساندهم ؛ و الثوريّون ثوريّون و يجب أن نساندهم ") فضحت الإنقلاب التحريفي وعارضته وساندت القوى الثوريّة فى الصين التى كان يقودها المسمّون ب " مجموعة الأربعة " الذين أطاح بهم الإنقلاب و قمعهم .

1978 :

أمام هزيمتهم فى إجتماع اللجنة المركزيّة لسنة 1977 ، لمدّة قصيرة جدّا ، تظاهر التحريفيّون داخل قيادة الحزب الشيوعي الثوري – الذين ساندوا الإنقلاب فى الصين و سعوا لتعزيز خطّ تحريفي و إقتصادوي داخل الحزب الشيوعي الثوري ذاته – بالقبول بقرارات اللجنة المركزيّة . و بعد فترة وجيزة ، تبيّن أنّهم فى الوقاع لم يكونوا أبدا ينوون القبول و شنّوا هجوما على قيادة الحزب و على بوب أفاكيان بوجه خاص، فى محاولة لتعيئة أي كان صلب الحزب الشيوعي الثوري لدعم موقفهم التحريفي . و أدّى هذا الوضع إلى صراع و إنقسام حقيقيين داخل الحزب الشيوعي الثوري ، و إتّحد حوالي ثلث أعضائه السابقين مع التحريفيين لمغادرة الحزب وشنّ هجومات عليه عندما بات من الجليّ أنّهم لميستطيعوا كسب الصراع داخل الحزب . وقاد بوب أفاكيان الصراع من أجل إحباط هجمات هؤلاء التحريفيين المعادية للثورة ، و من أجل كشف إفلاس خطّهم و تعزيز التقدّم السياسي و الإيديولوجي المحرزين بفضل الصراع ضد التحريفية . و على قاعدة الوضوح التى تمّ التوصّل إليه عبر هذا الصراع حول الأحداث الكبرى التى شهدتها الصين و الصدامبين الشيوعيّة الثوريّة و التحريفيّة عموما ، نظّم الحزب الشيوعي الثوري الإجتماعات لإحياء ذكرى ماو تسى تونغ فى مناطق الساحلين الغربي و الشرقي للولايات المتحدة ، بهدف بثّ هذه الدروس فى أوساط جمهور أوسع . و فى هذه الإجتماعات التى حضر كلّ منها جمهور يعدّ زهاء الألف شخص ، ألقى بوب أفاكيان خطاب " **خسارة الصين و الإرث الثوري لماو تسى تونغ** " الذى صدر بعد ذلك فى شكل كتيّب .

1979 :

فى جانفي 1979 ، قام دنك سياو بينغ – حينها زعيم سيرورة الإطاحة بالإشتراكيّة و إعادة تركيز الرأسماليّة فى الصين – بزيارة إلى الولايات المتحدة و إجتمع مع رئيس الولايات المتحدة وقتها جيمي كارتر . و نظّم الحزب الشيوعي الثوري مسيرة فى واشنطن معارضة لهذا الوضع لفضح و تعرية ما يمثّله دنك سياو بينغ و لقاؤه مع كارتر . و بعنف هاجمت الشرطة المسيرة بما تسبّب فى جروح خطيرة للبعض من حوالي ال5000 متظاهر وتمّ إيقاف عشرات الأشخاص منهم بوب أفاكيان . و إنتهت السلط إلى إتّهام بوب أفاكيان و مجموعة أخرى من الأشخاص بعدّة تهم متنوّعة حصيلتها إدانة قصوى ب 241 سنة سجنا . فإستنهض الحزب الشيوعي الثوري مئات المتعاطفين للذهاب إلى واشنطن و نظّم مساندة سياسيّة فى كامل البلاد للذين صاروا معروفين بمتهمى ماو تسى تونغ .

و فى إرتباط بهذا ، إطلقت بوبأفاكيان فى جولة خطابات ليلتقي بآلاف الناس – ملقيا خطابات أمام جماهير كثيفة فى عدّة مدن مهمّة من الولايات المتحدة – عارضا دلالة الردّ على هذا الهجوم على الذين

واجهوا بشجاعة العنف الشديد للشرطة بغاية فضح دنك سياو بينغ و الدفاع عن راية ماو تسى تونغ و الثورة ، و بجسارة نشر موقف الحزب الشيوعي الثوري و أهدافه الثوريّة .

وإعتبارا للدعم السياسي الذى وقعت تعبئته ولعمل المجموعة القانونيّة التى مثّلت متهمى ماو تسى تونغ ، ألغيت مؤقّتا التهم الموجّهة لبوب أفاكيان و المتهمين الآخرين ، رغم أنّه بات واضحا أنّه من الوارد جدّا أن تعود الحكومة لإستخدام هذه التهم .و فى نفس الوقت ، ن فى علاقة ببقاء بوب أفاكيان فى لوس أنجلاس كجزء من الجولة الوطنيّة من الخطابات ، صدر مقال فى " لوس أجلاس تايمز " يشوّه الأمور بهدف إعطاء إنطباع بأنّ بوب أفاكيان قد هدّد رئيس الولايات المتّحدة . ورغم أنّه تحت الضغط ، إضطرّت " لوس أنجلاس تايمز " إلى نشر تراجع جزئي ، فإنّ عملاء الخدمات السرّية [الشرطة] حضروا إلى مقرّ إقامة بوبأفاكيان وسعوا إلى " إستجوابه " بشأن هذا التهديد المزعوم للرئيس كارتر.

عند بلوغ معلومة تطوير خطّة قمعيّة موجّهة ضد بوب أفاكيان ، و بالنظر إلى كلّ هذا على ضوء التجربة التاريخيّة لكيفيّة تعاطى الطبقة المهيمنة فى الولايات المتحدة و دولتها مع الثوريين ، و حتى مع معارضين كانوا يمثّلون معارضة جدّية – إتُّخذ قرار مغادرة بوب أفاكيان الولايات المتحدة كي يتمّ إحباط ما بات واضحا أنّه محاولات متنامية لسلط فعليّة للقيام بأعمال ضدّه. و فى 1981 ، طالب بوب أفاكيان باللجوء السياسي فى فرنسا . و فى الأثناء ، عادت الحكومة فعلا إلى توجيه التهم لمتهمى ماو تسى تونغ و مهم بوب أفاكيان . و رفضت فرنسا مطلب بوب أفاكيان اللجوء السياسي – ذلك أنّ هذا المطلب مثّل إحراجا واضحا ليس للإمبرياليين الأمريكان و موقعهم كأكبر ديمقراطية فى العالم و " قائدة العالم الحرّ" بل كذلك للسلط الفرنسيّة و الأمم المتحدة اللذان حاولا التحرّك كما لو أنّه لم يوجد و لا يمكن أن يوجد قمع سياسي فى بلد مثل الولايات المتحدة . و عبر فقط حملة مستمرّة لبناء دعم سياسي ، إضافة إلى نضال فى المجال القانوني ، تمّ الحصول على نهاية مظفّرة فى ملفّ متهمى ماو تسى تونغ و لم يسجن أي متهم و سحبت التهم الموجّهة لبوب أفاكيان .

عبر العقود مذّاك :

رغم صعوبات الوضع ، و دون الإهتمام بوضعه الخاص ، واصل بوب أفاكيان تقديم القيادة الحيويّة للحزب الشيوعي الثوري ، كرئيس له ، و واصل خوض صراع مستمرّ لترسيخ ليس الحزب الشيوعي الثوري فحسب بل الحركة الشيوعية العالمية بصلابة و لإنجاز العمل و النضال الثوريين على أساس منهج و مقاربة منهجيّة علميّة ، مشيرا إلى الطريق نحو تحرير الإنسانيّة من خلال تحقيق الشيوعية على النطاق العالمي .

و فى 2003 ، إزاء نزعة قويّة نحو التحريفيّة كانت قوّتها تشتدّ داخل الحزب الشيوعي الثوري نفسه ، فى إطار وضع دولي تميّز بتراجعات جدّية فى الثورة الشيوعية و بالقوّة الباقية و بمعاني معيّنة الأكبر للإمبريالية ، و خاصّة بالتأثيرات المستمرّة للإطاحة بالثورة و إعادة تركيز الرأسماليّة فى الصين (و كذلك بفعل أنّ الإتحاد السوفياتي التحريفي و الدول التابعة له قد تفكّكت إلى بلدان **رأسماليّة مفضوحة**)، و مع الإعتراف بالخطر الملموس جدّا لإمكانيّة تحوّل الحزب الشيوعي الثوري من حزب ثوريّ إلى قذيفة تحريفيّة و من ثمّة يخون الجماهير الشعبيّة التى تمثّل لها الثورة الشيوعية المخرج الوحيد من ظروفها البائسة المتّسمة بالقمع و الإستغلال و من التحطيم الكامن للبيئة – أطلق بوب أفاكيان ثورة ثقافيّة صلب الحزب الشيوعي الثوري – قصد إعادة تشكيل جذريّة و تعزيز الحزب كقوّة تستحقّ إسم الحزب ... الشيوعي ...الثوري قادرة على النشاط كطليعة للثورة الشيوعية التى تنسجم مع المصالح الجوهريّة للجماهير المضطهَدة و فى آخر المطاف للإنسانيّة برمّتها .

و قد حالت هذه الثورة الثقافيّة دون إنتصار التحريفيّة فى الحزب الشيوعي الثوري و تواصل القيام بذلك – لتستمرّ فى إقتلاع جذور التأثيرات التحريفيّة و تعزيز الطابع الشيوعي الثوري و الدور الطليعي للحزب .

و من خلال تواصل عمله و قيادته فى مجال النظريّة و التطبيق العملي للنظريّة على الحركة الثوريّة ، حقّق بوب أفاكيان تقدّما كبيرا خدمة للحركة الشيوعية – طوّر خلاصة جديدة للشيوعية تضع الشيوعية على أسس علميّة أصلب حتّى و أكثر منهجيّة و توفّر وسائل تطبيق هذا المنهج و هذه المقاربة العلميين بأبعاد حيويّة متعدّدة للنضال من أجل تغيير العالم تغييرا راديكاليّا نحو هدف الشيوعية .

===

من مؤلّفات بوب أفاكيان



BOB AVAKIAN

The Vision, the Works, the Leadership for a New Stage of Communist Revolution

GET INTO BA!

Important Works by BA

The work of Bob Avakian and the Revolutionary Communist Party has been developing over the course of many decades. In some instances there may be differences in perspective and analysis between earlier and more recent works. In such cases, what is put forward in more recent works should generally be taken as more representative of current views.

Film and Audio by Bob Avakian

Film

BA Speaks: REVOLUTION—NOTHING LESS! Bob Avakian Live. Film of a talk given in 2012. For more on this film and to order the DVD set, go here.

Revolution: Why It's Necessary, Why It's Possible, What It's All About, a film of a talk by Bob Avakian (2003).

Audio

This is Bob Avakian, Chairman of the Revolutionary Communist Party, with a New Year's message—
A Call To REVOLUTION..."
Listen • Read • Download audio • Download PDF

The Material Basis and the Method for Making Revolution
Part 1 • Part 2 • Read online

The Strategic Approach to Revolution and Its Relation to Basic Questions of Epistemology and Method
Part 1 • Part 2 • Read online

Bob Avakian, interviewed by Cornel West on the *Smiley & West* show, Public Radio International, October 2012. Available at revcom.us.

Bob Avakian, five-part interview on *The Michael Slate Show*, KPFK Radio, Los Angeles, January and February 2013. Available at revcom.us.

7 Talks (2006)

1. Why We're in the Situation We're in Today... And What to Do About It: A Thoroughly Rotten System and the Need for Revolution
Track 1, Track 2, Track 3

2. Communism and Jeffersonian Democracy
Track 1, Track 2, Track 3

3. Communism: A Whole New World and the Emancipation of All Humanity—Not "The Last Shall Be First, and The First Shall Be Last"
Track 1, Track 2

4. The NBA: Marketing the Minstrel Show and Serving the Big Gangsters
Track 1, Track 2

5. Communism and Religion: Getting Up and Getting Free—Making Revolution to Change the Real World, Not Relying on "Things Unseen"
Track 1, Track 2, Track 3 , Track 4

6. Conservatism, Christian Fundamentalism, Liberalism and Paternalism... Bill Cosby and Bill Clinton... Not All "Right" But All Wrong!
Track 1, Track 2, Track 3

7. "Balance" Is the Wrong Criterion—and a Cover for a Witch-hunt—What We Need Is the Search for the Truth: Education, Real Academic Freedom, Critical Thinking and Dissent
Track 1, Track 2

Question and Answer Session, with Concluding Remarks
Question 1, Question 2, Question 3, Question 4, Question 5, Question 6, Question 7, Question 8, Question 9, Question 10, Question 11, Question 12, Question 13, Question 14, Question 15, Question 16, Question 17, Question 18, Question 19, Question 20, Question 21, Question 22
Concluding Remarks

"All Played Out" (spoken word piece with words by Bob Avakian and music by William Parker), Centeringmusic BMI, 2011. Available at soundcloud.com/allplayedout.

Books, Articles, and Other Written Works by Bob Avakian

Advancing the World Revolutionary Movement: Questions of Strategic Orientation, *Revolution* magazine, RCP Publications, Spring 1984. Available at revcom.us.

"The American Enterprise—Property and Slavery, Peculiar Notions of 'Freedom' and Profound Contradictions," *Revolution* #252, December 11, 2011. Available at revcom.us.

"Art and Artistic Creation—Solid Core with a Lot of Elasticity, "*Observations on Art and Culture, Science and Philosophy* (Insight Press, 2005).

Away With All Gods! Unchaining the Mind and Radically Changing the World (Insight Press, 2008).
Prepublication excerpts (October 2007):
Religious Fundamentalism, Imperialism and "The War on Terror"
Why Is Religious Fundamentalism Growing in Today's World – And What Is the Real Alternative?

BAsics, from the talks and writings of Bob Avakian (RCP Publications, 2011).

"The Basis, the Goals, and the Methods of the Communist Revolution." From a talk given in 2005. *Revolution*, May 2006-January 2007. Available at revcom.us.

Birds Cannot Give Birth to Crocodiles, But Humanity Can Soar Beyond the Horizon (2010)
Part 1: REVOLUTION AND THE STATE
Part 2: BUILDING THE MOVEMENT FOR REVOLUTION

"Bob Avakian in a Discussion with Comrades on Epistemology: On Knowing and Changing the World." *Revolutionary Worker* #1262, December 19, 2004. Available at revcom.us. Also in *Observations on Art and Culture, Science and Philosophy* (Insight Press, 2005).

Break ALL the Chains!
Bob Avakian on the Emancipation of Women and the Communist Revolution (2014)
Available at revcom.us.

Bringing Forward Another Way. From a talk given in 2006. *Revolution*, March-September 2007. Available at revcom.us and as a pamphlet from RCP Publications. Also available as downloadable PDF at revcom.us.

Bullets, From the Writings, Speeches, & Interviews of Bob Avakian, Chairman of the Revolutionary Communist Party, USA (RCP Publications, 1985)

"The 'City Game'—And the City, No Game," *Revolutionary Worker* #201, April 15, 1983. Also in *Reflections, Sketches & Provocations: Essays and Commentary, 1981-1987* (RCP Publications, 1990).

The Coming Civil War and Repolarization for Revolution in the Present Era. *Revolution*, March-September 2005. Also available as a pamphlet (RCP Publications, 2005) and at revcom.us.

Communism and Jeffersonian Democracy (RCP Publications, 2008). Available at revcom.us and as a pamphlet (order from RCP Publications).

Communists Are Rebels: A Letter from RCP Chairman Bob Avakian to His Parents on Philosophy, Religion, Morals, and Continuous Revolution (Revolutionary Communist Youth, April 1980).

"Concerning the Thomas Jefferson Controversy... Automatically Disqualified." *Revolution* #287, December 9, 2012. Available at revcom.us.

Conquer the World? The International Proletariat Must and Will. *Revolution* magazine, No. 50, December 1981. Available at revcom.us.

Constitution, Law, and Rights – in capitalist society and in the future socialist society Selections from the writings of Bob Avakian and excerpts from the *Constitution for the New Socialist Republic in North America (Draft Proposal)* from the Revolutionary Communist Party, USA. Available as downloadable PDF at revcom.us.

"'Crises in Physics,' Crises in Philosophy and Politics," *Revolution* #161, April 12, 2009. Available at revcom.us. Also in *Demarcations: A Journal of Communist Theory and Polemic*, Issue Number 1, Summer-Fall 2009. Available at www.demarcations-journal.org.

"The Cultural Revolution in China… Art and Culture… Dissent and Ferment… and Carrying Forward the Revolution Toward Communism," *Revolution* #260, February 19, 2012. Available at revcom.us.

"The Deadly Illusion of the Swinging Pendulum," *Revolution* #20, October 20, 2005. Available at revcom.us.

Democracy: Can't We Do Better Than That? (Banner Press, 1986).

Dictatorship and Democracy, and the Socialist Transition to Communism. From a talk given in 2004. *Revolutionary Worker*, August 2004-January 2005. Available at revcom.us.

"Egypt 2011: Millions Have Heroically Stood Up…The Future Remains to be Written," *Revolution* #225, February 27, 2011. Available at revcom.us.

"Emmett Till and Lynchings, Past and Present: An excerpt from *Revolution: Why It's Necessary, Why It's Possible, What It's All About*," *Revolution* #264, April 1, 2012. Available at revcom.us. View as video: www.youtube.com/revolutiontalk.

"The End of a Stage—The Beginning of a New Stage," *Revolution* magazine, RCP Publications, Fall 1990. Available at revcom.us and at bobavakian.net.

"A Final Note: Principles in Carrying Forward the Revolution Under the Dictatorship of the Proletariat and Preventing Revisionism and the Rise to Power of the (New) Bourgeoisie,"

Revolution magazine, RCP Publications, Fall 1990. Available at revcom.us and at bobavakian.net.

For a Harvest of Dragons: On the "Crisis of Marxism" and the Power of Marxism—Now More Than Ever (RCP Publications, 1983).

"Freedom and Necessity, and Proceeding from a Strategic Standpoint: Some Thoughts on Methods and Leadership," *Revolution* #340, May 26, 2014. Available at revcom.us.

From Ike to Mao and Beyond: My Journey from Mainstream America to Revolutionary Communist, A Memoir by Bob Avakian (Insight Press, 2005). Excerpts in *Revolution* and audio of Bob Avakian reading selections from his memoir are available at revcom.us and at bobavakian.net.

Getting Over the Two Great Humps: Further Thoughts on Conquering the World. Excerpts in *Revolutionary Worker*, October 1997-January 1998 (under the series title "Getting Over the Hump"), October 2003-January 2004 (under the title "On Proletarian Democracy and Proletarian Dictatorship—A Radically Different View of Leading Society"), August 2003 ("Materialism and Romanticism: Can We Do Without Myth?") and August 1998 ("Rereading George Jackson"). Available at revcom.us.

Grasp Revolution, Promote Production: Questions of Outlook and Method, Some Points on the New Situation. From a talk given in 2002. Excerpts in *Revolutionary Worker*, November 2002-March 2003. Available at revcom.us.

A Horrible End, or An End to the Horror? (RCP Publications, 1984).

"An Invitation," *Revolution* #265, April 8, 2012. Available at revcom.us.

"In the Wake of the Election, a Basic Point of Orientation: To the Masses...With Revolution," *Revolution* #149, November 30, 2008. Available at revcom.us.

"'A Leap of Faith' and a Leap to Rational Knowledge: Two Very Different Kinds of Leaps, Two Radically Different Worldviews and Methods," *Revolution* #10, July 31, 2005. Available at revcom.us.

Making Revolution and Emancipating Humanity
Part 1: "Beyond the Narrow Horizon of Bourgeois Right"
Part 2: "Everything We're Doing Is About Revolution"
Revolution, October 2007-February 2008. Available at revcom.us, and also included in *Revolution and Communism: A Foundation and Strategic Orientation*, a *Revolution* pamphlet, 2008.

Marxism and the Call of the Future: Conversations on Ethics, History, and Politics (with Bill Martin) (Open Court Publishing, 2005). Excerpts available at revcom.us.

"The Mass Initiatives and Their Relation to Our Strategic Objectives," *Revolution* #339, May 19, 2014. Available at revcom.us.

“Materialism and Romanticism: Can We Do Without Myth?” *Observations on Art and Culture, Science and Philosophy* (Insight Press, 2005). Available at revcom.us.

"The Material Basis and the Method for Making Revolution" August 4, 2014. Available at revcom.us.

“Methods and Principles,” *Observations on Art and Culture, Science and Philosophy* (Insight Press, 2005).

"More on Choices...And Radical Changes." *Revolution* #293, January 28, 2013. Available at revcom.us.

“‘A New Generation of Revolutionary Leaders’: Bob Avakian on the Essence of Communist Leadership, and Bringing Forward New Leaders,” *Revolution* #201, May 16, 2010, transcribed from the talk *Revolution: Why It’s Necessary, Why It’s Possible, What It’s All About*. Available at revcom.us.

"The New Synthesis of Communism: Fundamental Orientation, Method and Approach, and Core Elements," Summer 2015. Available at revcom.us.

“‘Obamamania’ and the Malcolm X Spirit.” *Revolution* #151, December 28, 2008. Available at revcom.us.

“Obama: Playing the Trump Card?” *Revolution* #149, November 30, 2008. Available at revcom.us.

Observations on Art and Culture, Science and Philosophy (Insight Press, 2005).

“On Communism, Leadership, Stalin, and the Experience of Socialist Society,” excerpts transcribed from a radio interview, *Revolution* #168, June 21, 2009. Available at revcom.us.

“On Leadership—Vanguards and Individual Leaders,” *Revolution* #256, January 15, 2012. Available at revcom.us.

“The Oppression of Black People & The Revolutionary Struggle To End All Oppression,” a series of excerpts from writings and talks by Bob Avakian published in *Revolution* during Black History Month, February 2007. Available at revcom.us.

Out Into the World—As a Vanguard of the Future. From a talk given in 2008. *Revolution*, February-April 2009. Available at revcom.us.

Phony Communism Is Dead...Long Live Real Communism! (RCP Publications, 1992; Second Edition with Appendix *Democracy: More Than Ever We Can and Must Do Better Than That*, 2004). Available online: Appendix - Democracy: More Than Ever We Can and Must Do Better Than That.

Preaching From a Pulpit of Bones, We Need Morality, But Not Traditional Morality (Banner Press, 1999).

“‘Preliminary Transformation into Capital’… And Putting an End to Capitalism,” *Revolution* #265, April 8, 2012. Available at revcom.us.

"Propaganda Instruments of the Ruling Class... And the Railroad of the Central Park 5." *Revolution* #299, December 16, 2012. Available at revcom.us.

“Putting Forward Our Line—In a Bold, Moving, Compelling Way,” published in two parts in *Revolutionary Worker*: Part 1, #1177, December 1, 2002; Part 2, #1178, December 8, 2002. Available at revcom.us.

"Putting on Our Boxing Gloves—and Other Key Methods, Principles and Objectives," *Revolution* #340, June 2, 2014. Available at revcom.us.

"A Question Sharply Posed: Nat Turner or Thomas Jefferson?" *Revolution* #301, April 14, 2013. Available at revcom.us.

Reaching for the Heights and Flying Without a Safety Net. From a talk given in 2002. *Revolutionary Worker*, April-August 2003. Available at revcom.us. Also available as a downloadable PDF.

“The Real ‘American Idol’: Elections as Auditions—Whose Consent Really Counts and How Decisions Are Actually Made,” *Revolution* #263, March 25, 2012. Available at revcom.us.

“A Reflection On The ‘Occupy’ Movement: An Inspiring Beginning…And The Need To Go Further,” *Revolution* #250, November 13, 2011. Available at revcom.us.

Reflections, Sketches & Provocations: Essays and Commentary, 1981-1987 (RCP Publications, 1990).

“Reform or Revolution: Questions of Orientation, Questions of Morality,” *Revolution* #32, January 29, 2006. Available at revcom.us.

“The Revolutionary Potential of the Masses and the Responsibility of the Vanguard,” *Revolutionary Worker* #1270, March 13, 2005. Available at revcom.us.

“The Role of Dissent in a Vibrant Society,” *Observations on Art and Culture, Science and Philosophy* (Insight Press, 2005).

Ruminations and Wranglings: On the Importance of Marxist Materialism, Communism as a Science, Meaningful Revolutionary Work, and a Life with Meaning. From a talk given in 2009. *Revolution*, May-September 2009. Available at revcom.us.

“A Scientific Approach to Maoism, A Scientific Approach to Science,” *Observations on Art and Culture, Science and Philosophy* (Insight Press, 2005).

“Slavery: Yesterday and Today,” *Revolution* #78, February 11, 2007. Available at revcom.us.

“Some Observations on the Culture Wars: Textbooks, Movies, Sham Shakespearean Tragedies and Crude Lies,” *Revolution* #198, April 11, 2010. Available at revcom.us.

"Some Principles for Building a Movement for Revolution," *Revolution* #202, May 17, 2010. Available at revcom.us.

"The Strategic Approach to Revolution and Its Relation to Basic Questions of Epistemology and Method," August 4, 2014. Available at revcom.us.

"Statement by Bob Avakian, Chairman of the Revolutionary Communist Party, on the Occasion of the Death of Willie 'Mobile' Shaw," *Revolution* #27, December 18, 2005. Available at revcom.us.

Strategic Questions, excerpts published in *Revolutionary Worker*, 1996-1997 and 2002. Available at revcom.us.

"There Is No 'Permanent Necessity' for Things To Be This Way: A Radically Different and Better World Can Be Brought Into Being Through Revolution," *Revolution* #198, April 11, 2010. Available at revcom.us.

"Three Alternative Worlds," *Revolution* #77, January 28, 2007. Available at revcom.us. Also in *Observations on Art and Culture, Science and Philosophy* (Insight Press, 2005).

"Three Observations on the Situation in the Middle East," *Revolution* #225, February 27, 2011. Available at revcom.us.

"Three Strikes…," *Revolution* #227, March 27, 2011. Available at revcom.us.

"Tips for Tim Tebow," *Revolution* #258, February 5, 2012. Available at revcom.us.

Unresolved Contradictions, Driving Forces for Revolution
Part I: "Once More on the Coming Civil War... and Repolarization for Revolution"
Part II: "(Some Observations on) The International Movement"
Part III: "The New Synthesis and the Woman Question: The Emancipation of Women and the Communist Revolution—Further Leaps and Radical Ruptures"
Revolution, November 2009-April 2010. Entire talk available at revcom.us.

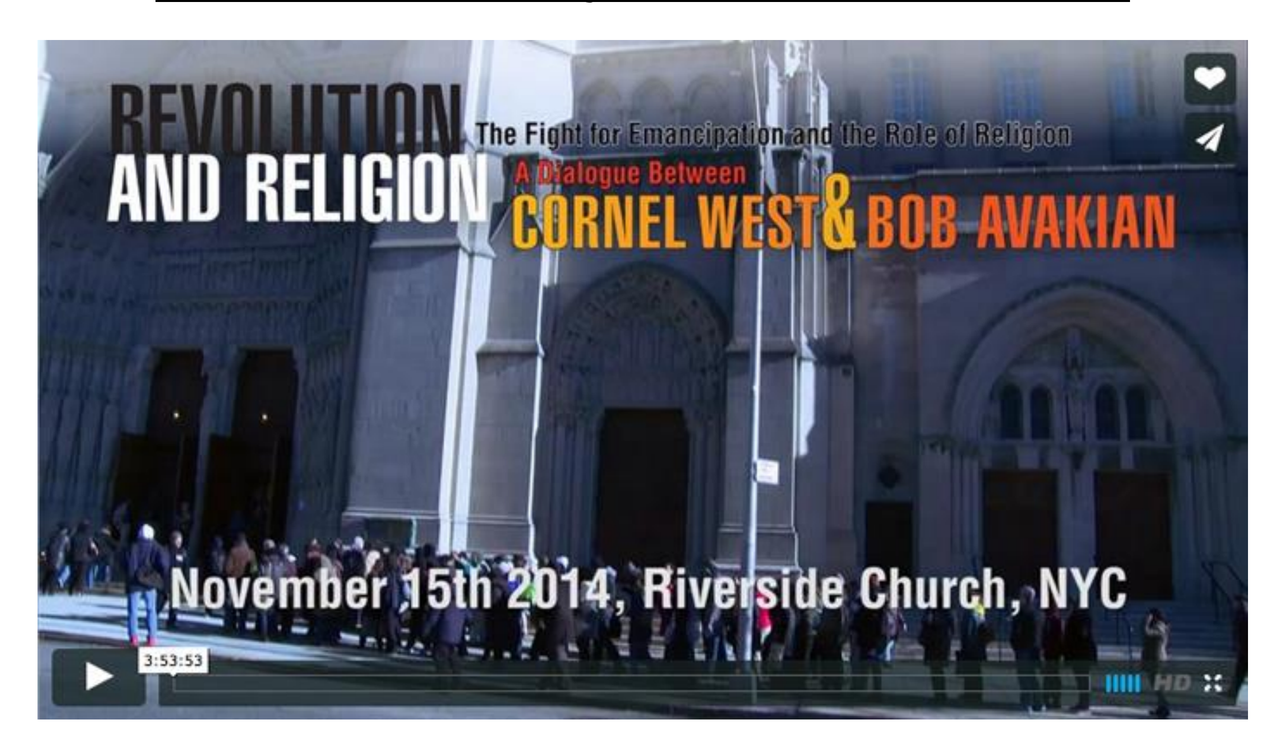
"Views on Socialism and Communism: A Radically New Kind of State, A Radically Different and Far Greater Vision of Freedom." From a talk given in 2005. *Revolution*, March-April 2006. Available at revcom.us.

"We Can't Know Everything—So We Should Be Good at Learning," *Revolutionary Worker* #1181, December 29, 2002 (part of a series of excerpts from the talk *Grasp Revolution, Promote Production: Questions of Outlook and Method, Some Points on the New Situation*). Available at revcom.us. Also in *Observations on Art and Culture, Science and Philosophy* (Insight Press, 2005).

What Humanity Needs: Revolution, and the New Synthesis of Communism, An Interview with Bob Avakian by A. Brooks, *Revolution* #267, May 1, 2012. Available at revcom.us.

==

Video and Audio by or about Bob Avakian



Film of a Major Talk by Bob Avakian

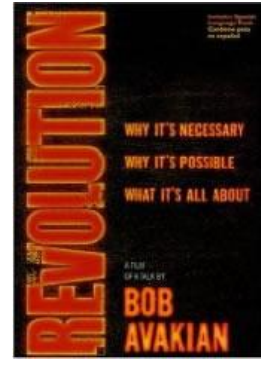
"Yes, this is a film, but that is not its essence. This is a daring, substantive, scientific summoning to revolution. 6+ hours that can change how you see the world and what you do with the rest of your life. Is this hype? No."

—From one of the filmmakers

[Cornel West Interviews Bob Avakian on PRI Smiley & West radio show, October 2012.]



Revolution: Why It's Necessary, Why It's Possible, What It's All About



In 2003 Bob Avakian, Chairman of the Revolutionary Communist Party, USA, delivered an historic talk in the United States. This talk, followed by questions and answers, is a wide ranging revolutionary journey, covering many topics. It breaks down the very nature of the society we live in and how humanity has come to a time where a radically different society is possible.

English / Spanish (available dubbed)

675 minutes

Order the DVD

Listen to an audio clip from the DVD: Why do people come here from all over the world?

BA on Obama
"Let's Be Real Here: As Bad As Bush Was, In Many Ways Obama Is Worse..."

This audio clip is from a recent talk by BA, and is highly relevant going into the elections.

Interview Series with Michael Slate, 2004:

- How can this be a popular revolution when so much is lined up against it ... are you nuts?: 35 minutes / 23.9 meg (mp3)
- Elections, the Democrats, and how the Left should relate to all this: 25 minutes / 17.1 meg (mp3)
- *On Leadership.* Bob Avakian responds to the following questions: 1) Isn't it dangerous to invest so much into an individual leader? 2) The question of Stalin. 14.3 meg MP3
- Michael Slate interviews Bob Avakian on China, the Cultural Revolution, Art, and Dissent, 18.2 meg MP3

Other Downloadable Talks by Bob Avakian

- God Doesn't Exist – And We Need Liberation Without Gods

    - Track 1: 73 minutes / 17.1 meg (mp3)
    - Track 2: 69 minutes / 16.1 meg (mp3)
    - Track 3 (Q&A): 76 minutes / 17.4 meg (mp3)

- Elections, Democracy and Dictatorship, Resistance and Revolution
    - Track 1: 72 minutes / 16.6 meg (mp3)
    - Track 2: 69 minutes / 15.9 meg (mp3)
    - Track 3: 45 minutes / 10.4 meg (mp3)
    - Q&A Part 1: 71 minutes / 25 meg (mp3)
    - Q&A Part 2: 61 minutes / 21 meg (mp3)

- Christianity and Society – The Old Testament and the New Testament, Resistance and Revolution
    - Track 1: 59 minutes / 27.9 meg (mp3)
    - Track 2: 69 minutes / 20.4 meg (mp3)

**"This is Bob Avakian,
Chairman of the
Revolutionary Communist Party,
with a New Year's message—**

A Call To REVOLUTION..."

Audios of New Talks by Bob Avakian:

The Material Basis and the Method for Making Revolution

Listen: **Part 1** • **Part 2**

The Strategic Approach to Revolution and Its Relation to Basic Questions of Epistemology and Method

Listen: **Part 1** • **Part 2**

▼ Download audio for both



This 5-part interview began airing on *The Michael Slate Show* on KPFK (Los Angeles, 90.7 FM and kpfk.org) January 11, 2013. Listen to and download Parts 1, 2, 3, 4 and 5 here.

7 Talks by Bob Avakian (click on a talk to download MP3)

1. Why We're in the Situation We're in Today... And What to Do About It: A Thoroughly Rotten System and the Need for Revolution
Track 1, Track 2, Track 3

2. Communism and Jeffersonian Democracy
Track 1, Track 2, Track 3

3. Communism: A Whole New World and the Emancipation of All Humanity—Not "The Last Shall Be First, and the First Shall Be Last"
Track 1, Track 2

4. The NBA: Marketing the Minstrel Show and Serving the Big Gangsters
Track 1, Track 2

5. Communism and Religion: Getting Up and Getting Free—Making Revolution to Change the Real World, Not Relying on "Things Unseen"
Track 1, Track 2, Track 3 , Track 4

6. Conservatism, Christian Fundamentalism, Liberalism and Paternalism...Bill Cosby and Bill Clinton... Not all "Right" But All Wrong!
Track 1, Track 2, Track 3

7. "Balance" Is The Wrong Criterion—And a Cover for a Witch-hunt—What We Need Is the Search for the Truth: Education, Real Academic Freedom, Critical Thinking and Dissent
Track 1, Track 2

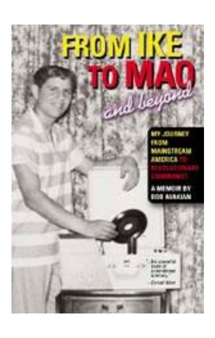
Q&A - Question and Answer Session with Concluding Remarks
Question 1, Question 2, Question 3, Question 4, Question 5, Question 6, Question 7, Question 8, Question 9, Question 10, Question 11, Question 12, Question 13, Question 14, Question 15, Question 16, Question 17, Question 18, Question 19, Question 20, Question 21, Question 22

Concluding Remarks

Click here for the full list of over 20 questions raised and addressed at these talks.

Radio-ready Clips from the *7 Talks*

Hear Bob Avakian read from his memoir: *From Ike to Mao and Beyond: My Journey from*



Mainstream America to Revolutionary Communist (click on a chapter to download MP3)

Chapter One: Mom and Dad – 22 minutes / 10.3 meg (mp3)

Chapter Two: One Nation Under God – a '50s Boyhood – 60 minutes / 28.3 meg (mp3)

Chapter Three: The World Begins to Open – 42 minutes / 20.0 meg (mp3)

Chapter Four: High School – 93 minutes / 43.9 meg (mp3)

Chapter Five: Life Interrupted – 64 minutes / 30.0 meg (mp3)

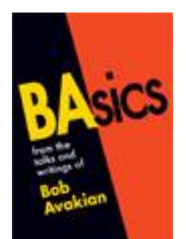
Chapter Six: "Your Sons and Your Daughters..." – 53 minutes / 24.3 meg (mp3)

==

Books by Bob Avakian

BAsics, from the talks and writings of Bob Avakian (RCP Publications, 2011)

***"You can't change the world if you don't know the* BAsics."**



BAsics, from the talks and writings of Bob Avakian is a book of quotations and short essays that speaks powerfully to questions of revolution and human emancipation.

BAsics concentrates more than 30 years of Avakian's work. *BAsics* can not only introduce many more people to the thinking of the author who has put communism back on the agenda as a vital and viable force—it can play a major role in bringing forward and forging a new wave of revolutionaries. To look at the table of contents is to look at the key questions that present themselves to someone agonizing over the question of whether and how they can actually change the world in a fundamental and meaningful way.

Constitution, Law, and Rights – in capitalist society and in the future socialist society (2015)
Selections from the writings of Bob Avakian and excerpts from the Constitution for the New Socialist Republic in North America (Draft Proposal) from the Revolutionary Communist Party, USA

This compilation of selected writings from Bob Avakian, Chairman of the Revolutionary Communist Party, USA and excerpts from the Constitution for the New Socialist Republic in North America (Draft Proposal) from the Revolutionary Communist Party, USA brings a truly unique perspective to a subject that is of critical importance for all those concerned with social justice: Constitution, law, and rights.

WHAT HUMANITY NEEDS Revolution, and the New Synthesis of Communism An Interview with Bob Avakian

At the beginning of 2012, an in-depth interview with Bob Avakian, Chairman of the Revolutionary Communist Party, USA, was conducted over a period of several days by A. Brooks, a younger- generation revolutionary who has been inspired by the leadership and body of work of Bob Avakian and the new synthesis of communism this has brought forward.

From the outset and through the course of this interview, Brooks posed probing questions, dealing with a wide range of subjects, including: the challenges of building a movement for revolution in a powerful imperialist country like the U.S., and initiating a new stage of communist revolution in a world marked by profound inequalities and antagonisms, and repeated upheavals, but also the weakness of communist forces at this time; the content of the new synthesis of communism, its vision of a radically different and emancipating society and world, and how this applies to many different spheres of society and social life, such as art and culture and intellectual inquiry and ferment; previous historical experience of the revolutionary and communist movements; and the personal experience, as well as broader social experience, which led Avakian to become a communist and contributed to his development as a communist leader. The fact that Avakian did not know in advance what the questions would be, and that many of them came up through the course of the interview itself, adds to the liveliness of the interview and the living sense of the method with which Avakian digs into, examines from many angles, and "breaks down" the kinds of far-reaching and often complex questions which were posed in this interview and which have to be grappled with in confronting the challenges of radically transforming the world through communist revolution.

Communism and Jeffersonian Democracy (RCP Publications, 2008)



Bob Avakian takes on the ideals of Jeffersonianism, and convincingly locates even its “loftiest aspirations” in social relations of exploitation and oppression—the social relations out of which those ideals grew, and which they served and continue to serve. In doing so, he draws on a wide range of scholarly research and polemically takes on major contemporary defenders of Jeffersonian democracy. Avakian demonstrates why and how these ideals of democracy co-existed with—and, indeed, arose on the basis of—the enslavement of Black people and the deep embedding of white supremacy into the body politic and ideological psyche of the U.S. But he goes further: not only showing why events turned out that way, but why those ideals themselves could only and can only generate and serve relations of exploitation and the division, and polarization, of people into antagonistic classes... into oppressor and oppressed. Moreover, he convincingly points the way to a vision

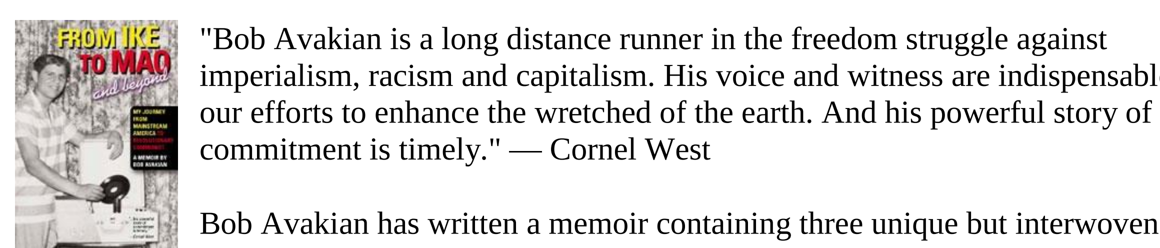
and future that is truly emancipatory—to a vision of freedom far more radical and thoroughgoing than anything imaginable within the constricted horizons of Jeffersonianism. In doing this, Avakian includes a devastating critique of the “free marketplace of ideas,” contrasting it to a genuinely unfettered search for the truth—and he shows what kind of economic and political system would be necessary for that to flourish.

Away With All Gods! Unchaining the Mind and Radically Changing the World (Insight Press, 2008)



Is believing in gods actually harmful? How has Christianity for centuries served as an ideology of conquest and subjugation? Why is the "Bible Belt" in the U.S. also the "lynching belt"? Why is there a rise of religious fundamentalism throughout the world? In the intensifying conflict between U.S. imperialism and Islamic fundamentalism, is the only choice to take one side or the other? Why is patriarchy and the oppression of women foundational to so many religions? Can people be good without god? These are just some of the questions explored in this provocative work by Bob Avakian. Bringing a unique revolutionary communist voice to the current discourse about god, atheism and morality, Avakian demystifies religious belief and examines how, even in its most progressive interpretations, religion stands in the way of the emancipation of humanity. A thread deeply woven throughout *Away With All Gods!* is the need to fully rupture with all forms of superstition, and to take up instead a truly scientific approach to understanding and transforming reality. Whether you believe in god, or are an agnostic or an atheist, Bob Avakian will challenge you with his powerful critique of long-established traditions and his liberating vision of a radically different world.

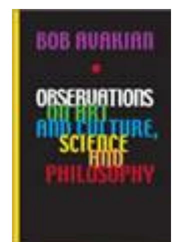
From Ike to Mao and Beyond: My Journey from Mainstream America to Revolutionary Communist, A Memoir by Bob Avakian (Insight Press, 2005)



"Bob Avakian is a long distance runner in the freedom struggle against imperialism, racism and capitalism. His voice and witness are indispensable in our efforts to enhance the wretched of the earth. And his powerful story of commitment is timely." — Cornel West

Bob Avakian has written a memoir containing three unique but interwoven stories. The first tells of a white middle-class kid growing up in ’50s America who goes to an integrated high school and has his world turned around; the second of a young man who overcomes a near-fatal disease and jumps with both feet into the heady swirl of Berkeley in the '60s; and the third of a radical activist who matures into a tempered revolutionary communist leader. If you think about the past or if you urgently care about the future...if you want to hear a unique voice of utter realism and deep humanity... and if you dare to have your assumptions challenged and your stereotypes overturned... then you won’t want to miss this book.

Observations on Art and Culture, Science and Philosophy (Insight Press, 2005)



"If you don't have a poetic spirit – or at least a poetic side – it is very dangerous for you to lead a Marxist movement or be the leader of a socialist state." — Bob Avakian, *Observations*

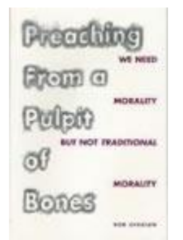
This provocative collection of reflections and observations by Bob Avakian on art, culture, science and philosophy offers a rare treat. Excerpted from formal talks as well as more informal discussions and conversations, many of the texts in this collection allow the reader to experience firsthand the freewheeling Bob Avakian—in the process of developing his thinking and reenvisioning the communist project on a wide range of controversies, from the dictatorship of the proletariat to discussions of truth, beauty, science and imagination.

Marxism and the Call of the Future: Conversations on Ethics, History and Politics by Bob Avakian and Bill Martin (Open Court, 2005) Foreword by Slavoj Žižek, Preface by Raymond Lotta (available from Open Court)



This book offers readers a rare chance to witness a fascinating encounter between a radical social theorist and philosopher and a visionary communist leader and thinker. The challenging and unpredictable dialogue bristles with insights and provocations. Avakian and Martin wrestle with big questions that have to do with the state of the world and the possibility for radical change. The scope and relevance of Marxism, and the nature and reach of communist revolution, are at the heart of this rich and lively dialogue.

Preaching from a Pulpit of Bones: We Need Morality But Not Traditional *Morality* (Insight Press, 1999)



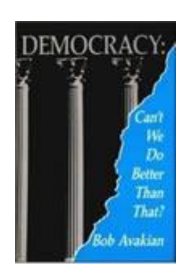
This provocative book includes a scathing refutation of the reality behind conservative Christian fundamentalist morality, a critical look at the limitations of "liberation theology," including a discussion of Jim Wallis' book, *The Soul of Politics*, and an inspiring look at morality from a revolutionary perspective. This work is even more timely today as it was when it was published in 1999. Bob Avakian says in the Prologue that "From whatever vantage point one looks, it is unmistakable that there is what could be called a 'moral crisis' in America. There has been, to a significant degree, 'a breakdown of traditional morality.' But the answer to this—at least the answer that is in the interests of the majority of people in the U.S. and the overwhelming majority of humanity—is not a more aggressive assertion of that 'traditional morality' but winning people to a radically different morality, in the process of radically transforming society and the world as a whole."

Phony Communism Is Dead... Long Live Real Communism! (2nd Edition, RCP Publications, 2004)



A bold and challenging book that cuts right to the debate of our times. Is capitalism the best of all possible worlds? Avakian contrasts the brutal realities of the free market to the claims of its defenders. Has communism proven to be a disastrous nightmare? Avakian refutes the charges that socialist economies are unworkable and that communism suppresses individuality and freedom. But he probes deeper, into the real history and lessons of revolution, especially the Maoist Cultural Revolution. Can revolutions survive in a hostile world? How can they avoid going sour? And is it really possible to move society beyond private gain and money relations? Bob Avakian shows that communism is both visionary and practical. If you want to know what real communism is about, and if you wonder whether society has to be run as a dog-eat-dog enterprise, then you will find this book as timely as it is provocative.

Democracy: Can't We Do Better Than That? (1986)



"In political discussion, 'democracy' is normally treated as a simple, unquestioned, timeless good against which all forms of political life can be objectively tested. Avakian attempts to go to the root of democratic theory and practice by a detailed examination of its sources and history, and, as a result, to show whose class interests are served by democratic institutions that only *appear* to serve everyone's interests. Avakian presents incisive critiques of the standard arguments for democracy in such classics as de Tocqueville's *Democracy in America* and Arendt's *The Origins of Totalitarianism*. In addition, the author engages in radical and socialist reintrpretations of democracy which he finds still tied to the prevailing bourgeois theories. Avakian argues his position on the decisive limitations of democracy in such a way that careful readers are compelled to clarify and rethink their own views.Avakian has written a serious and demanding work of political philosophy and political practice." — Norman K. Gottwald, editor of *The Bible and Liberation: Political and Social Hermeneutics*

==

On the Leadership of Bob Avakian

- Watching *Fruitvale Station* with Bob Avakian
- On the Revolutionary Road with Chairman Avakian:
  A contribution to the conversation on the unique and irreplaceable contributions of our Chairman: a few thoughts on approach and method, by Lenny Wolff
- Learning from Bob Avakian: Understanding the World in Order to Change It, by Raymond Lotta
- From the 1995 Leadership Resolutions on Leaders and Leadership: by the Revolutionary Communist Party, USA, Part II: Some Points on the Question of Revolutionary Leadership and Individual Leaders
- Traveling with Chairman Avakian: A Determined Revolutionary Leader, and a Fired Man, for Decades, by Carl Dix
- Some Thoughts on the Importance of Bob Avakian to Building a Revolutionary Movement, by Sunsara Taylor
- A Thought on Intellectual Courage, by Lenny Wolff
- Reflections on *What Humanity Needs: Revolution, and the New Synthesis of Communism:*

The Critical Importance of Leadership
by Lenny Wolff

Prisoners write about Bob Avakian

From prisoner letters published in *Revolution*:

- "...i must say *BAsics* is a must have book for the people. It's the 'Truth,' it's what the people need…" Read more...
- "*Thank you so much* for these papers and other writings by Chairman Avakian. I treasure them like a cool drink of water in the middle of the desert…" Read more...
- "I do swear and attest to Bob Avakian's impeccable goals & intentions in liberating the masses from the capitalist-imperialist slavery…" Read more..

Click here for letters from prisoners on BA.

What People Are Saying about Bob Avakian and *BAsics*

- Interview with woman in Sanford Read more...
- Michael Slate interviews a woman in the Bronx about *BAsics* Bus Tour Read more...
- People's thoughts about *BAsics* quotes Read more...
- April 11 Host Statements Read more...

Comments and Reviews

- Cornel West, on BA's memoir:
  "Bob Avakian is a long distance runner in the freedom struggle against imperialism, racism and capitalism…"
- Howard Zinn, on BA's memoir:
  "A truly interesting account of Bob Avakian's life, a humanizing portrait of someone who is often seen only as a hard-line revolutionary…"
- Emory Douglas, Revolutionary Artist, former Minister of Culture, Black Panther Party:
  "A salute to Revolutionary Bob Avakian on his book 'BASICS.'"

==

==

ملحق 3 :

فهارس كتب شادي الشماوي

21 كتابا

متوفّرا للتنزيل من مكتبة الحوار المتمدّن

(الماوية : نظرية و ممارسة - من العدد 1 إلى العدد 21)

شكر :

و من الشكر جزيله إلى كلّ من ساهم و يساهم بشكل أو آخر فى نشر أعمالنا و نقدها نقدا بنّاء و تقديم المقترحات ... خدمة للثورة البروليتارية العالمية و لقضيّتنا و هدفنا الأسمى ، الشيوعية على المستوى العالمي .

فهرس الكتاب الأوّل :

الماوية : نظرية و ممارسة – 1 –

علم الثورة البروليتارية العالمية : الماركسية – اللينينية - الماوية

ملاحظتان لا بدّ منهما :

1- الترجمة غير رسمية .

2- الفصل الأول معتمد على ترجمة قديمة أعدّها رفاق جرى العمل على ضبطها قدر الإمكان.

فهرس الكتاب الثانى :

الماوية : نظرية و ممارسة – 2 –

3- تجربة أولى فى بناء الإشتراكية .

4- الثورة الصينية تنجز إختراقا آخر .

5- القطع مع النموذج السوفياتي.

6- الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى صراع بين الطريق الإشتراكي و الطريق الرأسمالي.

7- هزيمة الصين الإشتراكية و الدروس المستخلصة للمستقبل.

8- البناء على أساس الموجة الأولى من الثورات الإشتراكية .

خاتمة :

- هدف الماركسية هو الشيوعية.

ملاحظة : المقدّمة العامة و الخاتمة العامّة وملحق الفصل الأوّل بقلم المترجم. و نصوص الفصلين الأوّل و الثاني مقالات وردت فى "الثورة" لسان حال الحزب الشيوعي الثوري، الولايات المتحدة الأمريكية أمّا الفصل الثالث فهو محاضرة لريموند لوتا نشرت فى "الثورة " و ترجمها إلى الفرنسية و نشرها رفاق الكندا على حلقات فى " الأرسنال أكسبريس ".

فهرس الكتاب الثالث :

الماوية : نظرية و ممارسة – 3 –

لندرس الثورة الماوية فى النيبال و نتعلّم منها

(من أهمّ وثائق فترة 1995- 2001)

فهرس الكتاب الرابع :

الماوية : نظرية و ممارسة – 4 –

الثورة الماوية فى الصين : حقائق و مكاسب و دروس

4- إنهاء عمل "الأطباء ذوى الأقدام الحافية " و الأزمة الصحية فى الريف الصين .

5- نهاية دنك سياو بينغ عدو الشعب.

<u>5- الفصل الرابع : من تحرير المرأة إلى إستعبادها :</u>

1- كسر سلاسل التقاليد جميعها .

2- كيف حررت العناية الجماعية بالأطفال النساء فى الصين الماوية.

3- النساء فى الصين : السوق الحرة الرأسمالية القاتلة.

4- النساء فى الصين : عبودية السوق الحرة .

5- النساء فى الصين : منبوذات السوق الحرة .

<u>6- الفصل الخامس : من مكاسب الثورة الماوية فى الصين :</u>

1- المكاسب الإقتصادية و الإجتماعية فى ظل ماو.

2- المعجزات الإقتصادية للصين الماوية، حين كانت السلطة بيدي الشعب.

3- كيف قضت الثورة الماوية على الإدمان على المخدرات فى الصين.

4- كيف حررت العناية الجماعية بالأطفال النساء فى الصين الماوية.

5- كسر سلاسل التقاليد جميعها.

6- معطيات و أرقام من كتاب "25 سنة من الصين الجديدة ".

<u>7- الفصل السادس : إلى الأمام على الطريق الذى خطّه ماو تسى تونغ</u>

<u>8 – خاتمة</u>

<u>المراجع</u> : بإستثناء-1- نصّ "مقتطفات من وثيقة صيغت..." و " إلى الأمام...."وهي نصوص للحركة الأممية الثورية صدرت فى "عالم نربحه" و-2- "خرافات حول الماوية " للرفيق أريك سميث من كندا ، و "معطيات و أرقام من كتاب " 25 سنة من الصين الجديدة"، و-3- المقدّمة العامة و مقدّمة "حقيقة ماو تسى تونغ والثورة الشيوعية فى الصين" و مقال "من صين ماو الإشتراكية إلى صين دنك الرأسمالية..." للمترجم ،

فإن بقية الوثائق مرجعها "الثورة" جريدة الحزب الشيوعي الثوري، الولايات المتحدة الأمريكية.

فهرس الكتاب الخامس :

الماوية : نظرية و ممارسة – 5 –

الثورة الماوية فى النيبال و صراع الخطين صلب الحركة الأممية الثورية

المركزية للحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) عزمها نشر الرسائل علنيا إذا لم تتصل بردّ شافي أو بسبب مقنع فى حدود منتصف فيفري2009.

-2 : **رسالة أكتوبر 2005** إلى الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) :

- الديمقراطية : الشكل و المضمون.
- الديمقراطية الشكلية فى ظلّ الإشتراكية.
- الجمهورية الشعبية أم أشكال إنتقالية؟
- التكتيك و الإستراتيجيا.
- إقتراح يبعث على التساؤل.
- حول "المجتمع الدولي".
- النيبال و النظام الإمبريالي العالمي.
- الديمقراطية و الفئة الوسطى.

ملاحق رسالة أكتوبر 2005 :

- ملحق 1: "التطوير الخلاق للماركسية-اللينينية-الماوية ، ليس للتحريفية".
- ملحق 2 : "مزيدا من التفكير حول : الدولة الإشتراكية بما هي دولة من نوع جديد".

-3 : **رسالة 19 مارس 2008** إلى أحزاب و منظمات الحركة الأممية الثورية :

- تكتيكات مربكة تطبيقا لخطّ إيديولوجي و سياسي خاطئ.
- ما الهدف : "إعادة هيكلة الدولة " أم "تحطيمها"؟
- الديمقراطية البرجوازية و الديمقراطية الجديدة.
- الديمقراطية البرجوازية "النسبية " أم نظام الديمقراطية الجديدة ؟
- الأرض لمن يفلحها.
- حول الدستور و الحكم الطبقي.
- الممارسة الثورية.

- من يخدع من ؟

- تسليح الجماهير بالحقيقة أم نسج الإرتباك عمدا؟

- توغلياتي و توريز.

- إعادة كتابة تاريخ الحزب.

- مزيد التنكّر للحقائق التاريخية.

- البعد العالمي.

- "مزج الإثنين فى واحد " أم "إزدواج الواحد" ؟

- الدفاع عن الإنتقائية.

- جوهر المسألة - الخطّ الإيديولوجي و السياسي.

- ما هو نوع التلخيص الإيديولوجي الذى نحتاج إليه؟

رسالة نوفمبر 2008 إلى الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) و إلى كافة أحزاب و منظمات الحركة الأممية الثورية:

- المشكلة هي خطّ الحزب

- الديمقراطكية الجديدة والإشتراكية حجرين أساسيين فى الطريق نحو الشيوعية.

- معجزة الإنتخابات؟

-" دون جيش شعبي لن يكون هناك شيئ للشعب "

- جزء من إعادة بعث الشيوعية الثورية أم جزء من قبرها ؟

- تلخيص جديد أم ديمقراطية برجوازية قديمة ممجوجة ؟

- "محرّرو الإنسانية" أم مشيّدو سويسرا جديدة ؟

- صراع خطّين أم صراع " الخطوط الثلاثة" ؟

- خلاصة القول : لنقاتل من أجل إنقاذ الثورة !

3- رسالة الحزب الشيوعى النيبالى (الماوي) إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية:

1 جويلية 2006

-الإطار التاريخي.

- التجربة التاريخية و جهودنا.

- الدولة ، الديمقراطية و دكتاتورية البروليتاريا.

- الجمهورية الديمقراطية - شكل إنتقالي .

- الإستراتيجيا و التكتيك.

- الجمهورية الديمقراطية الجديدة للنيبال و الجيش .

- نقاط ملخصة.

- خاتمة

4-" لنقاتل من أجل إنقاذ الثورة فى النيبال"، الشيوعيون الثوريون الألمان :.

1- دور النظرية و الأخطاء الإستراتيجية التاريخية.

2- الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) و النظرة المادية للمجتمع و التاريخ.

3- الهجوم الإستراتيجي ، "حلّ سياسي" و المنهج العلمي الشيوعي.

4- مسألة الإستراتيجيا ،إتفاق السلام الشامل وإفتكاك السلطة عبر البلاد بأسرها.

5- الواقع وواقع المزج القاتل بين الإختزالية و البراجماتية.

الخاتمة.

5- رسالة مفتوحة إلى الحزب الشيوعى النيبالى الموحّد (الماوى) من الحزب الشيوعى الهندي (الماوي) :

1- تحديد طبيعة الدولة فى النيبال و آفاق إنهاء الثورة.

2- بصدد الحكومة الإئتلافية.

3- بصدد قواعد الإرتكاز و نزع سلاح جيش التحرير الشعبي.

4- بصدد ديمقراطية القرن الواحد و العشرين.

5- بصدد طريق الثورة فى البلدان شبه المستعمرة شبه الإقطاعية : نظرية المزج.

6- بصدد مرحلة الثورة فى النيبال.

7- بصدد فهم الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) للتوسعية الهندية.

8- بصدد الفيدرالية السوفياتية لجنوب آسيا.

9- بصدد طريق برانشندا.

10- بصدد الأممية البروليتارية.

11- لن يتمكّن خط ثوري من إعادة تركيز نفسه و إنجاز الثورة النيبالية إلاّ عبر خوض صراع صارم ضد الخطّ الإنتهازي اليميني الذى تتبعه قيادة الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي).

6- ملاحق :

1- حول طرد الحزب الشيوعي النيبالي (ماشال) من الحركة الأممية الثورية.

2- بعض الوثائق النيبالية المتصلة بالإنتخابات و نتائجها فى النيبال:

3- تصريحات ماويين آخرين حول النيبال:

فهرس الكتاب السادس :

الماوية : نظرية و ممارسة – 6 –

جمهورية إيران الإسلامية : مذابح للشيوعيين و قمع و إستغلال و تجويع للشعب
جمهورية إيران الإسلامية : مذابح للشيوعيين و قمع و إستغلال و تجويع للشعب

فهرس الكتاب السابع :

الماوية : نظرية و ممارسة – 7 –

مدخل لفهم حرب الشعب الماوية فى الهند

فهرس الكتاب الثامن :

الماوية : نظرية و ممارسة – 8 –

تحرير المرأة من منظور علم الثورة البروليتارية العالمية :

الماركسية –اللينينية –الماوية.

- مقدمة

1- واقع يستدعى الثورة.

2- الإعداد للثورة الشيوعية مستحيل دون النضال ضد إضطهاد المرأة **!** و تحرير المرأة مستحيل دون بلوغ المجتمع الشيوعي**!**

3- مساهمات فى تغيير الواقع ثوريا.

الفصل الخامس : الثورة البروليتارية و تحرير النساء

1- الثورة البروليتارية و تحرير النساء ...

2- بيان : من أجل تحرير النساء و تحرير الإنسانية **جمعاء**.

فهرس الكتاب التاسع :

الماوية : نظرية و ممارسة – 9 –

المعرفة الأساسية لخطّ الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية

(من أهمّ وثائق الحزب الشيوعى الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية)

فهرس الكتاب العاشر :

الماوية : نظرية و ممارسة – 10 –

الثورة البروليتارية فى أشباه المستعمرات والمستعمرات الجديدة و فى البلدان الإمبريالية – تركيا و الولايات المتحدة الأمريكية.

فهرس الكتاب 11 :

المـاويـة : نظريـة و ممارسـة – 11 –

المـاويـة تدحض الخوجيـة ومنذ 1979.

1- **بإحترام و حماس ثوريين عميقين، نحيّي القائد الخالد للبروليتاريا الصينية، الرفيق ماو تسى تونغ، في الذكرى الثالثة لوفاته! – الحزب الشيوعى التركى / الماركسى-اللينينى، جويلية 1979.**

2- **دفاعا عن فكر ماو تسى تونغ؛ وثيقة تبنّاها مؤتمر إستثنائى للحزب الشيوعى بسيلان إنعقد فى جويلية 1979 .**

(و إضافة إستثنائية: **" دحض أنور خوجا "** ؛ **ن. ساموغاتاسان، الأمين العام للحزب الشيوعي بسيلان - 1980.)**

3- **"*تقييم عمل ماو تسى تونغ*"؛ للحزب الشيوعي الثوري الشيلي**- جويلية 1979.

4-**" فى الردّ على الهجوم الدغمائي - التحريفي على فكر ماو تسى تونغ " بقلم ج. وورنار**؛ ماي 1979.

فهرس الكتاب 12 :

الماوية : نظرية و ممارسة – 18 –

مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ

مقدّمة لشادي الشماوي ناسخ الكتاب و معدّه للنشر على الأنترنت

المحتويات :

15- الديمقراطية فى الميادين الثلاثة الأساسية.

16- التعليم و التدريب.

17- خدمة الشعب.

18- الوطنية و الأممية.

19- البطولة الثورية.

20- بناء بلادنا بالعمل المجد و الإقتصاد فى النفقة.

21- الإعتماد على النفس و النضال الشاق.

22- أساليب التفكير و أساليب العمل.

23- التحقيقي و الدراسة.

24- تصحيح الأفكار الخاطئة.

25- الوحدة و التضامن.

26- النظام.

27- النقد و النقد الذاتي.

28- الشيوعيون.

29- الكوادر.

30- الشباب.

31- النساء .

32- الثقافة و الفنّ.

ملحق أعدّه شادي الشماوي:

مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ بصدد الثورة الثقافية

==

فهرس الكتاب 13 :

الماوية : نظرية و ممارسة – 13 –

الماوية تنقسم إلى إثنين

مقدّمة :

الفصل الأوّل : "خطّان متعارضان حول المنظمة الماوية العالمية " :

أ- الشعوب تريد الثورة ، البروليتاريون يريدون الحزب الثوري ، الشيوعيون يريدون الأممية و منظمة عالمية جديدة .(بيان مشترك لغرّة ماي 2011)

و القرار 2 الصادر عن الإجتماع الخاص بالأحزاب والمنظمات الماركسية – اللينينية – الماوية المنتمية إلى الحركة الأممية الثورية من أجل ندوة عالمية للأحزاب و المنظمات الماركسية – اللينينية – الماوية فى العالم . (غرّة ماي 2012.)

و ب- رسالة إلى الأحزاب و المنظمات المنتمية إلى الحركة الأممية الثورية ،

الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية – غرّة ماي 2012.

الفصل الثانى : " نظرتان متعارضتان لنظام الدولة الإشتراكية " :

أ-" نظام الدولة الإشتراكية "، لآجيث ، الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي- اللينيني) نكسلباري.

و ب- " النقاش الراهن حول نظام الدولة الإشتراكية "، ردّ من الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية / 2006.

الفصل الثالث : " موقفان متعارضان من " الخلاصة الجديدة " لبوب آفاكيان " :

أ- " موقفنا من الخطّ الجديدة للحزب الشيوعي الثوري و بيانه و قانونه الأساسي"، الحزب الشيوعي (الماوي) الأفغاني ، أكتوبر 2010.

و ب - " ردّ أولي على مقال" دراد نوت" بشأن " الخلاصة الجديدة لبوب آفاكيان"، سوزندا آجيت روبا سنغى ، رئيس الحزب الشيوعي السيلاني (الماوي) ، 18 أفريل 2012.

الفصل الرابع : تعمّق النقاش حول الخلاصة الجديدة لبوب آفاكيان (1): ردّ من أفغانستان.

ردّ على رسالة غرّة ماي للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية .

(الحزب الشيوعي (الماوي) الأفغاني)

الفصل الخامس : تعمّق النقاش حول الخلاصة الجديدة لبوب آفاكيان (2): ردّ من المكسيك.

الخلاصة الجديدة للشيوعية و بقايا الماضي .

المنظمة الشيوعية الثورية ، المكسيك – ماي 2012

الفصل السادس : خلافات عميقة بين الحزبين الماويين الأفغاني و الإيراني :

أ- الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوي) سقط في تيه طريق " ما بعد الماركسية – اللينينية – الماوية ".

ب- نظرة على الإختلافات بين الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوي) و الحزب الشيوعي (الماوي) الأفغاني .

مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا :

السياسة و الثقافة و الإقتصاد فى المجتمع الإشتراكى

الشيوعية العالمية والمرحلة الإنتقالية :

الدولة البروليتارية : الديمقراطية و الدكتاتورية :

الدولة و الحزب :

الدولة و الإيديولوجيا :

الدولة و الدين :

الدولة و الثقافة :

الدولة و الدعاية :

الحرّية و القمع و المقاربة المتصلة بالمعارضة :

الإقتصاد الإشتراكى :

العلاقة بين البلدان الإشتراكية و الثورة العالمية :

تناقضات النظام العالمى و صورة العالم الراهن :

II / الثورة فى إيران و البرنامج الأدنى

لمحة عن إيران المعاصرة

الهيمنة الإمبريالية :

الرأسمالية البيروقراطية :

شبه الإقطاعية :

ثلاثة جبال و علاقات إنتاج مهيمنة على المجتمع :

الدولة شبه المستعمرة فى إيران :

الجمهورية الإسلامية و ثورة 1979 :

الطبقات و موقعها فى سيرورة الثورة فى إيران

طبقات البرجوازية – الملاكين العقاريين :

البرجوازية الوسطى (أو البرجوازية الوطنية) :

البرجوازية الصغيرة المدينية :

المثقّفون :

الفلاحون :

الفلاحون الأغنياء :

الفلاّحون المتوسّطون :

الفلاحون الفقراء و الذين لا يملكون أرضا (أشباه البروليتاريا فى الريف) :

شبه البروليتاريا المدينية :

الطبقة العاملة :

بعض التناقضات الإجتماعية المفاتيح

النساء :

القوميات المضطهَدَة :

الشباب :

طبيعة الثورة و آفاقها

فى المجال السياسى :

فى المجال الإقتصادى :

فى المجال الثقافى :

الخطوات الفورية و إرساء إتجاه التغيير

بشأن العمّال :

بشأن الفلاحين :

بشأن النساء :

بشأن القوميات المضطهَدة :

بشأن التعليم :

بشأن الدين و النشاطات الدينية :

عن بعض أمراض المجتمع

البطالة :

الإدمان على المخدّرات :

البغاء :

المدن المنتفخة و اللامساواة بين الجهات :

السكن :

الوقاية الصحّية و الرعاية الطبيّة :

الجريمة و العقاب :

العلاقات العالمية :

طريق إفتكاك السلطة فى إيران

أدوات الثورة الجوهرية الثلاث : الحزب الشيوعي و الجبهة المتحدة و الجيش الشعبى :

قواعد الإرتكاز و السلطة السياسية الجديدة :

الإعداد للإنطلاق فى حرب الشعب :

نزوح سكّان الريف و نموّ المدن :

مكانة المدن فى حرب الشعب :

الأزمة الثورية عبر البلاد بأسرها :

حول إستراتيجيا الإنتفاضة المدينية :

حرب شاملة و ليست حربا محدودة :

لنتقدّم و نتجرّأ على القتال من أجل عالم جديد!

فهرس الكتاب 15 / 2014 :

الماوية : نظرية و ممارسة – 15 –

مقال " ضد الأفاكيانية " و الردود عليه

- أخبث و أخطر .

- الهوامش.

2- حول " القوّة المحرّكة للفوضى " و ديناميكية التغيير .

نقاش حاد و جدال ملحّ : النضال من أجل عالم مغاير راديكاليّا و النضال من أجل مقاربة علمية للواقع.

لريموند لوتا

I - إختراق حيوي : " القوّة المحرّكة للفوضى " كديناميكية حاسمة للرأسمالية :

أ- خلفية :

ب- حفريّات فى الإقتصاد السياسي :

II - رفض معالجة طبيعة المراكمة الرأسمالية – أو لماذا " الرأسمالي تجسيد لرأس المال " :

مزيدا عن المنافسة :

III - القوّة المحرّكة للفوضى و العالم الذى يخلقه رأس المال و يدمّره :

أ- الأزمة البيئية :

ب- التمدين والأحياء القصديرية :

ت- الأزمة العالمية ل2008-2009 :

IV - الرهانات : نظام لا يمكن إصلاحه ... هناك حاجة إلى الثورة :

- الهوامش :

ملحق : فهارس كتب شادي الشماوي .

فهرس الكتاب 16 / 2014

الماوية : نظرية و ممارسة – 16 –

الأساسي من خطابات بوب أفاكيان و كتاباته

مراجع مختارة :

الملحق 1 : رسالة مفتوحة إلى الشيوعيين الثوريين و كلّ شخص يفكّر جدّيا فى الثورة بصدد دور بوب أفاكيان و أهمّيته.

الملحق 2 : فهارس كتب شادي الشماوي .

==

فهرس الكتاب 17 / 2014

الماوية : نظرية و ممارسة – 17 –

قيادات شيوعية ، رموز ماوية

15- المحاكمة الأشهر فى القرن العشرين : " أنا مسرورة لأنّنى أدفع دين الرئيس ماو **!** " .

16- زوجة ماو و رفيقة دربه طوال 39 سنة

17- قُتلت حتى يثبت العكس

18- لنتجرّا على أن كون مثل تشانغ تشنغ

<u>الفصل الثاني : تحيّة حمراء لشانغ تشن – تشياو أحد أبرز قادة الثورة الثقافيّة البروليتارية الكبرى الماويين</u>

1- التجرّأ على صعود الجبال من أجل تحرير الإنسانية (جريدة " **الثورة** ")

2- عاصفة جانفي بشنغاي (جريدة " **الثورة** ")

3- بصدد الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية (تشانغ تشن- تشياو)

4- على رأس الجماهير و فى أقبية سجون العدوّ : مدافع لا يلين عن الشيوعية.(أخبار "**عالم نربحه** ".)

<u>الفصل الثالث : إبراهيم كايباكايا قائد بروليتاري شيوعي ماوي</u>

1- لن ننسى الرفيق إبراهيم كايباكايا

2- موقف حازم إلى جانب حقّ الأمّة الكردية التى تعاني من الإضطهاد القومي الوحشي فى تركيا ، فى تقرير مصيرها

3- خطّ كايباكايا هوطليعتنا – مقتطف من الماوية تحيى و تناضل ، تكسب و تواصل الكسب

4- بصدد الكمالية (مقتطف)

5- المسألة القومية فى تركيا

<u>الفصل الرابع : شارو مازومدار أحد رموز الماوية و قائد إنطلاقة حرب الشعب فى الهند</u>

1- خوض الصراع ضد التحريفية المعاصرة

2- لننجز الثورة الديمقراطية الشعبية بالنضال ضد التحريفية

3- ما هو مصدر التمرّد الثوري العفوي فى الهند؟

4- لنستغلّ الفرصة

5- مهامنا فى الوضع الراهن

==

فهرس الكتاب 18 / 2015

الماوية : نظرية و ممارسة – 18 –

من ردود أنصار الخلاصة الجديدة للشيوعية على مقال " ضد الأفاكيانية " لآجيث

2- الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي (الجديد) و مفترق الطرق الذى تواجهه الحركة الشيوعية العالمية :

3- الشيوعية أم القومية ؟

7- الأساس الفلسفي للأممية البروليتارية :

8- عدم قدرة القوميّة الضيّقة على تصوّر السيرورة العالميّة و تفاعلها الجدلي مع التناقضات الداخليّة للبلدان :

9- ما الذى تعلمنا إيّاه التجربة التاريخية الحقيقيّة للثورة البلشفيّة ؟

10 – هل أنّ حملة الحروب الإمبريالية محدّدة أساسا بخصوصيّات كلّ بلد ؟

11- القوميّة و الإقتصادويّة بإسم " الخصوصيّات " أم تغيير الظروف إلى أقصى درجة ممكنة للقيام بالثورة ؟

12- الأممية – العالم بأسره فى المصاف الأوّل :

13- فى البلدان الإمبريالية " نداء العزّة القوميّة " أم تطبيق الإنهزاميّة الثوريّة ؟

14- الإيديولوجيا الشيوعية فى البلدان المضطهَدَة يجب أن تكون أيضا الشيوعية و ليس القومية :

15- التغيير التاريخي – العالمي من النظام الرأسمالي – الإمبريالي إلى النظام الشيوعي العالمي :

16- الشيوعية أم القوميّة ؟

الهوامش :

4- آجيث – صورة لبقايا الماضى

I - تمهيد : طليعة المستقبل أم بقايا الماضي

II - الثورة الشيوعية و الشيوعية كعلم و مهمّة البروليتاريا ولماذا الحقيقة هي الحقيقة :

- رفض آجيث للشيوعية كعلم

- الماديّة التاريخية : نقطة محوريّة فى الماركسية

- المنهج العلمي فى كلّ من العلوم الطبيعية و الإجتماعية

- آجيث يرفض المنهج العلمي فى العلوم الإجتماعية

- آجيث وكارل بوبر

III - الموقع الطبقي و الوعي الشيوعي :

- " مجرّد المشاعر الطبقية " و الوعي الشيوعي

- دفاع آجيث عن تجسيد البروليتاريا

- مساهمة لينين الحيوية فى الوعي الشيوعي

- البروليتاريا وكنس التاريخ

- القومية أم الأممية ؟

- التبعات السلبيّة للتجسيد فى الثورات الإشتراكية السابقة

IV - هل للحقيقة طابع طبقي ؟

- " الحقيقة الطبقية " كنزعة ثانوية فى الثورة الثقافية

- آجيث و التحزّب الطبقي

V - إستهانة آجيث بالنظريّة :

- نظرة ضيّقة للممارسة و الواقع الإجتماعي

- " الممارسة المباشرة " لماركس و إنجلز لم تكن مصدر تطوّر الماركسية

- يجب على التحزّب أن يقوم على العلم

- الدروس المكلفة ل" الحقيقة السياسيّة "

VI - بعض النقاط عن الفلسفة و العلم :

- مكانة الفلسفة فى الماركسية

- آجيث يفصل بين الفلسفة و العلم

- مقاربة آجيث شبه الدينيّة للمبادئ الأساسية للماركسية

- الحقيقة المطلقة و الحقيقة النسبيّة و تقدّم المعرفة

- إلى أي مدى يمكن أن نكون متأكّدين من معرفتنا ؟

VII - الثورة الشيوعية ضرورية و ممكنة لكنّها ليست حتميّة ... ويجب إنجازها بوعي :

- ماركس و أفاكيان بصدد " الترابط المنطقي " فى التاريخ الإنساني

- الديناميكية الحقيقية للتاريخ و النظرات الخاطئة صلب الحركة الشيوعية

- الحرّية و الضرورة و تغيير الضرورة

- فهم آجيث الخاطئ للحرّية و الضرورة

- قفزة لكن ليس إلى حرّية **مطلقة**

- لا جبريّة فى الثورة

- كيف نفهم القوانين التاريخية ؟

VIII - آجيث يجد نفسه بصحبة ما بعد الحداثة و الدين :

- تقييم أفاكيان الجدلي للتنوير

- هجوم آجيث على التنوير و تشويهه لوجهات نظر أفاكيان

- عن موقف ماركس تجاه الحكم البريطاني فى الهند

- معارضة آجيث ل " الوعي العلمي "

- العلم و المعرفة التقليدية

- آجيث يسقط فى أحضان ما بعد الحداثة

- تعويض الحقيقة ب " رواية شخصية "

- نقد غير علمي للرأسمالية

- معانقة آجيث لمدرسة فرانكفورت

- آجيث و التقليد الكانطي

IX – آجيث يدافع دفاعا بشعا و معذّبا عن الدين و سلاسل التقاليد :

- وضع حجاب على إضطهاد النساء

- التذيّل للقومية و تجميل الأصولية

- أفاكيان بشأن الشريحتين اللتين " ولّى عهدهما " و الصراع الإيديولوجي مع الدين

- الإختيار بين الشريحتين اللتين " ولّى عهدهما " أم التقدّم بطريقة أخرى ؟

X - الخاتمة

فهرس الكتاب 19 / 2015

الماوية : نظرية و ممارسة – 19 –

نصوص عن الإنتفاضات فى بلدان عربية من منظور الخلاصة الجديدة للشيوعية

الفصل الثالث : إلى الرفاق فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا - الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوي):

الفصل الرابع : مصر و تونس و الإنتفاضات العربية : كيف وصلت إلى طريق مسدود و كيف الخروج منه - مقال من مجلّة " تمايزات " :

ملحق 1 : من المقالات الهامة الأخرى .

ملحق2 : مقال إسرائيل ، غزّة ، العراق و الإمبريالية : المشكل الحقيقي والمصالح الحقيقيّة للشعوب

ملحق 3 : فهارس كتب شادي الشماوي.

==

فهرس الكتاب 20 / 2015

الماوية : نظرية و ممارسة – 20 –

نضال الحزب الشيوعي الصيني ضد التحريفيّة السوفياتية 1956 - 1963 :

تحليل و وثائق تاريخية

==

فهرس الكتاب 21 / 2015

الماوية : نظرية و ممارسة – 21 –

مقدّمات عشرين كتابا عن " الماوية : نظريّة و ممارسة "

و فى ثنايا هذا العدد 21 من " **الماوية : نظريّة و ممارسة** " ، فضلا عن المقدّمات التى ألّفنا للأعداد السابقة لهذه المجلّة ، بعض الخواتم من تأليفنا و أيضا ملاحق أردناها مكمّلة و متمّمة لمضامين الكتاب برمّته . و هذه الملاحق هي على التوالي :

الملحق 1 : قراءة فى شريط – العدو على الأبواب – ستالينغراد (Enemy at the gates)

الملحق 2 : فهارس كتب شادي الشماوي

الملحق 3 : روابط تحميل العشرين كتابا من مكتبة الحوار المتمدّن

الملحق 4 : كتابات شادى الشماوي و تواريخ نشرها بموقعه الفرعي فى الحوار المتمدّن

(لتنزيل الكتاب بأكمله نسخة بى دة أف ، عليكم بمكتبة الحوار المتمدّن)

http://www.4shared.com/file/p--2OUQsce/__-______-__.html

==

==

==

=================